المتضلعين بالعلوم الدينية ومعرفة اللغات الشرقية فلا يطبع شيء إلا بعد مصادقتهم على كمال الترجمة.
وأشتغل الشيخ إبراهيم في تنقيح التوراة العربية نحو تسع سنوات في غرير وبيروت. وقد علم سنين طويلة في المدرسة البطريركية فتخرج عليه كثيرون من أحداثها أشتهر بعضهم بالتآليف. وفي السنة 1884 أتفق على الدكتورين بشارة زلزل وخليل سعادة على نشر مجلة الطبيب فكان الشيخ إبراهيم يحرر فصولها اللغوية والأدبية. ثم أنفرط عقد وصلتهم بعد سنة وأنتقل الشيخ إبراهيم إلى مصر حيث أبرز أولاً مجلة البيان في آذار من السنة 1797 ثم أبدلها بمجلة الضياء التي أنشأها ثماني سنوات إلى تاريخ وفاته في 28 كانون الأول من السنة 1906. فقدت به الآداب العربية أحد أنصارها المعدودين. وقد حضرنا بالسرور في شهور تموز من العام الماضي سنة 1924 حفلة نصب تمثاله في أحد شوارع بيروت فنال ما يستحقه من الإكرام بل أكرمت بشخصه أسرته الفاضلة: وليس من حاجة هنا أن نعرف صفات الرجل مع قرب عهده بيننا ومما أشتهر به حسن ذوقه في الكتابة وانسجام كلامه فيظهر لقرائه كأنه المرآة الصقلية أو الماء الزلال فكان لا يزال يردد النظر في ما كتب وينقحه مراراً حتى يخرجه كالبرد القشيب والخميلة الناعمة. وكان عارفاً باللغة معرفة واسعة كما تدل عليه بعض مؤلفاته أخصها (نجعة الرائد في المترادف والمتوارد) في جزأين على طريقة كتاب الألفاظ الكتابية لعبد الرحمان الهمذاني. ومنها اختصاره أو شرحه لبعض تآليف والده كمختصر نار القرى ومختصر الجمانة وشرح ديوان المتنبي المسمى بالعرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب وكذلك تصحيحه وتهذيبه لعبارة بعض كتب الأدباء كتاريخ بابل وأشور للمرحوم جميل مدور ونفح الأزهار في منتخبات الأشعار لجامعة المرحوم البتلوني ودليل الهائم في صناعة الناثر والنظم له. وكانت مطبعتنا وكانت إلى الشيخ إبراهيم وضع معجم للغة العربية فأشتغل فيها زمناً طويلاً ثم أهمله فانتدبت حينئذ الشيخ اللغوي سعيد الشرتوني إلى وضع كتابه أقرب الموارد بدلاً منه ثم عاد الشيخ إبراهيم إلى عمله مراراً وأتم منه قسماً لكنه مات ولم يمثله للطبع. وكان الشيخ كما هو معروف قليل الصحة بطيء الشغل ومجلة الضياء تستنفد همته فلا تسمح له بمعاناة سواه.
ومن آثاره اللغوية عدة مقالات مطولة وانتقادات لسانية كالأمالي اللغوية ولغة الجرائد وأغلاط العرب المولدين واللغة والعصر ونقد لسان العرب وغير ذلك مما أصاب في بعضه وأخطأ في البعض الآخر فتصدى له كثيرون من المكتبة فقامت بينه وبينهم الجدالات الطويلة وكان الشيخ (كثير الأباء ظاهر الأنفة إلى حد الترفع) كما قال في ترجمته صاحب الهلال (15: 267) فأذى به طبعه إلى كتابة فصول ما كنا

لننتظرها من مثله أطلق فيها العنان لأهوائه وأنتهك في بعضها حقوق الدين وأربابه سامحه الله.
وللشيخ أيضاً قصائد متفرقة ومنظومات رشيقة لم تجمع حتى اليوم. روى بعضها جناب الأديب عيسى أفندي إسكندر معلوف في ترجمة حياته التي نشرها في المقتطف. ومن اقدم ما وجدنا له من القصائد ما أنشده في الجمعية السورية في أوائل سنة 1868 وهي منظومة حماسية ذكر فيها العرب فقال في أولها:
سلامُ أيها العَرَبُ الكرامُ وجادَ ربوعَ قطركُم الغمامُ
لقد ذكر الزمان لكم عهوداً مضت قِدَماً فلم يَضع الغمامُ
ثم قال في وصف مجالس العلم:
مجالسُ العلوم غدت مناراً به ليغلب الجهل انصرامُ
جلاها كلُّ أبلج أريَحيٍ تقرُّ له البلاغةُ والكلامُ
تُجرِّدُ من أياديهِ المواضي وتُرسَلُ من لواحظهِ السهامُ
رجالٌ في انتشار الفضل جدُّوا وفي حب العلوم صَبوا وعاموا
تلاعبت الحمَّيةُ في نُهاهم كما لَعِبت بشاربها المدامُ
تهزُّ الأريحَّيةُ كلَّ يومٍ معاطفهم كما أهتزَّ الحسامُ
هُمُ الشُهبُ والمطيرةُ فوق أرضٍ يلوح لنَوْئِهم فيها غمامُ
غمامٌ قد تخلَّلهُ بروقٌ يصافحها الرجاءُ متى تُشامُ
جهابذةٌ يقوم الفردُ منهم بما أعيا بهِ جيش اللهامُ
ومن أبياته الحماسية فيها قوله عن العرب:
وما العَربَ الكرام سوى نصالٍ لها في أجفُن العُليا مقامُ...
لَعمرك نحن مصدرُ كل فضلٍ وعن آثارنا أخذ الأنامُ
ونحن أولو المآثر من قديمٍ وأن جحدَتْ مآثرَنا اللئامُ
فقد علمَ العراق لنا قديماً أياديَ ليس تنكرها الشآمُ
وفي أرض الحجاز لنا فيوضٌ يسيل لها إلى اليمين انسجامُ
وفوق الأندَلوس لنا بنودٌ لهامات النجوم بها إعتامُ
وسلْ في الغرب عن آثار فخرٍ لها في جبهة الزَمَن إرتسامُ
ولسنا القانعين بذكر هذا وليس لنا بعروتِه اعتصامُ
ولكنَّا سنجهَدُ في المعالي إلى أن يستقيمَ لها قوامُ
ومن محاسن نظمه ما كتبه في المجموع الذي خص بمدح كريستوف كولمب في السنة المئوية لتذكار موته:
أبقى خِرِيستوفُ الشهيرِ لنفسهِ ذكراً على الأيام ليس يبيدُ
رجلٌ لقد فتح البلاد بصرهِ ولهُ من الهَممِ الجسام جنودُ
قد زاد هذي الأرضَ أرضاً مثلَها ليدَيهِ ألقي كنزُها المرصودُ

برزت إليهِ من الغيوب كأنَّها خَلْقٌ سوى الخَلْق القديم جديدُ
فكأَنهُ إذا حلَّ فيها آدمٌ وكأنَّها فردوسةُ المعهودُ
وقال يشكو تقلب الأيام من قصيدة:
كأني بالبلاد تنوحُ حزناً وقد أودى بعظمتها الثبورُ
يحنُّ الأرزُ في لبنانَ شجواً وتندبُ بعد ذاك العِزّ صُورُ
وتدمرُ في دَمارٍ مستمِرّ وما سكَّانها إلا النسورُ
وأضحت بعلبكُّ وليس فيها سوى خُرَبٍ لعضمتها تشيرُ
فلو درتِ البلاد بما عراها لكادت من تلهفها تمورُ
ومن لطيف قوله في مدح سمو الخديوي عباس:
همامٌ توَّلى الأمر وهو على شفا فشَّيد من أركانهِ ما تضعضعا
تقلَّد أعباءَ الرئاسةِ أمرداً وقد عرفَتْهُ قبل ذلك مرضعاً
فكانت له أمّاً وكان له أباً غذته ورباها وقد نشأا معا
وله تاريخ في الطبيب يوسف الجلخ المتوفى سنة 1869:
هذا الطبيب الذي من بعد مصرعِه أبلى القلوبَ بأسقامٍ وتعذيبِ
أجرى عيون بني الجلخ الكرامِ لهُ بكل دمعٍ من الأجفان مصبوبِ
فقِفْ على تربهِ وأهتف بمرحة عليهِ تهبطُ من تلك المحاريبِ
وقل ليوسف أرّخْ طيَّ مضجعهِ أبَّدتَ في كل قلبٍ حزنَ يعقوبِ
ويعجبنا قوله في ساعة دقاقة:
ومُحْصيةٍ أعمارَنا كلَّما انقضت لنا ساعة دقَّت لها جرسَ الحزنِ
فيا بنت هذا الدهِر سرتِ مسيرةُ فهل أنت دون الناس منهُ على أمنِ
ومثله حسناً قوله في عودٍ طربٍ:
وعودٍ صفا الندمانُ قدماً بظّلهِ وما برحت تصفو لديهِ المجالسُ
تعشَّقَهُ طيرُ الأراكةِ أخضراً وحنّض عليهِ ريشهُ وهو يابسُ
ورأى قدرة بعلبك فذكر قدرة الرحمان بقوله:
يا بعلبكُّ غريبة الأزمانِ والعهد والصنَّاع والبنيانِ
لم تُبلكِ الأّيام في حدثانها إّلا لتُظهر قدرة الرحمانِ
ويا ليت قلمه لم يرقم غير هذه المعاني البليغة ويسودنا ذكر قصائد وكراريس ظهرت غفلاً من اسم مؤلفها ثم صرحت الجرائد بأنه من إنشائه كقصيدته السينية التي نشرها سليم أفندي سركيس في كتابه سر مملكة. وقد تطرف الشيخ حتى قال فيها عن أرباب الأديان:
ما هم رجالُ الله فيكم بل همُ القوم الأبالسْ
يمشون بين ظهورهم تحت الطيالس والقلانسْ

ومثلها شقيقتها البائية التي مطلعها:
تنبهوا واستفيقوا أيَّها العربُ فقد طمى الخطبُ حتى غاصتِ الرُّكبُ
وفي هذه القصائد والمنشورات مطاعن في الدين وتهييج الخواطر على السلطة الشرعية ما كان الشيخ في غنى عنه صوناً لعرضه ولشرف أسمه.
وممن فاتنا ذكره في القسم الأول من هذا الكتاب ولا يسعنا السكوت عنه وهو أحد نجوم تلك الثريا اليازجية المنيرة الشيخ راجي أخو الشيخ ناصيف وجدنا شيئاً من آثاره في حاشية ذيل بها جانب الكتاب الأديب عيسى أفندي اسكندر المعلوف تاريخه المعنون (دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف (199)) فذكر أن الشيخ راجي (1803 - 1857) ديواناً مخطوطا وان شعره يشهد له بالبلاغة وقد أطلعنا له في مجموع مراثي السيد
مكسيموس مظلوم على قصيدة في ذلك الفقيد الجليل أولها:
معدن البرّ محمد الطهر مكسيم وسُ ربُ الحجى حميدُ الخصالِ.
من سرى في طريق مولاهُ حتى سبق السابقين بالإفضالِ
ونحا صارفاً إلى الله فعلاً بالتقي لا بالقلب والإعلالِ
كم محلٍّ سامٍ أشاد وكم من منزلٍ قد بنى من مجد عالِ
فجعتنا بهِ صروف زمانٍ جائراً لا يزالُ في كلّ حالِ
ورمتنا النبالُ منهُ إلى أن لم يَعُدْ موضعٌ لوقع النبالِ
توفي الشيخ راجي سنة 1856 يؤخذ من تاريخ قاله فيه حنا بك أسعد أبي الصعب:
مذ سار راجي اليازجيُّ إلى السما وغدا إلى المولى العليّ مناجياً
قد جاء في ذاك المؤرخ راقماً قد زار فضلك يا إلهي راجياً
وللشيخ راجي يدعى بالشيخ ملحم كان يتعاطى الآداب كأبيه وكان سابقاً نزيل زحلة ولا نعلم شيئاً من أخباره حاضراً. وقد وقع لنا من شعره مرثاة نظمها سنة 1869 في وفاة الدكتور يوسف الجلخ مطلعها:
كؤوس البين دارت في الأنامِ من الشيخ إلى العلام
إلى أن قال:
طبيبٌ كان يشفي كلّ داءٍ إذا استولت تباريحُ السقام
دعاه اليومِ ما لا منهُ شافٍ ولا منهُ سليمُ في الأنامِ
وأعقب فيهِ آل الجلخ سكراً بكأس الحزن لا كأس المدَامِ
وختمها بقوله:
تركتَ العالم الغرّار طوعاً وبتَ مجاوراً دار السلامِ
لئن تكُ قد رحلتَ اليوم عنا فذكرك لا يزال إلى الدوامِ

ونختم هذا الفصل بذكر آخر فرع من الدوحة اليازجية من أولاد الشيخ ناصيف وهي السيدة وردة وأبنته التي عمرت زمناً طويلاً ولم ينطفي سراج إلا منذ زمن قليل فنؤجل عنها الكلام ونذكر أن شاء الله في تاريخ الآداب العربية في الربع الأول من القرن العشرين.
ولا يزال في قيد الحياة محيياً لأسم الأسرة اليازجَّية الخوري الفاضل الشيخ حبيب اليازجي وله كسائر قرابته أنار أدبية طيبة أمد الله في عمره.

آل المراش
كما برز اليازجيون الملكيون في لبنان وبيروت بأنصبابهم على العربية في القسم الثاني من القرن التاسع عشر كذلك كان آل مراش الملكيون يتقدمون في الحلب أهل نحلتهم في رفع منار تلك اللغة. وبنوا المراش عرفوا في حلب منذ القرن الثامن عشر ومنهم كان بطرس المراش الذي قتل في سبيل دينه سنة 1818 في حلب بإغراء جراسيموس أسقف الروم الأرثوذكس مع عشرة آخرين من الكاثوليك (أطلب قصيدة المعلم نقولا الترك في رثاته المشرق 10 (1907): 664)
وعرف بعد قليل فتح الله المراش وكأنه له الماء بالعلوم اللغوية والأدبيات
أبقي منها آثاراً مخطوطة ثم أراد أن يخوض ميداناً لم يكن من فرسانه فعثر جواده وكبا زنده. وذلك انه ألف سنة 1849 كتاباً في أنبشاق الروح القدس فزعم انه من الأب وحده على خلاف معتقد على الآباء والكنيسة الرومانية فدحض أقواله الطيب الذكر السيد البطريرك بولس مسعد باثبت الحجج في كتاب طبع في رومية سنة 1856 فلما أطلع عليه فتح الله المراش أرعوى عن غيه وأذعن المحق الواضح.
وخلفه أبنه فرنسيس فنال شهرة طيبة بذكائه وما عرفه وخلفته الأدبية. ولد في 29 حزيران سنة 1836 ثم تلقن العلوم اللسانية وآداب الشعر وأنكب على دراسة الطب أربع سنوات تحت نظارة طبيب إنكليزي كان في الشهباء وأراد أن يتم دروسه في عاصمة الفرنسيس فسافر إليها في خريف سنة 1866 وقد وصف سفره إليها في كتاب رحلة باريس الذي طبعه في بيروت سنة 1867. ولم يسعده الدهر في غربته فكر راجعاً إلى وطنه وتفرغ للتصنيف لا يكترث لما أصابه من ضعف البصر وانحطاط القوى حتى أفل نجم حياته فمات في مقتبل الكهولة سنة 1873. وكان فرنسيس صادق الإيمان كثير التدين وقد ألف كتاباً بناه على مبادئ العلوم الطبيعية والعقلية بياناً لوجود الخالق وإثباتاً لحقيقة الوحي سماه (شهادة الطبيعة في وجود الله والشريعة) أعرب فيه عن دقة نظر ومعرفة بأحوال الطبيعة والعلوم العصرية. ومن مصنفاته التي تجمع بين الفلسفة والآداب فأودعها الآراء

السياسية والاجتماعية على صورة مبتكرة كتاب (غابة الحق) الذي في حلب سنة 1865 ثم كرر طبعه في بيروت ومصر ومثله كتاب (مشهد الأحوال) المطبوع في بيروت سنة 1883 على أسلوب لطيف ونسق حديث. وفي بيروت طبعت له رواية حسنة دعاها (در الصدف في غرائب الصدف) ومما طبعه قبلها في حلب (1861) كتاب (المرآة الصفية في المبادئ الطبيعة) لخص فيه علم الطبيعة. ثم (خطبة في تعزية الكروب وراحة المتعوب) (1864) وكتاب (الكنوز الغنية في الرموز الميمونة) (1870) وهي قصيدة رائية في نحو خمسمائة بيت ضمنها رموزاً خفية على صورة رواية شعرية. ومن نظمه أيضاً (ديوان مرآة الحسناء) طبعه له محمد وهبه سنة 1872 في مطبعة المعارف في بيروت.

وكان فرنسيس المراش يحب في كلامه الترفع عن الأساليب المبتذلة فيطلب في زثره ونظمه المعاني المبتكرة والتصورات الفلسفية فلا يبالي بانسجام الكلام وسلالته فتجد لذلك في أقواله شيئاً من التعقد والخشونة مع الأعضاء من قواعد اللغة فمن شعره قوله في الحماسة:

فيقوا (كذا) من الغفلات يا أهل الوطنُ أن العدو دنا وها نَقْعُ الفتنَ

حتَّى مَ أنتم يا بُزاةُ روابضٌ هبُّوا فقد حام الغرابُ عن الدِمَنْ

هجَمَ العدوُّ وها الغبارُ وأنتمُ من ذا الغبار ستنسجون لهُ كَفنْ

لا تخجلُ الغربانُ من سعة الفلا يوماً إذا نهضَ العُقابُ من الوكَنْ

ناداكُم الوطن الذي قد ضمَّكُمْ في حضنِه وساقكمُ لبن المِنَنْ

كرُّوا إلى الأعداء كرَّ الأسد يا أسدَ الوفاءِ فهم ثعالبةُ الخَمَونْ

فأصغوا لصوتِ أبٍ لكم يرجو الحمى منكم فهيّأ طاردوا عنهُ المِحَنْ

أو ما ترون الدمع منهُ لأجلكم يهمي فقوموا نشَفوا دمع الوطنْ

لا يَحسن الموت الزؤام لدى امرئٍ لكن فِدى الأوطانِ موتكمُ حسنْ

وله في الزهريات:

هو ذا الصباحُ بدا وبالأنوار طُبعت وجوهُ الكونِ من الإبصارِ

والشمسُ قد نشرتْ بيارقها على قمم الجبال أمام جيشِ نهارِ

وعلى عَمُود الصُّبح قد شاد الضّحى بُرْجَ النهار مسلَّحاً بالنارِ

والشرقُ أوتَرَ قوس نورٍ وانثنى يرمي على الدنيا سهامَ شرارٍ
والليل مزَّق ثوبهُ حزناً على فقد النجوم وغار في الأغوارِ
ما زال مَدُّ النور يرفع في العُلا جَزْر الظلامِ كعاصفٍ لغبارِ
حتى امتلأ جوف انقضاء من الضيا وزهت بذلك كافَّةُ الأقطارِ
فترَّنمَ القُمْريُ فوق غصونهِ طرباً وفاحت نسمةُ الأسحارِ
والنسرُ هبَّ إلى العلا كأنه يبغي المسير مع السحاب الجاري

وقال يشكو الدهر:

رمتْ قلبي نبالُ الدهر حتى رأيتُ دمي يسيلُ من العيونِ
فلو كان الزمان يُصاغُ جسماً لكنت أذيقهُ كأس المنونِ

وقال في خواص الجسم:

الجسم معروفٌ بستّ خصائصٍ فيهِ فعَنْهُ قطُّ ليس تحولُ
عدمُ التداخل وامتدادٌ صورةٌ جذبٌ سكونٌ للتجزّي قبولُ

ومن حكمة قوله:

صدِّقوني كلُ الأنامِ سواءٌ من ملوكٍ إلى رُعاةِ البهائمْ
كلُّ نفسٍ لها سرورٌ وحزنٌ لا تني في ولائمِ أو مآتِمْ
كم أميرٍ في دستهِ باب يسقي بالْهُ والسير في القيدِ ناعمْ
أصغر الخلق مثل أكبرها جزْ ماً لهذا ولذا مزايا تُلائمْ
والخلايا للنحل أعجبُ صنعاً من قصور الملوك ذات الدعائِمْ

وكان فرنسيس الراش يراسل أهل الفضل في زمانه كالشيخ ناصيف اليازجي وغيره. وله مآثر عديدة وفصول إنشائية وأراجيز نشرها أرباب الجرائد في عهده كأصحاب الجوائب والمحلة والزهرة والجنان يطول هنا ذكرها. ومن جيد وصفه قوله في الحسود:

قال لزيدٍ أنَّ عمراً فاز إذ ربحت تجارُتهُ بحظٍّ كيّسِ
فأزورَّ من غضبٍ وسكرَجَ (؟) عينهُ وتنفَّس الصعداء أيَّ تنفّسِ
وغدا يقول مخرطماً ومبرطماً ويلاهُ من تحسين حال المفلسِ
وكذاك لمَّا أخبروا عمراً أن بكراً أغدا ذا رفعةٍ في المجلسِ
أرغى وأزْبد خائراً كالمُعتري وانتاب سحنتَهُ ظلامُ الحندسِ
وأنحاز يصرخ قد كذبتم فاصرخوا أنَّ السعادة لا ترى في المَتعسِ
ورووا على بكرٍ بأنَّ صديقهُ يحيي بعزٍّ ذلٍ قد كُسي

فأنسابَ كالأفعى وقال أعوذُ من عار غدا متبختراً في الأطلسِ
والكلّ يبدون المسرَّة كلَّما سمعوا بنائبةٍ سرت في الأرؤسِ
تبّاً لبغيك أيها الإنسان ما إبليسُ ربُّ النحس منكَ بأنحسِ
ذي كبرياؤك يا لها من آفةٍ كالأفعوان سعت لقتل الأنفسِ

وقد رثاه المرحوم بشاره الشدياق فقال يذكر تآليفه:

تركت يا مفرداً شأنا يذكّرنا شذاء كالمسك لما فاح في الظل
من مشهد قد جلا الأحوالَ بأن لنا منهُ عجائب أفعال بلا خللِ
ومن غرائب ما شهدت من صدفٍ أبهى من الدرّ أو أشهى من العسلِ
ورحا قبرت فيها قد حوت حكماً صيغت من الدرّ من قولٍ ومن عمل

ولفرنسيس الفراش أخُ وأخت اشتهرا أيضاً بالآداب نؤجل ذكرهما فنروي أخبارهما في تاريخ القرن العشرين.

رزق الله حسون وفي هذا الزمان أشتهر حلبي آخر لعب دوراً مذكوراً في نهضة الآداب العربية. نعني به رزق الله بن نعمة الله حسون. ولد هذا في حلب نحو السنة 1825 من أسرة كريمة أصلها من الأرمن ودرس العلوم في دير بزمار في لبنان. وبعد أن قضى مدة في وطنه متاجراً سافر إلى الأستانة فتوطنها برهة من الدهر وصار فيها ناظراً لجمرك الدخان ثم تجول في أوربا ودخل فرنسا وروسيا وحل مدة في لندن وكان في أسفاره يشتغل بالآداب العربية ويؤلف التآليف النثرية والشعرية. وكان خطه بديعاً وفي مكتبتنا الشرقية من قلمه عدة كتب تأخذ بالإبصار لجودة خطها وإتقانها كتبها على ورق جميل النقش كان انتسخها في أوقات الفراغ في خزائن كتب أوربا كصبح الأعشى القلقشندي وديوان الأخطل وديوان ذي الرمة والمتم لأبن درستويه ونقائض جرير والفرزدق والأناجيل المقدسة ترجمة الدبسي. وبعد حوادث سنة 1860 قدم إلى الشام في صحبة فؤاد باشا فكان يعرب مناشيره وأوامره. ثم عاد إلى إنكلترا وأشتغل بالتأليف في قرية ونزورث بقرب قصر الملكة فكتوريا ومما صنفه وقتئذ ثم طبع في المطبعة الأميركية في بيروت سنة 1869 و1870 كتابه (لشعر الشعر) أودعه نظم سفر أيوب ونشيد موسى في الخروج ونشيده في التثنية ثم سفر نشيد الأناشيد لسليمان وسفر الجامعة وختمه بمراثي ارميا. ودونك مثالاً من ترجمته وهو وصف أيوب للفرس:

فهل تُعطي الجوادَ يخبُّ عزماً وتكسو عُنْقهُ عَرْقاً بَسينا
أتوثبه كمثل جرادةٍ نَفخُ منخرهِ مهيبُ السامعينا

ببطن الخَبْث بحَّاثٌ وَثُوبُ ببأسٍ يلتقي الحَرْب الزَّبونا
ويهزأ بالمخاوف ليس يخشى عن الأسياف لم يُحجم جبينا
تصلُّ عليه واقعةً سهامٌ وترهقهُ رماحُ الدارعينا
ويطوي الأرضَ في وَثْبٍ ورجزٍ ولم يُؤمن لصوت البوق حينا
إذا ما البوقُ يُنُفْخَ قال هَهْ مِنْ بعيدٍ شُنَّتِ الهيجا شؤونا

وهذا المثال الآخر من نظمه لمراثي إرميا:

أنَّى خلا منها الأنيسُ البلدةُ ملأى شعوبٍ بالجلاء تشَّتتوا
صارت كأرملةٍ معظَّمةُ الملا أم القُرى ضُربَت عليها الجزْيةُ
تبكي دماً والدمعُ فوق خدودها فَقدت عزاءَ خليلها ووَدُودِها
أصحابها غدروا بها طُرًّا على نمطِ العدى أضحوا شماتَ حسودِها

ومما طبع له في المطبعة الأمريكية (كتاب السير السيدية على ما أداه إلينا المبشرون اللذين كانوا شهداء الكلمة. رتبها بهذا النسق تتبعاً لأزمنة الوقائع والمعجزات من البشارة بمولد يوحنا إلى صعود الرب). وذلك على طريقة طاطيانوس الذي مزج بين الأناجيل الأربعة.

وقد طبع في مطبعتنا كتاب من جنسه وهو المعروف (بالقلادة الدرية في الأربعة الأناجيل السنية) للأب يوحنا بلو اليسوعي.

ومن مآثر رزق الله حسون كتابان آخران طبعهما في لندن: الأول كتاب النفثات ضمنه أربعين مثلاً من أمثال أحد كتبة الروس يدعى ايفان أندريفتش كورلف فنقلها حسون إلى العربية ونظمها شعراً وألحقها ببعض مقاطيع شعرية من نظمه. والتعسف في كثير منها ظاهر وأغلاطها عديدة هذا منها مثال:

دفع الجوعُ والدُّجى الذئبَ حتى أن تداني إلى سُهول البقاعِ
طارقاً لحظيرةٍ ناظراً من نُقْبِ صخر يلوحُ ضوءُ شُعاعِ
فرأى الغَنَم المساكين والسك ين في كفْ حاسرٍ من ذراعِ
يذَبحُ الحمَلَ السمين ويُلقي للعَرَى الكِرْشَ والمعَى في الفقاعِ
والكلابُ روابضٌ ونيامٌ لا تذبُّ ولا ينَبْح تُداعي
فقضى عجباً ووَلى كئيباً خائباً من مرامهِ والمساعي
قائلاً يا كلابُ كم تنبحوني لو تعدَّيتُ مثل هذا الراعي

والكتاب الآخر هو ديوان حاتم الطائي طبعه سنة 1872 على نسخة مكتبة لندن في 33 صفحة وقد طبع هذا الديوان طبعة أخرى أفضل من الطبعة السابقة وأكمل منها على يد أحد المستشرقين الألمان أسمه شولتس

ولـه كتاب آخر نفيس لم يطبع حتى الآن سماه (حسر اللثام) رد فيه على مزاعم بعض المسلمين منه نسخة بخطه في مكتبتنا الشرقية بمجلدين.
وكان رزق الله حسون من رجال السياسة يسعى مع الأحرار في إصلاح تركيا وذلك ما ألجأه إلى سكنى لندن في آخر حياته وهناك طبع جريدته مرآة الأحوال سنة 1876 وكان سبق قبل ذلك طويلة فنشرها في الأستانة فكانت أقدم الجرائد العربية فيها (1 وشفعها سنة 1879 بمجلة سياسية كان مدارها على حال المسألتين الشرقية والمصرية. أما وفاة المترجم فوقعت السنة 1880 مات فجأة في لندن. وكان رزق الله حسون صديقاً لأدباء زمانه يكاتبهم ويساجلهم فمن ذلك ما كتب لبطرس كرامة:
خدبنَ المعالي وابن بَجْدتها الفردُ بقيتَ بقاءَ الدهر يخدمك السعدُ
وزادك ربُّ العرشِ أسنى كرامةٍ قرينٌ بها الإقبال والفخرُ والمجدُ
ولا زلتَ في أمنٍ وموفورَ نعمةٍ ويُمْنِ أيادٍ كسبُها الشكرُ والحمدُ
وبعدُ فقد طال البعادُ ومهجقي يكادُ من الأشواق يضرمُها الوجدُ
وما ليَ عن لُقْياك صبرٌ ولا غنى ولكنّ خَطْبَ الدهر وما بيننا سدُّ
ألا بئسما الأيامُ أغَرتْ يد النوى بنا فاستطالَت ريثما قصرَ الجدُ
موانعُ حالت دون فرضِ زيارتي وقد كنتُ أرجوان يكون لك وفْدُ
وأصبحتُ من إبطائكم في هواجسٍ تحيّرني لا يهتدي نحويَ الرشدُ
فأبغي للاطمئنان منكم ألوكةً إذا لم يكن منكم قدومٌ هو القصدُ
ومما نظمه فيه المعلم بطرس كرامة أبيات قالها لما أقترن سنة 1848 بسيدة تدعى ماتلد فقال:
نهاديك يا نجل الفؤادِ تهانئاً تنبئُ عن أفراحنا حينما تبدُو
بخير اقترانٍ جاء وهو مباركٌ يقارنهُ بر ويصبحهُ سعدُ
فلا زلتما طول الزمان بصحةٍ وعيشٍ رغيدِ بُرْدُهُ الأمن والرفد
زفاف سعيدُ والهناء مؤرخٌ موافٍ لرزق الله بالخير ما تِلْدُ
وقد وجدنا لرزق الله في الهجاء قوله في يوسف حجاز أحد عمله نصر الله دلال الحلبي وكان استغنى بعد فقر فترفع:
المرء يُذكر بالأعمالِ لا المالِ أحْسْنْ بخيرهما عن كسب رئبالِ

ليس الثراءُ بمُجدي النائليه ثنا ان كان ما جمعوهُ سُحْتَ أوبالِ
وهل سمعت بذي كبرٍ وذي صلَف يرقي المعالي بطول القيل والقالِ
قد ظنَّ يوسف حجارٌ بغرته أن العلى هزّ عطفيهِ كمكسالِ
فجاء يخطر لا يلوي على أحدٍ ينيه عجباً بأدبارِ وإقبالِ
الله أكبرُ هذا حالُ ذي شططٍ نال المنى بعد إقتار وإقلالِ
أن ساعدتك الليالي كن على حذرٍ فما تدوم على لون ولا حالِ
هَّلا تذكرت أيَّاماً سلفنَ وقد مضت بخدمة نصر الله دلالِ
ومنها:
أبا هبَّنقة القس الذي اشتهرتْ أخبارهُ سُدْ بجدٍ ناعم البالِ
قد استرحتَ من العقل الرصين ورا عي الضان يَحْكيك في جهلٍ وأمثالِ
لا تأسفنَّ على ما فات عن عرَضِ فالنَّوك داءٌ ولكن غير قتَّالِ
قد عاش قلبك عجلٌ وهو ذو أحَسنٍ لكنَّما أنت لا تُعْزَي إلى آلِ

القس أنطون بولاد
وممن توفاهم الله في هذه الحقبة القس أنطون بولاد أحد أدباء زمانه. ولد في ختام القرن الثامن عشر في دمشق من أسرة فاضلة نمن الروم الملكيين الكاثوليك. ترهب في دير المخلص قرب صيداء سنة 1815 ثم رقاه إلى رتبة الكهنوت السيد باسيليوس خليل أسقف صيداء في 16 نيسان سنة 1822 وقد فرضت إليه رهبانيته عدة وظائف أعرب فيها عن همة ونشاط وترأس على دير القديسة تقلا وعمر أبنية جديدة في دير المخلص ودبر
دروس طلبة رهبانيته وعلمهم اللاهوت مدة. ثم جرت بينه وبين أخوته الرهبان منافرات ومنازعات دخل فيها القاصد الرسولي فيلازدل وغبطة البطريرك مكسيموس مظلوم حتى اعتزل القس انطون الأشغال في دير المخلص وأنقطع إلى الفرائض النسكية على السنة 1860. وفيها أنتقل إلى بيروت من جراء حوادث تلك السنة فسكنها إلى عام وفاته في 1 أيلول سنة 1871. وكان القس أنطون مولعاً بالآداب العربية ولاسيما التاريخ وقد أبقى من آثار اجتهاده كتابه راشد سوريا الذي طبع في بيروت سنة 1868 ضمنه عدداً وافراً من المعلومات والإفادات اقتطفت بعضها من مخطوطات قديمة كالصبح المنبي عن حيثية المتنبي ورسالة الحاتمي في ما أخذه المتنبي من حكم أرسطو فنظمه في شعره مع عدة

فوائد في التاريخ والمصنفات القديمة. ومن آثار القس أنطون بولاد خلاصة تاريخ البطريركية الأنطاكية واتحاد أبنائها مع الكنيسة الرومانية أقترحه عليه الأب غغرين اليسوعي والأمير الروسي المرتد إلى الكثلكة. ومن هذا الكتاب نسخة في مكتبتنا الشرقية وهو مطبوع على الحجر. وفيها أيضاً القس المذكور ملحق ذيل به كتاب التختيكون للقس يوحنا عجيمي وأودعه تاريخ طائفته من السنة 1759 إلى زمانه مع خلاصة أخبار الرهبانية المخلصية.

وله كتابات أخرى ورسائل متفرقة. وقد وجدنا في مكتبة الثلاثة الأقمار بعض مخطوطات كان ابتعها لمكتبته منها مجموعة لقدماء كتبة اليونان وفلاسفة العرب نشرناً قسماً منها.

الخوري جرجس عيسى

وعاصر القس بولاد راهبٌ آخر جاراه بالأدب وهو الخوري جرجس عيسى السكاف الذي أثبت المشرق (9 (1906): 494 و541) ترجمته بقلم الكاتب البارع عيسى أفندي إسكندر المعلوف. ولد الخوري جرجس عيسى في معلقة زحلة وانضوى إلى الرهبانية الحناوية في الشوير سنة 1845 ثم تلقى العلوم الدينية وأنس في نفسه ميلاً إلى الآداب العربية فتخرج فيها على الشيخ ناصيف اليازجي فأتقنها. ودرس الفقه على الشيخ يوسف الأسير فبرع فيه ونصب مدة حاكماً للنصارى في عهد الأمير بشير أحمد اللمعي. وفي أثر حوادث السنة 1860 سافر إلى أيرلندة فجمع احسانات وافرة خص منها بعد عودته إلى سوريا قسماً لبناء المدرسة البطريركية. ولما فتحت هذه المدرسة سنة 1866 كان الخوري عيسى أول رؤسائها وقام بشؤونها الدينية والأدبية أحسن قيام ودبرها سنتين وإليه أشار سليم بك تقلاً في مدحه للمدرسة المذكورة حيث قال:

وقد خصَّها من قبلُ في جرجس الذي أبان أبتداها وابتغى الكدَّ والقهرا

وقاسى بها كل الصِعاب مجاهداً وجملها علماً وقدراً كذا ذكراً

ثم عاد الخوري جرجس إلى دير مار يوحنا الصابغ وتعاطى أعمال الرسالة والوعظ وإرشاد المؤمنين في لبنان وبيروت بغيرة وتقى حتى ذهب في 8 آب سنة 1875 شهيد تفانيه في خدمة المصابين في الهواء الأصفر. فمات في بيروت مأسوفاً عليه وقد رثاه الشيخ خليل اليازجي بداليته التي أولها (المشرق 9 (1906): 499):

سقاكِ من الحَيا صوبُ العهادِ بدمعٍ سال من مُقَلِ الغوادي

وكان الخوري جرجس عيسى شاعراً مجيداً له ديوان مخطوط أنتقى منهُ صاحب ترجمته بعض الشذرات تجدها في عشر صفحات من مجلة المشرق (9: 541 - 551). ومن نظمه قوله من قصيدة يمدح بها الشيخ ناصيف اليازجي:

إذا عُرضت مسائلنا لديهِ نراهُ لحلها حالاً تصدَّى
فيُوضح رمزَها لفظاً ومعنىً ويكشف سرَّها قرباً وبُعداً
لهُ في مجلس العلماء مرأىً تجاوز في المهابة منهُ حدّاً
إذا أختلف النحاة بحكم أمرٍ وقدَّم رأيَهُ فيه تبدَّى
وإن أفتى بخطٍ أو لسانِ ففتواهُ الصحيحةُ لن تُردَّا

وله مؤرخاً وفاة السيد البطريرك مكسيموس مظلوم سنة 1855:

مكسيموسُ المفضال بطركنا الذي كان الأمينَ لشعب مولاهُ العلي
لما أرتقي دار الخلود ممجَّداً لاقته أجواق العلاءِ بمحفلِ
وهناك من فرحٍ مؤرّخهُ تلا أحسنت يا عبداً أميناً فأدخلِ

والمترجم ما عدا الديوان الشعري كتابان دينيان طبعهما سنة 1872 في المطبعة الأدبية أحدهما (فرض العبادة الواضحة لطالبي الميتة الصالحة) والآخر (كتاب صلوات خشوعية لنظم الحيوة الروحية).

جرجس إسحق طراد

وكذلك عرف في تلك المدة شاعرٌ من أسرة وجيهة في بيروت أسمه جرجس أسحق طراد تكرر ذكره في منشورات زمانه كالجوائب والنحلة وغيرهما. وله هناك فصول نقلها من اليونانية وقصائد منها قصيدة دعاها المصباح مدح فيها العلم: ومن أبياتها قوله:

العلم مصباحٌ منيرٌ في الورى والجهل ليلٌ مظلم لن يلمعا
فاسعوا بكسب العلم سعياً كاملاً واللهُ يعلي كلَّ خير من سعى
واجلوا شموس العلم في بيروتنا فالجهلُ غيرَ بسيفهِ لن يُردعا

وله من أبيات في مدح مجلة النحلة سنة 1870:

هيَ نحلةٌ من كلّ فنّ قد جنتْ وجلّت عن التاريخ ما هو مظلمُ
هبُّوا بني الأوطانِ واجنُوا شهدها قد حان آنُ قطافهِ والموسمُ
وشي صحائفها جليلٌ ماجدٌ في وصفهِ الأوطانُ تزهو وتبسمُ

وقد رثي الطيب الذكر المطران طوبياً عون رئيس أساقفة بيروت الماروني سنة 1871 بمرثاة قال فيها:

**خطبٌ جسيم دهانا اليوم وا أسفي		كلُّ إذا قائلاً قد ضاع مصطبري**
**فقدُ الهمامِ الكريمِ الحاذق الورعِ		م الذي تردَّى بثوب الخير والطُهر**
**عونُ الفقيرِ حليمٌ ماجدٌ فطنٌ		شهمٌ شهيرٌ وذو قلبٍ بلا وضَرِ**
وقد مدح أيضاً إسماعيل باشا خديوي مصر فقال من قصيدة:
**على إسماعيل سيدنا سلامٌ		تردّدهُ الأكابرُ والصغارُ**
**إذا ما غاب غاب العزُّ معهُ		كما أن عاد عاد لنا الفخارُ**
**لعزَّتِه تخرُّ الأسدُ طوعاً		كما للموت وللموت اضطرارُ**
**فما الإسكندرية في حماهُ		سوى روضٍ يحلّله اخضرارُ**
**ومصر الآنَ في الأقطار خُودٌ		تميس بحلَّةٍ لا تُستعارُ**
ومن حكمه قوله:
**ما كلُّ من رامَ نظم الشعر يدركُه		ولا الذي رام يفدي الناس يفديها**
**ليس الذي عاش أيّاماً مطولةً		بل الذي عركَ الأيام يدريها**
**بين الحيوة وكلِّ الناس معركةٌ		بالحظّ والبؤس تفنينا ونفنيها**
وكان مولد هذا الشاعر سنة 1851 ووفاته في كانون من السنة 1877. أما أخباره فقد تخفينا في السؤال عنها فلم نحصل على شيء منها. وكذلك لم نقف على أخبار كاتب آخر تلوح من آثاره لوائح النجابة والذكاء نريد المرحوم (قيصر أبيلا). ومن العجب أن الذين أفادونا عن تاريخ بيت أبيلا (المشرق 6 (1903): 654) لم يتعرضوا الذكر قيصر. وقد كنا عثرنا له على قصيدة دينية حسنة النظم فأثبتنا النظم فأثبتناها في مجلتنا (7 (1904): 256) وهي عبارة عن مفاوضة غاية في الرقة بين الله والخاطئ أولها:
**يدعوك رُّبك أيها المتمرّدُ		حتى مَ في الليل المعاصي تَرقدُ**
**فأجبْ نداهُ وأعتصم بحبالهِ		فهو المجيرُ وغيرهُ لا يَعضدُ**
وله غير ذلك من الآثار منها نبذ في مواد علمية وصناعية وأدبية نشرها في مجلة النحلة سنة 1870 (ص 22، 36، 52 الخ). توفي قيصر في شرخ شبابه في صيداء سنة 1873 فأرخ وفاته نقولا أفندي النقاش:
**قد غبت يا بدراً منيراً بالثرا		وغدا الظلامُ مخيّماً فوق الورى**
**وكسوت أبيلا كساءَ تفجعٍ		حاشاهُ أن يغني وان يتغَّيرا**
**رفقاً بأدمع والهِ يا آلهُ		وتصَّبروا فكفاكُم ما قد جرى**
**أين القياصرة المعظمُ قدرُهم		فالكل ساروا والبقاءُ تعذَّرا**
**ونعم فقدتم قيصراً لكنما		أرَخْ غدا بالله قيصرُ قيصرا (1873)**

ومن شعر قيصر أبيلا قوله في وصف الدنيا ونكباتها:
ذر الدَّهرَ فالأيام فاسخةُ العقدِ وناشرة البلوى وطاوية العهدِ
وما هذه الدنيا سوى دارِ ذلَّةٍ وفيها يجولُ المرءُ في الهمّ والكدّ
نروم بها طول البقاء ودونهُ سيوفُ القضا بالفتك ماضيةُ الحدّ
تُخادعنا الدنيا بوعدِ مسرَّةٍ وليس البأساءِ فيها وفا الوعدِ
تسلُّ على ذي الملك والجاه سيفَها كما إنّها تسطو على أحقرِ العَبْدِ
وهيهاتُ ما الدنيا الغَرورُ بمنزل ولكن بها نجري إلى منزل الخلدِ
وكلٌّ على هذا الطريقِ مسافرٌ فلا صاحبٌ يَفْدي ولا ثروةٌ تُجدْي
ومن مديحه قوله في مجلة النحلة:
ألا حبَّذا القومُ الكرامُ الألى لهم على وطنِ من خير أفضالهم فضلُ
عليهم ثناءٌ لا يزال مؤَّبداً يطيبُ كما طاب الذي جنتِ النحلُ
فأكِرمْ بمَنْ من روضِ أفكارهم لنا جني نحلةٍ يحلو وأثمانهُ تغلو
تطيب لنا مما حوتهُ فوائدٌ وأعذبُ شيء ما يلَذُّ بهِ العقلُ
ونضيف إلى من سبقوا أديباً آخر توفي نحو السنة 1873 أسمه (أسعد باز) صنف موشحات وأغاني تقوية منها تسبحتان في مريم العذراء شائعتان: (أنت الشفيع الأكرم) و(يا بتول ارحمي عبيدك). ومما أفادنا به جانب القانوني جرجي بك صفا أبيات لأسعد باز قالها سنة 1830 في تاريخ بناء كنيسة دير القمر المعروفة بسيدة التلة:
يا مَقْدس الدين الذي يسمو على قمر العلى نوراً بإشراقٍ بدا
فقد زانهُ الرحمان في آياتهِ وبجودة المنَّان عاد مجددًّا
طوبى لمن وافى إليهِ طالباً من مريم البكرِ العنايةَ والهُدى
ويقول تاريخاً بهِ مترنماً أنتِ رجا القصّادِ بل سببُ الفدا
ولما أهدى الفاضل غالب أفندي صورة السيدة تلك الكنيسة قال أسعد باز:
تَخذُتكِ يا بتولاً لي ملاذاً حصيناً يُرتجي عند المخاطرْ
فأرجوك العناية بي لأني أنا عبدٌ لكِ بذنوبي شاعرْ
وله أيضاً بقيام لعازر:
يا بيت عنيا قد غدوتِ مشاهداً لعجائب الله التي تسبي الورى

قد جاءك المولى المخلّص زائراً أحيا بكِ البيتَ الرميم من الثرى

وتوفي في هذا الزمان (26 كانون الأول سنة 1870) أحد وجوه الأسرة الدحداحية أجادوا بالكتابة (الشيخ أمين) الذي أتخذه الأمير حيدر كرئيس كتبته لما فوضت إليه قائمقامية النصارى في لبنان. وقد ذكر له في مكاتبنا الأديب الشيخ سليم الدحداح في مقالته عن الكنت رشيد وأسرته (في المشرق 4 (1901): 395) آثاراً أدبية ومنظومات شهدت له رسوخ القدم في الآداب العربية وأيد قوله بذكر ما دار بينه وبين أدباء عصره من المساجلات والمكاتبات المنبئة بفضله وباعتبار معاصريه له.

هذا ما أمكنا جمعه من أخبار أدباء النصارى في هذه الحقبة ولا مراء أنه فاتنا منها أشياء كثيرة وأملنا من أصحاب الفضل والهمة أن يسدوا الخل أو يرشدونا إلى ما يعرفونه من الفوائد فننشرها شاكرين. وقد عدلنا عن ذكر الذين قصروا همتهم إلى تآليف دينية أو جدلية قليلة كالسيد أمبرسيوس عبده المتوفى سنة 1876 بعد تدبيره مدة لكرسي زحلة ونقله إلى القلاية الأورشليمية وهو مؤلف كتاب كنز الرياضة الروحية. وكالار شمندريت غبريل جبارة أحد الذين عدلوا جهلاً عن الكثلكة إلى الأرثوذكسية بسبب تغيير الحساب.

توفي سنة 1878 في أزمير. وله كتابات جدلية لتأييد راية الباطل في الحساب الشرقي وبعض كتب دينية ومواعض.

وغير هؤلاء ممن أبقوا لنا بعض آثار من فضلهم وآدابهم. أما أخبارهم فلم يفدنا أحد منها شيئاً مع قرب عهدهم من زماننا.

المستشرقون الأوربيون
الفرنسيون

بقيت أزمة الدروس الشرقية في أيدي الفرنسويين في السنين العشر التي تمتد من السنة 1870 إلى 1880 وان خدمت تلك الحركة بعض الخمود بعد الحرب السبعينية. وكان معظم المستشرقين في فرنسا قد تخرجوا على أولئلك الأئمة اللذين سبق ذكرهم كالبارون دي ساسي ودي كاتر مار ورينو فتقفى تلامذتهم آثارهم إلا أن الموت حل ببعضهم فرزئت بهم الآداب العربية.

وأول من يستحق أن تشق عليه الآداب جيوبها العلامة (كوسان دي برسفال) الذي سبق لنا ذكر والده. ولد في 13 ك1 سنة 1795 وانكب منذ شبابه على الدروس الشرقية ثم أرسلته حكومته بصفة ترجمان إلى الأستانة ثم إلى أزمير ثم جال ثلاث سنوات في بلاد الشام فيكن جبلها ومدنها وتوغل في باديتها حيث أبتاع لحكومته جياداً أصيلة. وكان في سياحته أتقن اللهجات العربية فألف فيها غراماً طيقاً وأصلح معجم الأستاذ القطبي اليوس نجتر فجدد طبعه. وقد ندبته الحكومة إلى

تدريس اللغة العربية في مكتب دروسها العليا فلم يلبث أن أحرز له شهرة كبيرة في التعليم. ثم خص حياته في درس آثار العرب وتاريخهم القديم وقد ألف في ذلك كتاباً واسعاً في ثلاث مجلدات لم يبلغ فيه أحد شأوه وقد نفد فيه طبعه حتى بيع بثلاثمائة فرنك إلى أن جدد طبعه بالنور والحجر. وللمسيو دي برسفال تآليف أخرى عديدة ومقالات فنية في كل آداب الشرق أخضها تراجم الموسيقيين العرب. كانت وفاته وقت حصار باريس وفيها مات في 15ك2 1871.
ومن مشاهير المتوفين من المستشرقين في هذه السنين (لويس أمالي سيديليو) ولد في باريس في 33 حزيران سنة 1808 وتخرج على أبيه الفلكي المغرم بآداب الشرق (ج1ص 65) فتعقب آثاره وجعل ينقب في المكاتب الشرقية ليستخرج منها دفائنها فنجح في ذلك بعض النجاح. ونشر سنة 1833 كتب أبي الحسن علي المراكشي المدعو جامع المبادئ والغايات في الآلات الفلكية الذي نقله أبوه إلى الفرنسوية ثم نشر القسم الثاني منه في مجموعة المقالات الأكاديمية الفرنسوية. - 225) ونشر مقالات أخرى رياضية لأحمد بن محمد السنجاري وللإمام المظفر الأسفرلدي وصنف تاريخاً للرياضيات عند اليونان والعرب. وقد بالغ المسيو سيديليو في تعظيم اكتشافات العرب الفلكية وغيرها حتى بخس حقوق اليونان فقام بينه وبين علماء زمانه جدال عنيف في ذلك فخطأوه وأثبتوا له أنه تجاوز في كلامه حدود الحقيقة. وكذا يقال عن تاريخ العرب الذي ألفه وطبعه مرتين فأنه قد رمى الكلام على عواهنه وشط في مزاعمه وقد خدع في كتابة المصريون فنقلوه إلى العربية ظناً منهم أنه من الآثار الفريدة. توفي المسيو سيدلو في 2 ك1 سنة 1875 في باريس.
ولبى دعوة ربه بزمن قليل المسيو (جول موهل) كأن هذا الألماني الأصل فولد في ستوتغارت سنة 1800 ودرس في كلية توبنغن. ثم شعر في نفسه ميلاً إلى الدروس الشرقية فقصد باريس ودرس على علمائها ثم تجنس بالجنسية الفرنسوية وتفرغ للتأليف فكتب الفصول الواسعة في كل الفنون الشرقية. حتى أن خطبة ألقاها في الجمعية الآسيوية الفرنسوية عن الشرق تقوم مقام كتاب يشمل كل تاريخها الحديث. وكان متعمقاً في آداب الفرس وهو الذي نشر في باريس كتاب الفردوسي المعروف بشاه نامه طبعه طبعاً بديعاً في سبعة مجلدات ضخمة ونقله إلى الفرنسوية وذيله بالحواشي وعلم سنين طويلة اللغة الفارسية في مكتب باريس الأعلى. توفي في 4 ك1 سنة 1876.
وفي 15 نيسان السنة 1877 فجعت الآداب الشرقية بأحد أركانها المسيو فرنسوا الفنس بلن كان قطناً زمناً طويلاً بلاد الشرق وخصوصاً عاصمة الملكة العثمانية حيث تعين

قنصلاً لدولته. وكان مع تدبيره لشؤون القنصلية يهتم بدرس تاريخ الشرق وكشف أسراره فوضع مصنفات جليلة في تاريخ الترك وآدابهم. وكان يعني خصوصاً بتاريخ نصارى الشرق وأحوالهم وله في المجلة الآسيوية الفرنسوية فصول حسنة في كل أبواب المعارف الشرقية وقد ألف تاريخاً للطائفة اللاتينية في الأستانة العلية. كان مولده في باريس سنة 1817 ووفاته في الأستانة.
وفي السنة التالية (2 أيلول 1878) توفي المستشرق الشهير (غارسن دي تاسي) ولد في مرسيلية سنة 1794 ودرس في باريس اللغات الشرقية على أمامها الأكبر دي ساسي.
فأشتهر فيها ولا سيما في اللغتين الفارسية والهندستانية وقد توفرت مصنفاته فيها. ومن أناره (مجموع الرموز الشرقية) جمعه من آداب العرب وغيرهم ونقله إلى الفرنسوية. ومنها كتاب في العروض والنظم عند الشرقيين. وكتاب آخر في البيان البديع. وقد نشر كتاب كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار لأبن غانم المقدسي وحشاه وترجمه إلى الفرنسوية
وله غير ذلك.
وفي هذه السنة 1879 وقعت وفاة مستشرق آخر شهير أدى للآداب العربية عدة خدم يزيد به المسيو (دي سلان) وجه الحاظه إلى بلاد المغرب ودرس أخبار البربر فألف فيهم تاريخاً في ستة مجلدات ثم تعشق أبن خلدون وأتم ترجمة مقدمته التي كان باشر بها العلامة دي كاترمار فطبعها في ستة مجلدات ثلاثة أفرنسية. ومن مآثره الطيبة نشره لديوان امرئ القيس مع ترجمته اللاتينية في باريس سنة 1837 ثم وفاة الأعيان لأبن خلكان ثم وصفه للمخطوطات العربية التي تصان في مكتبة باريس العمومية لكن الموت حال دون تتمة العمل فلأتمه المسيو زوتنبرغ ومن الكهنة اللذين أبقوا لهم ذكراً بدرس الشرقيات في باريس (الأب غلار) من جمعية سان سولبيس ولد سنة 1798 وبرز في الآداب الشرقية فندبته الحكومة الفرنسوية إلى تدرس اللغة العبرانية في مدرستها العليا خلفاً لكاهن آخر من جمعيته الأب لوهير الذي تخرج عليه رينان في درس العبرانية. وكان الأب غلار حاذقاً في تفسير الكتب المقدسة وتولى شرحها في مدارس دولته العمومية وكان عارفاً باللغة العربية وقد وضع في أصولها كتاباً مطولاً في اللغة الفرنسوية. توفي الخوري غلار في مدرسة إسي قريباً في باريس سنة 1879.
وكان يعاصر هذين الكاهنين كاهن فاضل من إلا أنه سكن المغرب وأشتهر في تونس نريد به الأب (فرنسوا بورغاد) ولد سنة 1806. وبعد كهنوته سنة 1832 طلب أعمال الرسالة فرحل إلى الجزائر سنة 1838 وخدم فيها راهبات مار يوسف ثم رافقهن إلى تونس سنة 1840 وولي هناك خدمة كنيسة

مار لويس التي شيدتها الحكومة الفرنسوية ومن مساعيه المشكورة انه انشأ مستشفى لأبناء وطنه وفتح لهم مدارس أدارها بكل غيرة وفتح أول مطبعة عرقت في تونس. وكان الأب بورغاد محباً للآداب العربية مطلعاً على أحوال العرب وتواريخهم وقد وضع عدة تأليف تنبئ بسعة معارفه لآداب الإسلام منها كتابة المعروف بسامرات قرطجنة في ثلاثة أقسام طبعه بالفرنسوية والعربية. ومنها كتاب في تاريخ تونس.
وله تنفيذ على سيرة المسيح التي ألفها الملحد رينان. وطبع بالعربية نبذاً من قصة عنتر وقلائد العقيان لأبي نصر الفتح بن خاقان وغير ذلك. وقد أنشأ جريدتين عربيتين عقاب باريس والبرجيس. وكان أتخذ له بصفة كاتب ومحرر سليمان الحرائري الذي ملا لنا ذكره. توفي الأب بورغاد في 20 أيلول سنة 1866.
ونختتم جدول هؤلاء المستشرقين الفرنسويين بأحد الأثريين المسيو (دي سوسي) توفي في 3 تشرين الثاني سنة 1880 وعمره 73 سنة بعد أن أدى الدروس الشرقية خدماً عظيمة بتعريف آثار الشرق ولا سيما النقود القديمة فأنه ساح مراراً في الشام وفلسطين ومصر وبلاد اليونان وجهات تركيا فدرس آثارها درساً نعماً وفك كثيراً من أسرار كتاباتها القديمة في لغات الشرق كالعبرانية والفينقية والآشورية والعربية. والكتب التي ألفها في
وصف العاديات التي أكتشفها أو في حل رموزها تنيف على المائة. وبعض هذه التآليف كتب ضخمة. وله أيضاً عدة تواريخ وأسفار كرحلته إلى الأراضي المقدسة في مجلدين وتاريخ هيرودس الكبير. لكنه برز في علم المصكوكات القديمة.

الألمانيون
سبق لنا الكلام عن مشاهير مستشر في الألمان كفريتاغ وفلوغل فبعث هؤلاء في مواطنيهم حمية الدروس الشرقية فأخذوا يجارون الفرنسويين في حلبة الآداب ويسعون نطاق مدارسهم الشرقية. وممن استحقوا شكر الأدباء في هذه البرهة من الدهر العلامة (ايفلد) ولد في غوتنغن سنة 1803 ودرس في وطنه العلوم الدينية ويعده البروتستانت من كبار أئمتهم في اللاهوت له فيه كتابات عديدة وقد علمه زمناً طويلاً في مدارس الألمانية وكان تبخر في درس اللغات الشرقية. ومن مآثره العربية غراماطيق واسع في جزأين صنفه باللغة الألمانية. وقد
كتب أيضاً في الشعر والعروض ونشر كتاب فتوح الجزيرة المنسوب إلى الواقدي ووصف المخطوطات العربية المصونة في غوتا. توفي ايفلد في 4 أيار سنة 1875.

وأشتهر أيضاً ألماني آخر أسمه (هرمان روديغر) كان أبوه أميل روديغر سبقه إلى الدرس الشرقيات فنشر أمثال لقمان الحكيم وكتب في الترجمات الشرقية للأسفار المقدسة التاريخية توفي في 15 حزيران 1877 في برلين. وقد خلفه ابنه هرمان روديغر في درس الآداب العربية وعلمها مدة في مدينة هال ومن آثاره اشتغاله بكتاب جليل يدعى الفهرست لأبي الفرج ابن النديم كان باشر بطبعه العلامة فلوغل ففاجأه الموت ولم يتممه فأنجزه العالمان أوغست مولر وهرمان روديغر. وقد كتب روديغر في بعض اللغويات العربية عدة مقالات منها تأليف واسع في أسماء الأفعال.

الروس

سبق لنا ذكر عنايتهم بالآداب العربية وكانت دولتهم لبسط سيطرتها على أنحاء من القارة الآسيوية أحست بحاجتها إلى لغة قسم كبير من رعاياها فأنشأت مكتباً خصوصياً للغات الشرقية من جملتها اللغتان العربية والفارسية عهدت بتدريسها إلى أثنين من تلامذة البارون دي ساسي وهما الأستاذان (ديمانج) (وشرموا) صاحب التآليف الخطيرة في تاريخ المغول والأكراد. وأخذ ديمانج تلميذه الروسي (بوتجانوف) الذي نشر بعض قصائد لأبي العلاء المعري وللنابغة الذبياني. وفي عهده كان (الكسيس بولديراف) الذي رحل إلى باريس وسمع دي ساسي وعلم في موسكو وترأس على كليتها. ومن تركته العلمية نشره لمعلقتي الحارث ابن حلزة وعنترة ثم منتخبات عربية طبعها في موسكو سنة 1832. وله فصول ومقالات شتى في منشورات بلاده. زكان عالماً باللغة الفارسية ترك فيها آثاراً مذكورة.
وعاصره عالم روسي آخر (يوسف سيانكوفسكي) ولد في بلاد ليتيوانية في أوائل القرن التاسع عشر ودرس العربية وهو في مقتبل العمر ثم ساح في بلاد الشام ومصر وعاد إلى بطرسبرج حيث درس اللغتين العربية والتركية. وكان عالماً باللهجات العامية فكتب في ذلك عدة فصول مفيدة ونشر قصصاً وحكايات وبعض روايات عنتر. وله مقالة حسنة في ديوان لبيد. وساعد برغرغين في تأليف دليلة للسياح في الشام ومصر سنة 1844. ومن مآثره أنه جمع من تواريخ العرب والترك والفرس ما رووه عن قبائل الهونيين وعن أمور وطنه
بولنية.
وقد تخرج على سيانكو فسكي كثيرون من الروسيين أشتهر بينهم (سافلياف) الكاتب الأول لأسرار الجمعية الأثرية في بطرسبوبرج وأحد خدمة الآداب الشرقية في بلاده. ثم غريغوراف معلم التواريخ الشرقية في عاصمة دولته توفي في 2 ك2 1882.

وعرف في ذلك الوقت الكاهن الروسي (بافسكي)   نقل الكتب المقدسة من العبرانية إلى الروسية وألف كتاب بأصول اللغة العبرانية وكان متضلعاً بالعاديات الشرقية في صنف فيها المقالات المستجادة. وأشتهر مثله في العبرانية العالم (كاجتان كوسوفتش)   الذي نقل إلى الروسية غراماطيق جزنيوس العبراني وحشاه وقد نشر منتخبات عبرانية توفي في 7 شباط 1883.
وفي السنة 1854 أنشأ في كلية بطرسبورج مكتب خصوصي لدرس العلوم الشرقية فدعي إلى تدريس العربية فيه المسيو نفروتسكي   الذي وضع في أصول اللغة العربية كتاباً يرجع إليه علماء الروس حتى يومنا هذا. وكان يسعفه في تدريس اللغة العامية الشيخ محمد الطنطاوي المتوفى سنة 1881 وله في اللهجة المصرية كتاب معروف.
واشهر من هؤلاء المستشرق الروسي الياس نيقولافتش برازين   ولد سنة 1818 ودرس في كلية قازان اللغات الشرقية ثم أرسلته الكلية إلى بلاد الشرق فطاف أقطار العجم ثم الجزيرة وبر الأناضول والشام ومصر وسكن الأستانة مدة ثم عاد إلى بلاده ماراً بالقريم ثم رحل إلى سيبارية ودرس آثار التتار وكتب تاريخهم. ثم علم مدة في كلية قازان اللغة التركية وله فيها وفي الفارسية عدة تآليف. وكان يعرف اللغة العربية ودرس خصوصاً
لهجات بلاد الجزيرة وما بين النهرين فوصفها ثم أنقطع إلى تاريخ الدول الإسلامية وكتب فيها كتابات أثرية وتاريخية وجغرافية وأدبية ولغوية وقد أجاد في وصف شيع اليزيديين والاسماعيليين وأسهب في تعريف نصارى الشام وما بين النهرين. وقد تولى إدارة المطبوعات الشرقية في قازان إلى وفاته نحو السنة 1870.
وقد أشبه العلامة برازين روسي آخر سبق لنا ذكره (ج1 ص 126) المسيو خانيكوف فأنه رحل أيضاً إلى العجم وأواسط آسية وكتب في آثار بخارى وسمرقند وفي آداب الفرس وشعرائهم. توفي سنة 1879.
ونختم بذكر مستشرق اسوجي لبى دعوة ربه في هذه الردحة نعني به كرل ترنبرغ   فإنه ولد في 23 ت2 سنة 1807 وتتلمذ لدى ساسي في باريس وعلَّم في كليَّة اوبسالا اللغة العربية. ولهُ تآليف في آثار العرب تستوجب شكر محبي الشرقيات أخصها تاريخ الكامل لابن الأثير طبعهُ في 14 مجلداً وأضاف إليه ملحوظات مهمة وفهارس. ثم تاريخ فاس المسمى كتاب الأنيس المطرب روض القرطاس للشيخ ابن أبي زُرع نشره ونقله إلى اللاتينية.
وكذا فعل بمنتخبات من تاريخ ابن خلدون ومن خريدة العجائب لابن الوردي ووصف المخطوطات الشرقية المصونة في مدينة اوبسالا. توفي الدكتور ترنبرغ في لند في 6 أيلول 1877.

الفصل الثاني
الآداب العربيَّة من السنة 1880 إلى ختام القرن التاسع عشر
نظر عام
الكليات والمدارس
لم تبلغ الآداب العربية في القرن التاسع عشر كله ما بلغته في حقبته الأخيرة فإنها أصبحت إذ ذاك كالزهرة المتفتحة من زرها المعطرة الأرجاء بعرفها وكالشجرة التي بسقت أفنانها ومدَّت في قاع الأرض أصولها فلم تعد ترهب الأنواء أو تكترث لزعازع الرياح. وكان الفضل الأكبر في نجاز هذا المشروع العظيم لبلاد الشام وخصوصاً لبيروت التي أضحت كمركز دائرة الآداب تجتذب إليها زهرة الشبيبة من أنحاء سوريَّة ومصر والعراق فتغذيهم بأفاويق العلوم وتعيدهم إلى أوطانهم فيرقّون شيئاً فشيئاً عقول مواطنيهم ويوسعون نطاق التمدن بنفوذهم.
ولا مراء أن المدارس لعبت الدور الأهم في هذا الترقي الشريف فكانت الكليَّة الأمركيَّة بلغت عزَّ قوتها تحت نظارة رئيسها النشيط الدكتور دانيال بلس وبهمة بعض أساتذتها ولا سيما الدكاترة كرنيليوس فان ديك ولويس وجرج بست ويوحنا ورتبات مع مساعدة بعض الوطنيين. وكان وقتئذٍ تعليم المدرسة باللغة العربية فوضعت عمدة الكلية في العربية أو نقلت إليها عدداً وافراً من التآليف العلميَّة التي أدت خدماً مؤقتة لنشر العلوم في الشام وغيرها إلى أن عدلت المدرسة عن العربية إلى الإنكليزية لما تحققت إن تلك التآليف تحتاج في كل سنة إلى إصلاح وتحسين بتقدم العلوم فلا تفي بالمرام بعد زمن قليل ما لم يكرر طبعها مع وفرة نفقاتها.
وكانت الكلية اليسوعيَّة مع حداثة نشأتها تباري رصيفتها الأميركية في نشر المعارف الدينيَّة والدنيويَّة. وكان الأحبار الرومانيون يعلقون عليها الآمال الطيبة في إعلاء منار الدين والعلم بين الطوائف الشرقية فمنحها السعيد الذكر بيوس التاسع سنة 1874 اسم كلية وقام من بعده خلفه المغبوط لاون الثالث عشر فخصها سنة 1881 بامتيازات أخرى وخصوصاً أن تعطي طلبتها شهادة الملفنة في اللاهوت والحق القانوني والفلسفة.
وكانت الدولة الفرنسوية في تلك الأثناء ساعية في تعزيز مدارسها في الشرق فرأت في كلية القديس يوسف محققاً لغايتها ضامناً لحسن نياتها فمنحت لطلبتها الإجازة كطالبي مدارسها في فرنسا. ثم وكلت إلى رؤسائها أن يلحقوا بالكلية

مكتباً طبياً. فتم ذلك فعلاً سنة 1883 وأنشئت الدروس الطبية بكل فروعها التي تبلغ الأثني عشر لكل منها معلمها الاختصاصي. فزادت هذه الإنعامات كليتنا نشاطاً وعزيمة ورقتها إلى درجة ما كانت لتطمع فيها الآمال. وكان للدروس العربية في ذلك الترقي حظها من الاهتمام كما أثبتنا الأمر في خطبة ألقيناها على الحضور في حفلة توزيع الجوائز سنة 1898 (المشرق 1(1898): 699) فخصصنا فيها الكلام عن تدريس العربية في كليتنا وقد كررنا طبعها في السنة الحالية 1925 بنسبة وقوع يوبيل الكلية الذهبي وعددنا تآليف نيف ومائتين من تلامذتها بينهم الكتبة والخطباء والشعراء والصحافيون واللغويون.

المدارس الكاثوليكية
وكانت المدارس الثانوية بعضها للمرسلين وبعضها للوطنيين تركض جيادها في ذلك المضمار. فمنها ما كان سبق إنشاؤه تلك الحقبة فمر لنا ذكره ومنها ما استجد ما استجد افتتاحه كمدارس (الفرير) في بيروت وقدس وحيفا ويافا وطرابلس ومدرسة الآباء الكبوشيين في صليما والآباء الكرمليين في القبيات والآباء اليسوعيين في صيداء وحمص ومدرسة القلعة.
وأعظم منها مدرسة القديسة حنة الأكليريكية المعروفة بالصلاحية التي أسسها سنة 1882 نيافة الكردينال لافيجري وخصها بتهذيب طلبة الكهنوت من طائفة الروم الكاثوليك تحت إدارة الآباء البيض (أطلب في المشرق 10 (1907): 865 مقالة المرحوم الخوري نقولا دهان في تاريخ تلك المدرسة وأعمالها). وتعددت المدارس الابتدائية للذكور وللإناث فحظيت بها أكثر قوى بها وسهول البقاع ونواحي حوران بهمة المرسلين اليسوعيين واللعازريين فضلاً عما عني بإنشائه المرسلون البروتستانت في أنحاء شتى.
أما المدارس الطائفية فأنشئ منها للدروس الثانوية مدرسة غزير المارونية كان الساعي بها الخوري لويس زوين سنة 1880 ومدرسة قرنة شهوان المعروفة باللبنانية من أثمار همة السيد يوسف الزغبي سنة 1883. وفتح الروم الكاثوليك في دمشق مدرستهم البطريركية التي أقبل عليها الأحداث لحسن نظامها. وكذلك مدرستهم الأسقفية في زحلة أهتم بتدبيرها كهنة أفاضل أخصهم الخوري فيلبوس غير والخوري بطرلاس الجريجري قبل انتخابه إلى كرسي بانياس. وفي السنة 1898 أقامت الرهبانية الباسيلية الحناوية مدرستها الشرقية وقد نعتتها بالكلية فكانت إلى أيام الحرب الكونية من المعاهد التي تزين مدينة زحلة. وأنشأ الروم الكاثوليك بعد ذلك مدرسة حلب التي يدبرها عدة كهنة من تلامذة القديسة حنة تحت نظارة راعيها الغيور السيد ديمتريوس القاضي قبل ارتفاعه إلى السدة البطريركية. وزيد أيضاً بمساعي الطوائف

الشرقية عدة مدارس الابتدائية في عدة أمكنة فأصبحت بذلك أثمار العلوم دانية القطوف حتى بين القرويين والفقراء.

المدارس غير الكاثوليكية
وما نعرفه من أكور المدارس غير الكاثوليكية إنشاء الروم الأرثوذكس لمدرسة كفتين سنة 1882 فتقبلت عليها الأحوال بين تقدم وتأخر حتى أقفلت. ومثلها المدرسة الأكليركية في دير البلمند التي أصابت بعض النجاح مدة. وأنشأت السيدة أملي سرسق مدرسة وطنية في الثغر لبنات طائفتها دعتها زهرة الإحسان عام 1880. وقد وجد الروم الأرثوذكس مساعداً كبيراً في الدولة الروسية لتوفير مدارسهم وحسن تنظيمها. فأن شركة فلسطين المسكوبية أخذت بإنشاء عدة مدارس في الشام وفلسطين كانت تنفق عليها المبالغ الوافرة.
وفتح الإسرائيليون مدرسة في بيروت ترأسها زكي أفندي كوهن سنة 1875 فخدمت طائفة اليهود نحو 25 عاماً ثم أبطلت وقامت بدلاً منها مدرسة الاتحاد الإسرائيلي.
كذلك أنشأت حكومة للمسلمين في بيروت المكتب الإعدادي سنة 1309 (1885) وقابلتها المدرسة الرشيدية العسكرية ثم أنشأ بعض الأهالي أصحاب الهمة مدارس أهلية أخصها المدرسة العثمانية لصاحبها الشهير ورئيسها الشيخ أحمد أفندي عباس الأزهري سنة 1313 (1897) والمدرسة الوطنية والمدرسة العلمية وهذه المدارس أرقى نوعاً من المدارس الابتدائية فتزيد غالباً على المبادئ وأصول الدين واللغة درس اللغتين التركية والفرنسوية والإنكليزية مع أصول الحساب الجغرافية ومسك الدفاتر. ثم تألفت لجنة التعليم الإسلامية سنة 1317 (1899) كان يرئسها الشيخ عبد الرحمان الحوت ففتحت مدرستين الواحدة للذكور والأخرى للإناث.

المطابع والمطبوعات
وكانت المطابع السورية في هذه البرهة سيارة الآداب تجري على حريتها دون أن يضغط عليها المراقبون ويقصوا أجنحة أطيار الأفكار. فكان الصحافيون يعلنون الأخبار الجارية ويعبرون عن آرائهم في إصلاح الأمور وتلافي الشرور لا تأخذهم في ذلك لومة لائم وفي تلك الأثناء اتسعت مجلة المقتطف في أبحاثها وكبر حجمها بعد إلغاء مجلة الجنان لكنها وجدت في طريقها عثرات بمقاومة بعض الحساد فانتقلت إلى مصر سنة 1886 وجرت على سننها إلى السنة الجارية 1925 وهي السنة الخمسون من عمرها. وأنشئت بعد ذلك مجلة الطبيب كان يحررها بشارة زلزل والشيخ إبراهيم اليازجي ولم يطل عمرها على ثلاث سنوات. فقامت بدلاً منها مجلة أخرى باسمها حررها المرحوم الدكتور اسكندر البارودي. ونشر الروم الأرثوذكس مجلتهم الهدية خمس سنين وظهرت في

مجلتنا الشفاء والصفا وخدمتنا الآداب بضعة أعوام. وكانت مجلة المشرق آخر ما بزغ في ختام القرن التاسع عشر من المجلات في بيروت ظهرت في غرة السنة 1898 وغايتها خدمة الدين العلوم والآداب خصوصاً نشر الآثار الشرقية. نفع الله بها أهل الوطن ومحبي الدين والأدب.
وكذلك بوشر بعدة جرائد منها لسان الحال ظهرت سنة 1877 ثم جريدة المصباح كان ينشئها المرحوم نقولا النقاش ثم جريدة التقدم كان صاحب امتيازها يوسف الشلفون.
وجريدة الأحوال لصاحبها الأديب خليل أفندي البدوي. وأنشئت الصحافة اللبنانية فظهرت في بيت الدين جريدة لبنان الرسمية ثم الروضة (1894) ثم لبنان لصاحب امتيازها جناب إبراهيم بك الأسود ثم الأرز في جونية لطيي الذكر الشيخين فيليب وفريد الخازن.
وطبعت عدة مطبوعات مفيدة منهال تاريخية ومنها أدبية. وكانت مطبعتنا الكاثوليكية في مقدمة المطابع فنشرت بهمة مديرها وآباء كليتنا مطبوعات جليلة لا تزال معدودة من خيار المنشورات العصرية. ومما وجهت إليه عنايتها الكتب المدرسية لتكون في أيدي الأحداث قدوة ودليلاً.
على أن إدارة المعارف في الآستانة أخذت تنشئ القوانين الصارمة لتقييد حرية المطبوعات ولم تزل تضايقها شيئاً بعد شيء حتى بلغت في ضغطها حداً لا يكاد يتصوره غير اللذين قاسوا مضضه. ولعل ذلك الضنك الذي بلغ الروح التراقي كان من أقوى أسباب الانقلاب العثماني. ومن المطبوعات الجديرة بالذكر التي صدرت في ذلك الوقت في بيروت دائرة المعارف باشر بها المعلم بطرس البستاني ولم يتم منها إلا نصفاً.
وكذلك طبع ديوان الأخطل وديوان الخنساء وديوان أبي العتاهية وأقرب الموارد للشيخ سعيد الشرتوني وفرائد اللآل في مجمع الأمثال للشيخ إبراهيم الأحدب وتاريخ ابن العبري وشرح المتنبي للشيخ إبراهيم اليازجي ومجموع مجاني الأدب وشروحه وكتاب ألف ليلة وليلة منقحاً وكتب أخرى عديدة جعلت لبيروت بين المستشرقين سمعة طيبة حتى ضربوا المثل بحسن مطبوعاتها. وكان الحظ الأوفى في ذلك للمسيحيين وخصوصاً للكاثوليك.

الجمعيات الأدبية
ومما يحيي الآداب ويبعث همم ذويها الجمعيات الأدبية وقد ذكرنا سابقاً ما أنشئ منها قي بيروت على أن تلك الجمعيات الأدبية انتقض حبلها وتضعضعت أركانها إذ تصدت لها الحكومة المحلية وكانت لا تزال تتصدرها وتتجنس بواطن أصحابها وتسيء الظن بهم فرأوا في شتاتهم خيراً لهم. وقد سعى مع ذلك الأدباء بإنشاء نوادي أدبية منها الدائرة العلمية المارونية التي عقد أصحابها من أساتذة لحكمة بعض جلسات في

السنتين 1881 و1882 ونشرت نبذاً من أعمالها. ولم تطل كذلك حياة دائرة ثانية انتسبت إلى القديس جرجس دبرها الأب يوسف برنيه اليسوعي ثلاث سنوات وأتت ببعض النتائج الحسنة (1883 - 1886). وأسس الأمير كان جمعية أخرى مختلطة دعوها بشمس البر تلتئم حتى اليوم في أوقات معلومة وتتلى فيها الخطب في مواضيع شت تستشف من وراء بعضها حرية الأفكار.

المكاتب

وقد ساعد أيضاً على نشر الآداب في جهات الشام وبالأخص في بيروت أنشأ الكتبيين للمكاتب فأن باعة الكتب قبل السنة 1880 كانوا قليلين لا يزيدون على ثلاثة أو أربعة بين نصارى ومسلمين ففتحت عدة مكاتب حتى تجاوز عددها العشرين وكان بين الكتبيين رجال ذوو نشاط كانوا يجلبون المطبوعات من بغداد والعجم والهند ومن أوربا. ثم خمدت تلك الحركة بعد أن تشددت الحكومة في مراقبتها للمطبوعات فلم تكتف بأن تمنع الكتب المخالفة لسياسة الدولة بل حجزت على مطبوعات جليلة لمجرد ما توهمته فيها من المحظورات حتى لم تسمح بإدخال تاريخ أبي الفداء والعقد الفريد لأبن عبد ربه. وقد رأينا من مراقبة المأمورين عجائب وغرائب لو أثبتناها هنا لعدت من أساطير الأولين أو أقاصيص الأمم الهمجية.
ومع ما نفعت تلك المكاتب كنا نخص ذوي الأمر على إنشاء خزائن عمومية تودع فيها أخص المطبوعات الشرقية ليقتبس من أنوارها المشتغلون بالآداب كما هو جار في معظم البلاد المتمدنة لكننا كنا ننفخ في رماد ونضرب على حديد بارد. وإلى يومنا هذا نتمنى بفروغ الصبر أن تصرف بلديتنا نظرها إلى هذا الأمر النافع وقد أخذت تلوح اليوم بارقة أمل لتحقيق رغائبنا فلقي مطلوبنا إذناً سامعة.
على أن بعض الجمعيات استدركت المر وبذلت المال في تجهيز تلك الخزائن.
فأن المدرسة الأمريكية عنيت بفتح مكتبة في معاهد كليتها يبلغ عدد كتبها نحو عشرة آلاف بينها نحو ثلاثة آلاف كتاب عربي بين مطبوع ومخطوط وهي ترخص لأدباء البلدة فضلاً عن ذويها بمطالعة تلك المصنفات. وكذلك اهتمت إحدى السيدات الأمريكية بإنشاء غرفة للقراءة تعرض فيها الجرائد على القراء وتتضمن مع هذا عدداً وافراً من الكتب العربية وخصوصاً التآليف الدينية البروتستانية.
وكان رؤساء مدرستنا الكلية وجهوا جل اهتمامهم لإنشاء مكتبة واسعة تشتمل على أخص المآثر الشرقية التي لم تزل تمتد وتتسع حتى ينيف اليوم عدد كتبها على الخمسة والثلاثين ألفاً. بينها مجموع المجلات الآسيوية وأخطر التآليف وأعزها في كل ضرب من العلوم الشرفية. هذا فضلاً على ثلاثة آلاف

كتاب مخطوط بنيف في العربية والسريانية والكلدانية والتركية والفارسية مع آثار قليلة في اليونانية والحبشية. فإذا أضيف إلى هذه الخزانة ما تحتويه المكتبة الغربية والمكتبة الطبية والمكتبة المدرسية وغيرها بلغ عدد كتب كليتنا نحو مائة وثلثين ألفاً. وكثيراً ما تلطف الرؤساء فسمحوا لآهل الأدب ويقطفوا ما شاءوا من تلك الثمار الجنية. ولم يريدوا أن يحرم طلبتهم الأحداث من مراجعة كتب الآداب فقربوا منهم منافعها وخصوا بهم مكتبة عربية يجدون فيها ما يهذب أخلاقهم وينير عقولهم ويفكه أرواحهم.
ومما يستحق الذكر بين مكاتب الشام خارجاً عن بيروت مكتبة الملك الظاهر في دمشق جمعت فيها على عهد مدحت باشا الكتب المتفرقة الموقوفة على الجوامع والمدارس فأضحت من أخص المعاهد الأدبية وهي تحتوي على نحو سبعة آلاف كتاب يغلب عليها الكتب الخطية النفسية.

فن التمثيل
ومما يعود فضله إلى بيروت خصوصاً في تعزيز الآداب العربية فن التمثيل وقد سبق لنا كيفية ظهوره على يد المرحوم مارون نقاش وما نجم عنه من المضرات بسوء استعماله في المراسح العمومية حيث مثلت روايات مخلة بالآداب. إلا أن هذا الفن الجليل عاد إلى شرف مقامه في المدارس المسيحية. وكانت كليتنا أول من سبق إلى تشخيص الروايات التمثيلية العربية سنة 1882 فكان مديروها يختارون لذلك الوقائع الخطيرة ولا سيما الحوادث الشرقية ليرسخ في قلوب طلبتهم مع حب الوطن ذكر تواريخ بلادهم. فمن جملة ما مثلوا حكم هيرودس على ولديه في بيروت واستشهاد القديس جرجس فيها ورواية صدقياً ثم داود ويوناتان. ومما اقتبسوه من تاريخ العرب رواية ابن السمؤل وراوية المهلهل وشهداء نجران ونكبة البرامكة وأخوة الخنساء. وكان للطلبة في تأليف بعض هذه الروايات سهم وافٍ إلا أن معظمها بقلم الآباء أو بعض أساتذة الكلية.

المحافل الأدبية
وكما مثلت المآسي والروايات الفاجعة أو الفكاهية كذلك كانت تعتقد في كليتنا محافل أدبية يحضرها أعيان البلد فيبحث الطلبة في بعض المشاكل التاريخية أو المسائل اللغوية والأدبية فيأتي كل منهم بما جادت به قريحته نظماً أو نثراً حتى يستوفوا الموضوع حقه أو يبرزوا محاسنه من كل وجه. فدارت بعض هذه المجالس على مفاخر بيروت ووصف الآداب العربية وتنصر النعمان ومآثر القديسين يوحنا فم الذهب ويوحنا الدمشقي وأعمال الرشيد وبني برمك والمأمون وعصره. وكان وجوه البلد يحضرون تلك الحفلات بملء الرغبة

والشوق. وأخذت بقية المدارس تجري على هذه الآثار لا سيما المدارس الكاثوليكية كالمدرسة البطريركية ومدرسة الحكمة بهمة بعض أساتذتها الأدباء وخصوصاً عبد الله أفندي البستاني وتلميذنا المرحوم نجيب حبيقة.

الآداب العربية في مصر
هذه لمعة من أحوال الآداب العربية في بلاد الشام في الخمس الأخير من القرن التاسع عشر. وكانت مصر بعد تقدمها على الشام في النهضة الأدبية أصابها بعض الخمول رغماً من انتشار العلوم الحديثة في مدارسها ووفرة مطبوعاتها العربية وهمة خديويها محمد علي باشا وزير معارفها الهمام علي باشا. مبارك. ولعل سبب هذا الخمول إنما كان انصراف نظر أهلها إلى العلوم الأجنبية فكأن شيوخها ساعين في نقل التأليف الأوربية إلى العربية فيدرسونها في مدارسهم فيشغلهم الأمر على الاهتمام بالآداب العربية.
ثم حدث الثورة العرابية سنة 1881 واحتلت الجيوش الإنكليزية القطر المصري فكان الاحتلال مضراً للغة العربية من جانب ومفيداً من جانب آخر أما ضرره فقد حصل باتخاذ اللغات الأجنبية كلغات التدريس فحرمت العربية من التآليف المنقولة من غيرها إليها وأهمل كثيرون درسها. إلا أن مصر اعتاضت عن هذه الخسارة بفوائد أخرى كتنظيم الدروس العربية في مدارسها وإدخال تلك اللغة في جملة الدروس الثانوية لنوال شهادة الحكومة. وزاد عدد مدارس الأجنبية التي لم تكن لتغضي عن درس العربية كمدرسة العائلة المقدسة في القاهرة للآباء اليوسعيون ومدرستهم في الإسكندرية وكمدارس الأفريقيين في طنطا وزقازيق ومدارس عديدة لأخوة المدارس المسيحية.
وكذلك المدارس الوطنية زادت عدداً ونمواً في القاهرة وبقية بنادر القطر المصري حتى جعل لها ديوان يهتم لها ديوان يهتم بشؤونها دعي ديوان المدارس ثم عرف بديوان المعارف العمومية. وفي هذا الوقت حورت طرق التعليم في بعض المدارس المنشأة سابقاً لا سيما مدرسة الأزهر التي نالها بعض الإصلاح بدخول فروع جديدة من التعليم كالجغرافية والتاريخ لكنها لم تزل بعيدة عن مرتبة الكليات الأوربية.
وفتحت إذ ذاك بعض المكاتب الجامعة لمنفعة العموم. وكان أخصها المكتبة الخديوية التي أنشأت في عهد محمد علي إلا أنها لم تنظم ولم تحتفل بالمطبوعات والمخطوطات النادرة إلا بعد ذلك بهمة نظارها الأوربيين كالمرحوم الدكتور فولرس والدكتور مورتس. ونشأت عقيب الاحتلال الإنكليزي الحياة السياسية بما منحته المطبوعات من الحرية واتسعت دوائر الصحافة خصوصاً فبلغ عدد الجرائد والمجلات العربية في مصر ما يربي على المائة. وكان للسوريين في هذه الحركة نصيب

عظيم حتى كان أكثر مديري تلك المنشورات ومنشئيها من أهل سوريا وزاد عددهم في وادي النيل بعد ضغط الدولة العثمانية على المطبوعات حتى أناف على ثلثي الكتبة المصريين فتقدموا على غيرهم بما عرفوا بهم من النشاط والذكاء والتفنن في الكتابة. والحق يقال أن أكبر مجلات القطر المصري في تلك الأوان كالمنار والمقتطف والضياء والهلال وأعظم جرائده كالمقطم والأهرام والعمران كان يحررها السوريون.
ومما اكتسبته مصر من الاحتلال الإنكليزي لنشر آدابها توفر المطابع وتحسن مادياتها فأمكن المصريين لو شاءوا أن يطبعوا الكتب طبعاً متقناً مطبوعات الشام. وقد استعاروا من مسابكها حروفهم. فنشرت إذ ذاك في وادي النيل معاجم جليلة كلسان العرب وتاج العروس ونهاية ابن الأثير. وكتب لسانية خطيرة كسيبويه ومخصص ابن سيده. وكتب تاريخية أخصها ما نشرته المكتبة الخديوية كتاريخ ابن اياس وتاريخ ابن دقماق وتاريخ ابن جيعان وتاريخ الفيوم. ومثلها تاريخ السخاوي وطبقات الأطباء لأبن أبي أصيبعة. وكتب أدبية كخزانة الأدب وحلبة الكميت للنواجي وبعض دواوين وتآليف أخرى. ومع ما أجدت هذه المطبوعات المصرية من المنافع للعلم لا يسعنا السكوت عن نقائض كثير منها كقسم طبعها وكثرة أغلاطها وقلة ضبطها بالشكل وخلوها من المقدمات المفيدة والشروح واللحوظات والروايات والفهارس. وربما عمد أصحابها إلى مطبوعات المستشرقين فنسخوها بحرفها ومسخوها بالتصحيف وجردها عن محاسنها وقد بينا كل ذلك في نظر سابق انتقدنا فيه مطبوعات مصر (في المشرق (11: 430 - 440) فشكونا عليه أو لو الذوق ومحبو الأدب أما الجمعيات الأدبية في مصر فسعا بإنشائها بعض ذوي الفضل والعلم من الفرنسويين وغيرهم فخدموا بها القطر المصري خدماً صادقة كما تشهد على ذلك منشوراتهم المطبوعة في كل عام وكان بعض الوطنيين من جلة القوم يشاركنوهم في الأعمال. وقد أراد الوطنيون غير مرة أن يجمعوا قواهم بالانضمام ويعقدوا جمعية علمية فلم ينجحوا وكان عقدهم ينفرط بعد قليل لتباين الأغراض.

الآداب العربية في أنحاء الشرق
أما الأقطار الخارجة عن الشام ومصر فكانت حركة آدابها خفيفة لم يشتهر في نهضتها إلا الأفراد. ففي هذه المدة أبرزت مطبعة الجوانب مطبوعات مفيدة حسنة الطبع كديوان البحتري وأدب الدنيا والدين وشرح مقصورة ابن دريد ورسائل فلسفية وأدبية متعددة لأبن سينا والثعالبي وللضبي وغيرهم. وأدى المرسلون الدومنيكان في الموصل بمطبوعاتهم الجديدة ومدارسهم خدماً تذكر فنشكر. وكذلك الآباء الكرمليون في

بغداد عززوا مدارسهم فزاد إقبال الناشئة العراقية عليها.
وقص آثارهم الكلدان الكاثوليك فجاروهم بتهذيب الأحداث.
وفي ذاك العهد دخل فن الطباعة إلى مكة فأنشئت مطبعتها الأميرية وأخص ما طبع فيها الفتوحات الإسلامية للسيد أحمد زيني دحلان وبعض الدواوين.
ونشرت في جهات العجم عدة منشورات بعضها تاريخية كمقاتل الطالبيين لأبي فرج الأصبهاني وروضات الجنات في أحوال العلماء والسادات. وبعضها أدبية ولغوية وأغلبها دينية وأكثر هذه المطبوعات سيئة الطبع يسقط بذلك معظم فوائدها. وربما كان طبعها على حجر في أسوأ صورة. ومثلها سقماً وسخافة مطبوعات الهند في لوكنو وبمباي فأن مطبوعات كثيرة ظهرت هناك كشفاء ابن سينا وقواعد العقائد الطوسي وشرح الهداية الأثرية لكنها لا تستحق اعتباراً لسوء طبعها. وأحسن منها رسائل أخوان الصفا وديوان علي بن أبي طالب وديوان الموسوي وديوان علي بن مقرب وديوان شرف الدين المقري وسبائك الذهب في معرفة قبائل العرب.
وللحكومة الإنكليزية في كلكوتا مطبعة أصدرت عدة تآليف مفيدة أتقن طبعها وقد مر لنا ذكرها.

الآداب العربية في بلاد أوربة
أما المدارس العربية في أوربا فأنها نالت أكبر حظوى بهمة علمائها ومدارسها الكلية ومكاتبها الشرقية نخص منها بالذكر المكتب الشرقي الذي أنشأه الألمان في عاصمة برلين لدرس لغات الشرق وبالخصوص لتعليم العربية.
ومما أفاد الدروس الشرقية كثيراً المؤتمرات الدولية التي كانت تعقد كل سنتين أو ثلاث سنين في عواصم البلاد وكان أول تلك الاجتماعات العمومية في باريس سنة 1873 ثم في لندن (1874) ثم بطرسبورج (1876) ثم فيرنزة (1877) ثم برلين (1881) ثم ليدن (1883) ثم فينا (1886). إلى أن عقد المؤتمر الخامس عشر العام 1909 في كوبنهاغن (أطلب المشرق 11: 746). وقد ألقيت في هذه المؤتمرات عدة دروس وأبحاث كانت تجمع عادة فتطبع ومجموعها اليوم بمثابة مكتبة واسعة.
وزادت المطبوعات العربية في هذه المدة زيادة عظيمة فأن المجلات الآسيوية القديمة وفرت قسماً أكبر من صحائفها للعلوم العربية ونشأت مجلات جديدة في عدة بلاد للأبحاث الشرقية عموماً والعربية خصوصاً كالمجلة الآسيوية النمسوية والمجلة الآسيوية الإيطالية وكمجلة الشرق المسيحي وأصداء الشرق وفي المدة ذاتها طبعت قوائم موسعة الآثار العربية التي تحفظ في خزائن الدول حتى لم يكد يبقى بينها لم توصف مخطوطاتها ونوادرها وصفاً مستوفياً.

أما الآثار القديمة التي صدرت بالطبع فكانت تبلغ المئات في السنة. وقد امتازت بمطبوعاتها العربية مطبعة ليدن حيث نشرت تأليف جغرافية وتاريخية وأدبية تعد من أشرف المطبوعات وأعظمها فائدة كمجموع جغرافي العرب الذي عني بنشره فقيد الآداب المأسوف عليه الأستاذ دي غوي وكتاريخ الطبري الكبير وفتح البلدان للبلاذري ومفتاح العلوم للخوارزمي والأخبار الطوال للدينوري ورسائل الجاحظ وجزيرة العرب للهمداني تزين هذه المطبوعات ما يقدم عليها من الفوائد التاريخية وتذل بالروايات والملحوظات الدقيقة وتختم بالفهارس الممتعة. وكانت بقية الدول تتنافس في نشر كنوز أخرى دفينة. فبرز في ألمانيا كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيروني وكتاب التاريخ الهندي له. وظهر في باريس كتاب مروج الذهب للمسعودي وأخبار ملوك الفرس للثعالبي وكتاب البدء والتاريخ للمطهر ابن طاهر المقدسي. وظهر في رومية كتاب دياطاسرون طاطانيوس أي الأناجيل الأربعة التي جمعها هذا الكتاب في القرن الثاني للمسيح ففقد أصلها ووجدت ترجمتها العربية. وهناك طبع ديوان ابن حمديس الصقلي وقسم من جغرافية الإدريسي.

الآداب العربية في أميركة
وكذلك أخذ الأميركيون يوجهون نظرهم إلى الشرق فأبرزوا مجلة آسيوية بلغ اليوم عدد مجلداتها فوق الأربعين. ولما هاجر السوريون إلى العالم الجديد كان دخولهم إلى تلك البلاد كبعثة أثارت في قلوب البعض الحمية لدرس اللغات الشرقية. وجعل السوريون ينشرون هناك الجرائد فبرز منها في العشر الأخير من القرن التاسع عشر جريدة كوكب أميركا للمرحوم نجيب عربيلي سنة 1892. ثم طبعت في فيلادلفيا جريدة الهدى لصاحبها نعوم
أفندي مكرزل سنة 1898 وقد نقلها بعد مدة إلى نيورك.
وأصدر نجيب أفندي دياب جريدة مرآة الغرب في السنة عينها ونشر في سان بولو الأديب شكري خوري جريدة أبي الهول. ثم تعددت بعد ذلك الجرائد في أوائل القرن العشرين في أميركا الشمالية والجنوبية حتى كادت تبلغ الخمسين. أما المطبوعات غير الجرائد فكانت قليلة الجدوى مدارها غالباً على القصص والروايات الخيالية.

أدباء الإسلام في ختام القرن التاسع عشر

أدباء الشام
كان التقدم بين المسلمين في رفع لواء الآداب في ختام القرن التاسع عشر لأهل الشام فقد أشتهر بينهم بعض

الأفراد اللذين لا يزال أسمهم إلى يومنا شريفاً مكرماً فنذكرهم إقراراً بفضلهم.

الشيخ يوسف الأسير

ولد الشيخ يوسف ابن السيد عبد القادر الحسيني الأسير في صيداء سنة 1230 (1815) فتلقى في وطنه مبادئ العلوم العقلية والنقلية عن علماء الأزهر. وبعد سبع سنين عاد إلى الشام وسكن في كثير من مدنها يتعاطى العلوم الفقهية وتولى في الأستانة رئاسة التصحيح في دائرة نظارة المعارف لكنه آثر العود إلى وطنه وتفرغ للتأليف في الفرائض والأبحاث الفقهية وخرج في الفقه كثيرين من الأحداث وعلم مجدة في مدرسة الحكمة وكان زكي الفؤاد فصيح اللسان يجيد النثر والنظم ومن آثاره الأدبية التي خلفها شرح أطواق الذهب للزمخشري وكانت وفاته سنة 1307 2 كانون الأول 1889 وللشيخ يوسف الأسير موشحات وقصائد متفرقة وأبيات حكمية جمعها في ديوانه الروض الأريض الذي في بيروت سنة 1306. ومن حسن أقواله ما وصف به الشعر الجيد وناظمه.

خليليَّ كم قد جدَّ في الناس شاعرُ وليس لهُ بيتٌ من الشعر عامرُ

وأحسنُ شعر ما نراهُ مهذَّباً بليغاً بهِ يلتذُّ باد وحاضرُ

بهِ تطرب الأسماع من كل مُنشدٍ وتجري بهِ الأمثالُ وهي سوائرُ

ولم ير غبناً من شراهُ بمالهِ وفيهِ بلا شكُ تُسرُّ السرائرُ

وله في وصف له بعد أن فاز بالدستور بعد مذابح سنة 1860:

ترى لبنان أهلاً التهاني فقد نال الأمان مع الأماني

وأضحى جنةً من حلَّ فيهِ قريرَ العين مسرور الجنانِ

وجدّت العلوم بهِ دروسٌ وكانت في الدروس وفي التواني

وللأخبار قد وُجدت سلوك كذاك طبع ذي الصحف الحسان

ومَن ورَدَ الشريعة فيهِ يصدرْ بحقّ كاملَ في ذا الأوانِ

وذاك بهمّة الشهم المسمّى بداودِ سليمان الرمان

عظيم الشأن ذو همة العوالي وذي الرأي المصيب بكل شأنِ

سديد الحزم ممدوح المعالي شديد العزم محمود المعاني

ومن مدحه قوله في أسرة بني العطار في دمشق:

يا بني العطّار يا عطرَ دَمشقٍ قد ملكتم بمزيد اللطف رِّقي

فاحَ في الكون شذاكم فائقاً طيبَ ورْد الروض في نشر ونشق

أسَماء المجد سامٍ فرعُكم ولكم أصل نما من خير عرقٍ

طفْلُكم نجمٌ وبدرٌ كهلكم ثم أن الشيخ منكم شمسُ أُفق
يا بدور الشام يا أهل العلا ضوءكم لاح بغرب وبشرقِ
سدتُم الناس بعلم وتُقىً وبمعروف وإحسان ورفقِ
فإذا رام مجاراةً لكم ذو اعتلاءٍ فلكم أقصاب سبق
حبَّذا الأسرة أنتم في الورى يا سَراةً أحرزوا كل ترّقي
أنا لا أبرح أشدو بناسمكم حاكياً في ورَقي تغريد وُرْقِ
زادكم ربي علوماً وهُدى مع رغيد العيش في أوسع رزقي

وأفتتح رثاء شريفٍ بقوله:

إنما موقتي كإطلاق أسْري حيث أي لرحمة الله اسري
إنَّ أكدار هذه الدار يتلو بعضُها البَعْضَ كأمواج بحرِ
ألفَت أنفسُ البرَّية أجسا ماً ودنيا قد فارقتها بجَبْرِ
همُ فيها مثل الأجنّة في الأر حامِ يُستخرجون منها بقَسْرِ
وهي كالفُلْك قد أعدَّ لنقلِ أو هي الجسر قد أعدَّ لعَبرِ
أنس الغافلون فيها وأنسوا إنها لا تكون دارَ مقِرّ
لو درى الغافلون فيها بقاءً أيقنوا أنهم بأعظم خسرٍ
هي دار السلام ما تشتهي الأنف سُ فيها من كل خيرٍ وبرٍّ
لا يَملُّ الإنسانُ فيها مقاماً إذ تخلَّت من كل شرٍّ وضرّ

وللشيخ يوسف مراسلات نثرية وشعرية مع أدباء زمانه تجدها في تآليفهم كالشيخ إبراهيم الأحدب وأحمد أفندي الشدياق. وقد مدحه الشيخ ناصيف بقصيدة يقول فيها.

أسيرَ الحقّ في ُحكْمٍ تساوى فما يُدرَي الحبيبُ من البغيضِ
يقلبُ في المسائل كلّ طَرْفِ ويَلقي الناسَ بالطَرْفِ الغضيضِ
إمام الشعر يبتدع القوافي ويأمن من دونّها حَوْل القَريضِ
يقلّ لهُ الثناء ولو أخذنا قوافَيهُ من الروضِ الأريضِ

ولما توفي قال فيه الشعراء مراثي عديدة جمعها الشيخ قاسم الكستي في مجوع نشر بالطبع.

الشيخ إبراهيم الأحدب

كان مولده في طرابلس الشام سنة 1242 (1826) وطلب العلوم اللسانية والأدبية منذ نعومة أظافره فبرع فيها. ثم عكف على التدريس في طرابلس وبيروت فعد فيها من نوابغ عصره فتأب إليه الأدباء وأقبل عليه الأعيان والحكام وقلدوه المناصب الخطيرة كنيابة الأحكام ورئاسة الكتابة. ثم تعين كرئيس لكتاب محكمة بيروت فتعاطى شؤونها نيفاً وثلاثين سنة. وكان أحد أعضاء مجلس المعارف في الثغر فامتاز فيه بسعة آدابه وحسن ذوقه. وقد حرر مدة ثمرات الفنون فأودعها كثيراً من أثمار آدابه. وكانت وفاته في رجب في سنة

1308 (1891م). وقد أبلغ تآليفه الأدبية نحو العشرين نشر منها في مطبعتنا الكاثوليكية كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان وكتاب فرائد اللآل في مجمع الأمثال الذي نظم فيها أمثال الميداني وقد أتقن طبعه فجاء كطرفة بين المطبوعات العصرية. وكان الشيخ إبراهيم الأحدب قريحة شعرية غريبة حتى أن مجموع أبيات قصائد يكاد يبلغ ثمانين ألف بيت. فله ثلاثة دواوين ومقامات جارى فيها العلامة الحريري عددها 80 مقالة وألّف عدة تآليف كروايات أدبية ومناظرات ورسائل ومجاميع حكمية ومقالات مسجعة وغير ذلك مما عدده نجلاه الأديبان في مقدمة مجمع الأمثال. ومن شعره ما قاله يمدح الأمير عبد القادر الجزائري:

إني بمدح ابن محبي الدين ذو هممٍ غدا نظامي بها في أرفع الدرَجِ
وفي مآثر عبد القادر أطَّردت أبياتُ شعري فراقت كلَّ مبتهجِ
غوث الثريل وغيثٌ فيضُ نائلهِ من الأناملُ يجري الدرَّ في خلُجِ
شمس أنارت بلاد الشرق فابتهجت سورَّية بسناها الفائق البَهَجِ
في الكون آثارهُ كالمك قد نفحت إلاّ لمزكومِ طبعٍ عُدَّ في الهمجِ
لله غربُ حسامٍ منهُ قد شُهدت في الغربُ آثاره كالصبح في البلجِ
لا زلتَ تهدى لك الأمداح ما طَلعتْ شمسٌ بنورك تغنينا عن السُّرجِ

وقال في الرجز ناظماً بعض أمثال رويت لأبي بكر الصدّيق:

يقرنُ رّبي الوَعْد بالوعيد كي يضرْهَبَ عبدٌ راغبٌ في كل متي
ليست مع العزا مصيبةٌ إلا تَعزَّ يا سامي بما قد نزلا
الموتُ ممَّا قبلَهُ أشدُّ مع أنَّهُ أهونُ ممَّا بَعْدُ
قد ذلَّ قومٌ أسْندوا أمرَهم لاِمرأةٍ حيث جنَوا ضُرَّهمُ
إنَّ عليك أبداً عيوناً تراك ممن جلَّ فالْزَم دينا
ورِحِم الله أمرنا أعانا أخاهُ بالنفس وما أهانا
والنفسَ أصْلحْ يصْلح الناسُ لكا وافعل جميلاً يَغدُ خيراً فعلكا

أبو الحسن الكستي

هو الشيخ أبو الحسن قاسم بن محمد الكستي أصله من بيروت وفيها اشتهر نحو أربعين سنة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان مولده نحو السنة 1840 أخذ الآداب عن أئمة زمانه فلما رسخت فيها قدمه صار مرشداً لغيره وتعاطى التدريس مدة بين مواطنيه من أهل ملته. وقد مات الكستي

في منتصف السنة 1909 لكنا أتبعناه بالشيخين السابقين إذ اشتهر معهما وجاراهما في الأدب ومعظم كتاباته في عهدهما. ومن آثار فضله ديوانان أحدهما ديوان مرآة الغريبة طبع على نفقة السيد سليم رمضان سنة 1279 (1880) افتتحه بقصيدة ابتهالية هذا أولها:

إليك رفعنا الأمر يا من لهُ الأمرُ فمن فضلك الإحسان والنفعُ والضرُّ
تعطَّف وجُد بالخير يا خَير منعم على كَسْرنا يا من به يحصُل الجَبرُ
عليك اعتمادُ الخلق في كل أمةٍ وبابك مقصودٌ به الفتحْ والنصرُ
فقلت لنا ادْعوني دعوناك ربنا أجب سؤالنا بالخير يا ربُّ برُّ

والديوان ترجمان الأفكار طبع سنة 1299. ومن شعره ما مدح به سعيد باشا عزيز مصر لما قدم إلى بيروت:

عزيز مصرٍ سعيدْ الوقت ذو شرف إلى علاهُ تناهى المجدُ والحسبُ
يتيمةَ العقد أضحى في العُلى ولذا قد صاغ مدحّ علاهُ العُجّمُ والعربُ
إنَّا لنشهد منهُ كل مكرمةٍ لها المحامدُ دون الناس تنتسبُ
عن وصفهِ ومزاياهُ وأنُعمهِ تقاصر الدرُّ والأزهارُ والسحُبُ
مآثر العزّ في علياه مشرقةٌ كالشمس لكن سناه ليس يحتجب
من معشر لهم في كل كائنةٍ ذكرٌ تولّد من أسبابهِ الطرب

وقال في الحكم:

وعالم لا نَفْع في علمه ولم تكن أعمالهُ صالحَة
فهو بحُكم العقل بين الملا كوردة ليس لها رائحة

وله مضمناً الشطر الأخير:

أيها الإنسانُ لا تَجْنَحْ إلى طُرقاتِ الغيّ والزمْ ورعَكْ
وافْطم النفس عن الشرّ تجدْ كلَّ خيرٍ ترتجيهِ تَبَعكْ
وبحال الفقر أو حال الغنى كُنْ مع اللّه ترَ الله مَعَكْ

وسمع يوماً شاكر بك يدق العود فاستفزه الطرب فقال بديهاً:

بشاكر هذا العصر طابت نفوسنا وثغرُ ألهنا أمسى بهِ يتبسمُ
ترى كلّ عودٍ من جمادٍ وعودُهُ يحسُّ وعن سرّ القلوبُ يترجمُ

وللشيخ القاسم الكستي عدة أراجيز طويلة حسنة منها أرجوزة تنيف على مائة بيت وصف فيها مكارم الأخلاق في النساء الصالحات. ومن أراجيزه الحكمة قوله:

لم يخلُ في الدنيا كريمٌ من أذى ولو توارى في مغارات الخفا
ومن يظنُّ أنهُ يبقى بها وإنهُ منها يفوزُ بالمُنى

وإن يكون ناجياً من ضرّها فقُل له أخطأتَ يا هذا الفتى
فتانةٌ تُضحكنا لكنّها تُخرج من أعيننا الضحك بكا
فلم نجد لعفوها سببٍ ولا لدائها سوى الصبر دوا
ونظم أرجوزة فكاهية وصف فيها الملوخية على سبيل المداعبة:
سُبحانَ من أنبت في الوجودِ حشيشةَ كجوهرُ العُقودِ
وقد سقاها من غيوث الرحمةْ فحملَتْ لكن ثمار الحكمةْ
هيَ الملوخَّية ذات الشهرةْ ومَنْ بها المعسورُ يَلقى يُسرةْ
بحسنها كل النفوس ابتهجت وأَلسن الناسِ بها قد لهجتْ
كم هطلت من فوقها الغمائمُ وصُبغت بلونها العمائمُ
وكم مشى يأكلها كسيحُ وصحَ من ترياقها جريحُ
خيوطها بيضاءُ كاللُّجَين تظهر كالصبح لذي عينَينِ
فاقت على الرّيحان بالروائحِ صالحةٌ لمدح كل مادحِ
لو أنَّها قد نبَتت في اللدّ يشمُّها مَنْ في بلاد الهند
يحرسها الناطورُ في البستانِ خوفاً عليها من يدٍ الزمانِ
بُخارها يصعد بالهباء كمصعد البالون في الهواء
كأنها قد نزلت من السما فأصبحَ الكونُ بها منسَّما
وطعمُها يجلبُ للإفهامِ بسُكرهِ حلاوةَ المُدامِ
ميَّاسةُ الأعطاف في الرياضِ يأكلها كلُّ شريف راضِ
عنها سَلُوا مِصْرَ وتلك الخطَّةْ فإنهم أدرى بهذه النقطة
إذ عندهم لها اعتبارٌ زائدُ وقِدرُها تسمو بهِ الموائدُ
ترى عليها كثرة الملاعقِ تُقرعُ بالأسنان كالصواعقِ
إن مُلئت بها بطون القِصَعِ تشرقها الأبصارُ قبل المَبلعِ
وترجَمتْ عنها فحولُ المغربِ فملئوا بها بطون الكتبِ
وخصّها بالذكر أفلاطونُ وقال منها يُصنعُ المعجونُ
كانت للقمانَ الحكيم مأكَلا وجوفهُ لها استقرَّ منزلا
وكان يوصي سائرَ الأطبا بقراطُ أن يستعملوها شربا
كذا ابن سينا قال في القانونِ لا تبخلوا بها على البطونِ
وهي طويلة تفنن فيها الشاعر ما شاء ومن فكاهاته ما رثى به طائراً من نوع الكنار مات لأحد أصحابه فقال يعزيه:
يا صاحبي عُزّيتَ بالكنارِ فإنّهُ من أحسن الأطيار
قد صدحَت بمدحِه الأخبارُ وحُمدتْ لذاتهِ الآثارُ
ولم تقصّر في أداء ما وجبْ من حقّه وقُمتَ بالذي طلبْ
من أمّهِ كنتَ عليهِ أشفقا ومن أبيهِ يا رفيقي أرفقا
ما مات من جوع ولا من قلَّةْ لكن رماهُ ريشةُ بعلَّةْ
لا يُرتجي لدائهِ شفاءُ والموت إن حلَّ فما الدواءُ
عليه لا تحزنْ وكن صَبورا والتزمِ الشكرَ تكن مأجورا
لو كان يُفدى بالنفيس الغالي فديتهُ من طارق الليالي
لكن إذا ما حادثُ الموتِ نزلْ لا ينفعُ الحزمُ ولا تُغْني الحَيلْ
عوَّضك الرحمن عنهُ طيراً يكون بالتغريدِ منهُ خيرا

فما رأينا قبلهُ من طائرٍ		يشنَف الأسماع بالجواهرِ
يُغني عن المُدام والنديمِ		إذا شدا بصوتهِ الرخيمِ
أين الكَمنَجْا منهُ صوتاً إن شدا		ورَّبما استُغنيَ عنها إن بدا
فيا لهُ من طائرٍ صدوحِ		يدعو إلى الغَبوق والصَبُوح
ذو ذَنَبٍ فاقَ وللهِ العجبْ		على اللُّجَين وهو بالحُسن ذهبْ
مزَّينٌ بالتاج كالطاووسِ		ملَّون الرداء كالعروسِ
للهِ حسنُ ذلك المنقارِ		من ذهبٍ قد صيغَ لا من قارِ
قد كان في الدنيا من الزهَّادِ		ملازمَ الخلوة بانفرادِ
وعاش محبوساً ولم يشكُ الضجرْ		حتى أبادهُ القضاءُ والقدرْ
فإنّني أهدي إليهِ الفاتحةْ		وإن يكن من الطيور الصادحةْ

عبد السلام الشطي

واشتهر في طرابلس الشام قبل هؤلاء بزمن قليل الشيخ عبد السلام بن عبد الرحمن المعروف بالشطي الدمشقي. وأصل أسرته من بغداد وولد هو بدمشق سنة 1256 (1840) ثم درس العلوم الدينية والفقهية على علماء الفيحاء وتعبد على الطريقة القادرية وكان صباً للآداب مشهوراً بفرط الذكاء وحسن النظم غلب على شعره اللطف والعذوبة.
وله ديوان بهمة حفيده محمد جميل الشطي سنة 1324. وقد سافر المترجم إلى بلاد الروم مرتين ودخل القسطنطينية سنة 1293 ووجه عليه تدريس أدرنه وخصص له راتب سنوي من الصرة السلطانية. توفي فجأة في دمشق في 11 محرم سنة 1295 (منتصف كانون الثاني 1878). ومن شعره ما قاله في وصف بيروت وتهنئتها بسحب ماء نهر الكلب إليها:

بيروت أني في هواها أرغبُ		من ثغرها البسَّامِ طابَ المشربُ
يا حسنها من بلدة قد خصَّها		ربُّ العباد بما يسرُّ ويطربُ
بين البلاد بديعةٌ فكأنها		شمسٌ على أفقِ العلى لا تغربُ
يا طالما قد زرُتها فوجدتهُا		ظمآنةً من حرّها تتلهَّبُ
حيرانةً حار الطبيب بدائها		ودواؤها قد عزَّ فيهِ المطلبُ
تشكي وتبكي حسرةً وتأسُّفاً		من فقدها ما تشتهيهِ وتطلبُ
من بعد ذاك أتيتُها فوجدتُها		تحتالُ من عُجْبٍ وذيلاً تسحبُ
فسألتها عن حالها فتبسَّمت		وانهلَّ من فيها فراتٌ أعذبُ
فاستيقنَت نفسي ببرد حميمها		فغدوتُ في نعمائها أتغلّبُ
وأتيت في هذا النظام مهنئاً		إذ جاءَهم هذا الطهور الطّيبُ
ورجوتُ من فضل الإله دوامهُ		في كلّ حين دائماً لا يُسلبُ

وكتب رقعةً دعا بها بعض أصحاب الفضل من أصدقائِه:

يا سادةً في دُورهم تسللت قومٌ كرامْ
وزَّينوا بجمعهم ليل الشتا في كل عامْ
ومتَّعوا بقربهم صديقهم عبد السلامْ
إذا أردتُّم إنهُ يحظى بكم على الدوامْ
أعطوهُ منه موثقاً بخطكم على الكلامْ
في ليلةٍ لطيفةٍ في دارهِ لكم تقامْ
ويرتجي من فضلكم أرّخْ بهِ الدور ختامْ
(1289)
وقال مستغفراً عن ذنوب شبابه:
يا ربّ أنَّ العبد عبدٌ مذنبٌ وهو فقيرٌ ما لهُ عنك غِنى
قد قطف اللذَّات في شبابهِ بجهلهِ فاغفر لهُ ما قد جنى

محمد الميقاتي
وفي هذا الوقت عرف شاعر آخر فاضل وهو الشيخ محمد أفندي ابن عبد القادر اليقاني وكان طرابلسياً أديباً له النظم الرائق فجمع شعره بعد وفاته سنة 1302 (1884) الأديب عبد الحميد بن محمد حبلص أحد مواطنيه وطبعه في بيروت في المطبعة الأدبية سنة 1304 ودعاه ديوان حسن الصياغة لجوهر البلاغة. فمن قوله يعاتب الدهر:
الدهر شيمُتُهُ يبدي لنا العجبا فلا تكن من فِعال الدهر معتجبا
ولا تثق ْبشرابٍ منهُ وقتٌ صفا فيستحيلُ سراباً صَفْوُه وهَبَا
ولا يغرَّك ما يوليك من مَنحٍ فغلبُها مِحَن تزكو بهِ لَهبا
إن يسمحِ الدهرُ يوماً يستردُّ غداً أو يُحسنِ الدهر يوماً بالأسى انقلبا
هيهاتُ يُجدي الفتى من دهرِ مهربُ ولو سما فوقَ أفلاك السما هربا
فالصبرُ أجملُ بالحرّ الكريم على ما خصَّهُ قلمُ الأقدارِ أو كتبا
ما لي وللدهر يرميني بكلكهِ كأَّنني قاتلٌ أمّاً لهُ أو أبا
ويلاهُ من زمني كم ذا يُقابلني من جورهِ بالأسى ويلاهُ واحَربَا
أهل البسيطة قد أثنت على أدبي وأذعنت لي بأني سَيد الأُدبا
ودأبُ قومي معاداتي ومنقصتي ولا أرى ليَ ذنباً لا ولا سببا
لا ذنب لي غير أني فقُتهم شرفاً وإنني فقُتهم بين الورى رُتبا
ما ضرَّني لا أقال اللهُ عثرتَهم لو أنَّهم قابلوا فضلي بما وجبا
وله مؤرخاً داراً بناها آل كتسفليس في طرابلس:

لكمُ ألهنا يا آل كُ   فْليس يا أهلَ المآثرْ
جدَّدتمُ فوق العلى   بيت المكارمِ والمفاخرْ
بيتٌ لحسن بنائهِ   بدرُ المسرَّة فيهِ سافرْ
قد شادَهُ اسكندرٌ   مَنْ فَضْلُ في الناس ظاهرُ
والسعدُ حول رِحابِه   بالعزّ والإقبال دائرْ
وفمُ السعادة قد غدا   أرّخ لهُ بالشكر فاغرْ
(1868)

وقال مخمساً:

لمن أشتكي ضعفي وضنكي وشدَّتي   ومَن يَشْفِ أسقامي ويرحمْ لعبرتي
لجأتُ فما لي غيرَ ذلّ مقالتي   إلهي بتقديس النفوس الزكّية
وتجديدها من عالم البشرَّية
وبالنور سرّ الكائناتِ ومن دنا   إليك مقاماً لن يُحيط بها سنا
وناديُتهُ هاأنت حبي وهاأنا   أزِلْ عن فؤَادي ما ألاقي من العنا
فإني قليل الصبر عند البليَّةِ

عبد الفتاح اللاذقي

ونبغ في اللاذقية في الوقت عينه شاعر متفنن أبو الحسن عبد الفتاح ابن مصطفى بن محمد المحمودي اللاذقي العطار كان مولده سنة 1258 (1842) ونظم الشعر في سبابه ثم جمعه في ديوان ودعاه (سفير الفؤاد) فطبعه في بيروت في مطبعة جمعية الفنون سنة 1297 (1880) وجعله أربعة أركان في المدائح والتوسلات ثم في امتداح السادات ثم في التهاني والمراثي وأخيراً في القدود والموشحات. فمن ذلك قوله مبتهلاً إلى الله عز وجل:

شكوتُك فاقاتي وأنك تعلمُ   بحالي ونارُ الفَقْر في القلب تُضرَمُ
وللخَلْق لا أشكو افتقاري وفاقتي   فمن يشكُ للمخلوق لا شكَّ يندمُ
فجُدْ برزقٍ يملأ القلبَ عفَّةً   فجودُك لي عزٌّ وكَنزٌ ومغنَمُ
وإلاّ فصّبِّرني على ما قسمتَ لي   فأمرُك يا ربَّ البرَّية مُبرَمُ

وكتب إلى نائب الحكمة فيض الله أفندي عن لسان شيخ كان خدم جبل الريحان وصلى في أهله فلم يعطوه حقه من الموسم:

أخا الأفضال فَيْضَ الله يا من   حوى المجد المؤَّثلَ واللطافهْ
فناقلُ شقَّتي هذا فقيرٌ   وموصوفٌ بأنواع العفافَهْ
لقد صلّى بأقوامٍ إماماً   وفي محرابهم جعل اعتكافَهْ

وفي شهر الصيام فكم تعنَّى وكم قد سار مع بُعد المسافَةْ
لقد جحدوا إمامتَهُ وجادوا لهُ بالهزل جدّاً والكثافةْ
وما جادوا لهُ أبداً ببئرٍ ولا عملوا لهُ أبداً ضيافةْ
وقد حرموهُ من أكل المحاشي ومن أكل القطائف والكنافةْ
فهم قومٌ لقد مكروا بهذا وليس لهم من المولى مخافةْ
وقد رُفِعتْ قضيَّتهُ إليكم وفي انتظاركم يرجو انتصافةْ
إنما الأفضال فانظُرْ أمر هذا فعينُ العدل لم تنظر خلافَةْ
فهذا قد أضيف إلى علاكم وحاز الفخر في تلك الإضافةْ
ومن محاسن شعره قوله في مولود سنة 1279:
أهلاً بهِ من قادمٍ في كلّ جاهٍ جاهرُ
بشراك فيهِ أيُّها الـ خلُّ الفخيمُ الفاخرُ
فاهنأ بهِ لأنهُ نعمَ الغلامُ الناضرُ
بيت الهنا والسعدُ فيه م كلَّ عامٍ عامرُ
والعزُّ فيهِ قد نما والبشرُ فيهِ ظاهرُ
والفخرُ نادى منشداً أرَخْ غلامٌ باهرُ
(1279)

أحمد فارس الشدياق
كان مارونياً لبناني الأصل مولده في عشقوت سنة 1804 ثم انتقل إلى والديه إلى ساحل بيروت سنة 1809 فسكن الحدث ودرس مبادئ العلوم اللسانية في عين ورقة ثم قصد القطر المصري فأتقن فيه العربية وجعل يكتب في أول جريدة ظهرت هناك أي الوقائع المصرية وفي السنة 1834 دعاه المرسلون الأمير كان إلى مالطة وولوه إدارة مطبعتهم فتظاهر بالدين البروتستاني وخدم الرسالة الأميركية بنشاط وطبع في مالطة بعض مصنفاته وألف هناك كتابه الموسوم (بالواسطة في معرفة مالطة) ثم تجول مدة في أنحاء أوربة وخصوصاً في فرنسة وإنكلترا فأكرم أهل تلك البلاد مثواه وصنف حينئذٍ كتابه الفارياق الذي لم يرع فيه جانب الأدب وشفعه بكتاب آخر أجدى نفعاً وأصوب نظراً دعاه (كشف المخبأ عن أحوال أوربا) واشتغل في لندرا في تعريب ترجمة التوراة فزادت بذلك شهرته. ولما جاء باي تونس أحمد باشا زائراً مدينة باريس مدحه الشدياق بلامية جارى فيها لامية كعب ابن زهير فأعجب من حسن نظمه ودعاه إلى خدمة دولته في تونس فلبى دعوته ورحل إلى المغرب وكان هناك يحرر جريدة الرائد التونسي. وفي مدة إقامته في تونس سؤل إليه أعيانها بأن يعتنق الدين الإسلامي فجحد البروتستانية طبعاً بالمناصب كما جحد الكثلكة طمعاً بالمال. وفي السنة 1274 (1857) طلبته الصدارة العظمى إلى الآستانة وعهدت إليه تصحيح مطبوعاتها بضع سنوات. وهناك باشر السنة 1277 (

1860) جريدته الشهيرة بالجوائب فظهرت 23 سنة بإنشائه وإنشاء ولده سليم إلى السنة 1884 فأبطلت وحصلت بينه وبين شيوخ الإسلام منافرات فنسبوه إلى المراء في دينه الحديث. وكانت وفاة أحمد فارس بعد ذلك بثلاث سنوات توفي في الآستانة سنة 1887 ثم نقلت رفاته إلى لبنان كما أوصى قبل موته فرثاه شعراء زمانه. وقد هجاه بعض مواطنيه بهذا التاريخ:

يا مَنْ رحلتَ إلى الجحيم مسوكراً لم يبق بعدك للسفاهة باقٍ

ناداك إبليسُ الرحيم مؤرخاً هنَئت بَأحمدَ فارس الشدياقِ

وقد أخبرنا الشيخ المرحوم ظاهر الشدياق أحد انسباء أحمد فارس أن المترجم قبل وفاته طلب أحد كهنة الأرمن الكاثوليك واعترف لديه بخطاياه ومات على الدين المسيحي كما شهد ذلك خليل أفندي يعقوب الذي حضر وفاته وكان يصحبه منذ سنين عديدة. وكانت امرأة فارس الشدياق من بيت صولا تدعى وردة.

ولأحمد فارس مؤلفات جليلة غير التي ذكرناها أخصها سر الليال في القلب والإبدال على شكل معجم لم يتمه. وكتاب منتهى العجب في خصائص لغة العرب أتلفه الحريق قبل أن يطبع. ثم الجاسوس على القاموس انتقد فيه على القامو الفيروزابادي. وكتاب غنية الطالب ومنية الراغب. وكتابان في تعليم اللغتين الإنكليزية (الباكورة الشهية) والافرنسية (السند الراوي) وردود على انتقادات الشيخ إبراهيم اليازجي اللغوية. وبهمة المترجم طبعت في مطبعة الجوائب عدة كتب أدبية قديمة استخرجها من مكاتب الآستانة فنشرها بالطبع بالحرف الاسلامبولي المشرق. ومن مآثره أيضاً عدة قصائد ومنظومات طبع منها نبذة في 219 صفحة سنة 1291. فمن أقواله الحسنة ما وصف به الحرب السبعينية بين فرنسة وألمانية. وهذا مطلع تلك القصيدة التي تزيد عن مائة بيت:

أصيبت فرنسا بالرجال والمالِ فيها ويحها من بعد عزّ وإقبالِ

أعدت جيوشاً للقتال وجهَّزت بوارجَ حربٍ في البحار كأجبالِ

وقالت إلى برلين يا جنديَ انفُروا فتلك التي قد كدرّت صفو أحوالي

وتلك التي قد زاحمتني على العلى ولم تكُ قبل اليوم تخطرُ بالبالِ

وصولوا على جرمانيا كلّها فقد أراها بدا منها تحاوُلُ إذلالي

فلي قيصرٌ قرمٌ جليلٌ تهابهُ جميع ملوك الأرض هيبة زئبال

إذا أنذر الأملاك حرباً تزلزلت ممالكهم من بأسهِ أيَّ زلزالِ

وقال في مطاردة الألمان لنابوليون وفي موقعة سيدان وخلع الإمبراطور:

فطاردهُ جيش العدوّ معقباً قولي إلى شالونَ يمزعُ كالرالِ

ومنها إلى سيدانَ بالجيش كلِّهِ عقيبَ مُعاناةٍ وبؤسى وآجالِ

وذلك حصنٌ عند بلجيكَ حولهُ ربى وتلالٌ حبّذا الوَزَرُ العالي

ولكنهم ناءوا سفاهاً عن الربى فحلَّت بها الجرمان من دون إمهالِ

هنالكَ عمَّ الويلُ والشرُّ والرَّدى بترميل أزواجٍ وتيتيم أطفالِ

وتبضيعٍ أرابٍ وتقطيع أوصالِ وتفليقِ هاماتِ وتدمير أطلالِ

وبزَّ تْهمُ الجرمانُ فاستسلموا لهم ثمانين ألفاً أو يزيدون في الحال

فلم يبقّ من ذا الجيش أجمعَ راجلٌ ولا فارسٌ فالجوُّ من ذكرهم خالِ

فلما درت باريس ذا الخطبَ أعولت وضجَّت وباتت في شجون وولوال

وقالت منَتني دولةٌ قيصرَّيةٌ بإِهلاك أجنادي وإتلاف أموالي

وإنَّ صلاحي دولةٌ جَمهُرَّيةُ تُسدّدُ أعمالي وتُصلحُ أحوالي

فنادت بخلع الإمبَراطور وابنهِ وثارت لأخذ الثار ثورة قسطالِ

وختمها بهذا البيت الحكمي المقتبس من المزامير وهو نعم ختام:

إذا لم يكن للمرء من ربهِ هدىً فلا شيءَ يهديهِ من القيل والقال

محمد سليم القصاب

ومن فرسان حلبة الأدب بين مسلمي الشام في ختام القرن التاسع عشر الدمشقي محمد سليم بن أنيس الشهير بالقصاب. طبع له ديوان حسن في دمشق في مطبعة الجمعية الخيرية سنة 1298 (1881) فمن أقواله الجيدة ما قاله من قصيدة في السيد عبد القادر الجزائري وأولاده:

لمَّا بأرض الشام حلّ ركابهُ ناديتُها بَاهي البلادَ وفاخري

أمنوَّا بنا فاليوم سبأّقُ أصبحت دارَ الخلافةِ وهو عبد القادر

يا دوحةً طابت مغارسها فلم تُثمر سوى ليثٍ وشبلٍ كاسر
من كل شهم في الأنام محمَّدٍ يعنو إلى علياءِ كلِ مفاخر
مولاي محي الدين مصباح الهدى ذاك العلي الشأن أحمد شاكر
فكأنَّهم لما تبدوا حوله أقمار تم حول بدر سافر
أكرم به فرعاً يفاخر فرعه بأصوله فلك السماء الدائر
لا زال في أوج المعارج نجمه يسمو بمجد ما له من آخر
وقال في جنينة شادها مدحت باشا لأهل دمشق دعاها جنينة الملة سنة 1296:
هذه غرفة أنس أزلفت في ربى الشام تسر الناظرين
قد بدت أزهارها تثني على مدحت العليا وصدر الأعظمين
شادها للملَّة الغرَّاء قُلْ فادخلوها بسلام آمنينْ
ومن رثائه قوله في وجيه قومه حسين بيهم لما توفي في بيروت سنة 1298:
هوى الكوكب الدُّرّي من أفُق العلى فجرّ القضا ذيلَ الظلام وأسبلا
مصابٌ كسا بيروت بُرْدَ حدادها وحقّ لها بالحزن أن تتسربلا
فما كان إلا روحَها وحياتها وقد أصبحت من بعدهِ جسداً بلا..
عفافٌ وحلمٌ وافتخارٌ ورفعةٌ وجودٌ حكى فيضَ السحاب ترسُّلا
أقيموا بني الآداب واجب نَعْيمهِ فلم يبقَ ما النفس أن تتعلّلا
وختم المرثاة بقوله:
فلما دعاه الله جل جلاله إلى جنة الفردوس ليس مهللا
فقال بشير العفو تاريخه زها حسين المعالي قر في جنة العلا
ومن محاسن وصفه قوله في وطنه الشام:
ما الشام إلا جنَّة الأمصار تزهو بغوطتها على الأقطار
حصباءها الدرُّ النضيدُ وتربُها م الكافورُ والبلّوْرُ فيها جاري
فيها الرياضُ الراهرات محاسناً فانهض بنا ننشّقْ شذا الأزهارِ
قد هبَّ فيها الريحُ يرقص غصنها والطيرُ غنَّى في عُلى الأشجارِ
وتفجَّرت فيها المنابع إنَّها ذَوْبُ اللجُينَ بجدولِ الأنهارِ
هي موطني دون البلاد وبغيتي فيها انتعاشي وانقضا أوطار

السيد محمود حمزة الحسيني

هو العالم الدمشقي العريق النسب من عائلة أصلها من حران ترقي نسبها إلى الحسين. كان مولده في دمشق سنة 1236 وفيها توفي سنة 1305 (1820 - 1887) واكب منذ صغره على العلوم اللغوية ثم انقطع إلى العلوم الفقهية فأصبح فيها إماماً ومعظم مصنفاته في الدين وفي كل أبواب الشرع إلا القليل منها كإعلام الناس والبرهان على بقاء دولة آل عثمان. وله قصائد حسنة وقد شرح بديعية لوالده وعرف بحسن الخط. وكان السيد محمود رجلاً مهيباً جليل القدر كريم الطباع تولى الإفتاء في دمشق دهراً طويلاً وقد أظهر نحو المسيحيين في نكبة دمشق سنة 1860 مروءة أجازته عنها الدولة الفرنسوية بهبة سنية. وقد اجتمعنا مع السيد محمود في دمشق غير مرة فلقينا منه شيخاً واسع المدارك غزير الآداب. وله في تقريظ كتابنا مجاني الأدب رسالة تنبئ بحسن ذوقه وتقديره للمشروعات الأدبية. وفيه يقول محمد القصاب بمدحه:

مفتي الأنام سليل المجد ملجأنا تاج الفخام فخار الفخر ذو الهمم
ماضي العزائم لا ند يضارعه بالأمر والنهي والإحسان والكرم
بحر المعارف بالأمواج زاخره يلقي لنا جوهر الإرشاد والحكم
في كل فن له باع يصيد به ما شت إدراكه عن حاذق فهم

الأمير عبد القادر الجزائري

ونظم إلى أدباء إسلام الشام في آخر القرن التاسع عشر حسينياً آخر عاش زمناً طويلاً في دمشق وإن لم يكن أصله منها نريد السيد الأجل والأمير العظيم عبد القادر الجزائري فإنه وإن كان من رجال السيف إلا أنه كان أيضاً من فرسان القلم. كان مولد هذا الأمير في القيطنة من قرى أيالة وهران في بلاد الجزائر سنة 1222 (1807م) درس العلوم اللسانية في حداثته على أساتذة وهران. ثم رافق والده في رحلته إلى الحجاز والشام والعراق وعاد إلى وطنه فعكف على العلوم الخاصة كالفلسفة والفلك والتاريخ حتى حمل الفرنسيس على الجزائر سنة 1830 تلافياً لإهانة لحقت هناك بسفير ملكهم كرلوس العاشر واحتلوا جهاتها. فانتشبت الحرب بين أهلها والفرنسيس وبايع الجزائريون للأمير عبد القادر فقاموا معه قيام الأبطال للدفاع عن أوطانهم. وكانت تلك الحرب سجالاً تارة لهم وتارة عليهم ودامت خمس عشرة سنة ألجأ الأمير بعدها إلى التسليم فسلم ولقي من الفرنسويين كل احتفاء ورعاية وجعلوا له راتباً سنوياً ثم تنقل مدة في مدن فرنسا وغيرها إلى أن اتخذ له دمشق سكناً في أواسط سنة 1271 (1855م) فطبت له هناك السكنى وفيها توفي في 19رجب سنة 1300 (حزيران 1883). ومن مبراته جازاه الله خيراً

دفاعه عمن احتمى في داره من نصارى دمشق في مذابح سنة 1860 وكان عددهم نحو أربعة آلاف. وكان الأمير عبد القادر مغرى بالعلوم محباً للعلماء يعظمهم ويحسن إليهم. قيل إنه كان يبلغ ما يوزع عليهم وعلى الفقراء مائتي ليرة في كل شهر. وله تآليف مفيدة في التصوف وعلم الكلام وبعض كتب أدبية منها (ذكر العاقل وتنبيه الغافل) أتمه سنة 1271 (1854). وقد نقله إلى الفرنسوية المستشرق غوستاف دوغا فطبعه في باريس سنة 1858 وكان للأمير سليقة جيدة في نظم القريض. ومن قصائده رائية أولها:

أمسعودُ جاءَ السعد والخيرُ واليسرُ وولَّت ليالي النحس ليس لها ذكرُ

ومنها قصيدة حماسية كان يتمثل في معارفه بأحد أبياتها الفخرية:

ومن عادة السادات بالجيش تحتمي وبي يحتمي جيشي وتُحرسُ أبطالي

ومن أبياته الفخرية قوله يذكر فيها أحد أيامه لما حارب الفرنسويين:

ونحن لنا دينٌ ودنيا تجمعًّا ولا فخر إلا ما لنا يرفع اللّوا

مناقب مختارَّية قادرَّيةٌ تسامت وعباسية مجدها احتوى

فإن شئت علماً تلقني خير عالمٍ وفي الروع أخباري غدت تُوهن القوى

ونحن سقينا البيض في كل معركٍ دماءَ العدى لما وهت منهم القوى

ألم ترى في خنق النطاح نطاحنا غداة التقيناهم شجاعٌ لهم لوى

وكم هامة ذاك النهار قددُتها بحد حسامي والقنا طعنهُ شوى

وأشقر تحتي كلمَتهُ رماحُهم ثمانٍ ولم يشك الوحي بل ولا التوى

بيومٍ قضى نحباً أخي فارتقى إلى جنانٍ له فيها نبي الرضى أوى

فما ارتد من وقع السهام عنانهُ إلى أن أتاه الفوز رغماً لمن عوى

ومنها في وصف الحرب:

وأسيافنا قد جردّت من جفونها ولا رُد إلا بعد ورد بهِ الروى

ولما بدا قرني بيمناهُ حربةٌ وكفي بها نارٌ بها الكبشُ قد ثوى

فأيقن إني قابض الروح فانكفا يولي فوافاه حسامي بما هوى

شددتُ عليهم شدَّة هاشميَّة وقد وردوا وِردَ المنايا على الغوى

وقد مدح الشعراء الأمير عبد القادر بقصائد يبلغ مجموعها كتاباً ضخماً. ومما قيل فيه لأحدهم:
بحر المعارف والعوارف والندى   ذو الحكمة العليا الكريم العنصر
مولى يتيهُ بهِ الزمان وحسبُهُ   أن لم يفز بنظيرهِ مذ أعصرِ
وفي طرابلس الشام قضى نحبه في العقد الأخير من القرن التاسع عشر نحو 1210هـ (1892م).

الشيخ محمد الشهال الطرابلسي كان له في نظم الشعر حظ وافر سلك فيه منهج الرقة واللطف. فجمع ابنه عبد الفتاح قصائده في ديوان دعاه (عقد اللآل من نظم الشهال) وطبعه في طرابلس سنة 1312ه. فمن حسن أقواله ما قاله مراسلاً بعض أصدقائه:
متى يجمعُ الرحمنُ شملي بُمنْيتي   وأحظى بطيب الوصل بعد تشتُّتي
أأحبابنا كم ذا أبثُّ شكايتي   ولم تسمعوا دعوى حليفِ المحبةِ
قضى الله بالهُجران بيني وبينكم   فيا ليت قبل الهجرْ كانت منيَّتي
تحجّبتم عن ناظريَ وشخصُكم   مقيمٌ بقلبي أينما كان وجهتي
وذكركُم ما زال وسط ضمائري   يخامرُ في كل يومٍ وليلةِ
نأيتم فخلَّفْتم جفوني قريحةً   فباهت بأسرار الشجون الخفيةِ
عسى الله أن يمحو دجى البُعد باللقا   ويجمعني فيهِ بأحسن حالةِ
وقال يهنئ أحد أصحابه بقدومه إلى الفيحاء بغتةً:
خليل العلى والمجد عن غير موعد   لقد واصل الفيحا فطابت به نثرا
وأضحى لسان العز عند قدومه   ينادي لقد وافى الخليل فيا بشرى
وممن يجب نظمه بين شعراء أواخر القرن التاسع عشر (الشيخ محمد الهلالي) هو محمد بن هلال بن حمود المولود في حماة السنة 1235 (1819م) والمتوفى في 29 ذي الحجة 1311 (حزيران 1894) نشأ بحماة ودرس على علماء أهل ملته العلوم الدينية ثم انقطع لدرس الآداب ونظم الشعر فقصد القصائد على نمط ذلك العهد ومدح كثيرين من وجهاء بلاده ثم ارتحل إلى دمشق سنة 1298 (1881م) فاستوطنها ونعم في سكناها وأنس بأهلها وعاشر أدباءها وكرام أهلها وأمراءها فنال الحظوة من فضلهم ولم يزل في هناء عيش إلى وفاته في الفيحاء فقال الشيخ عبد المجيد الخاني يؤرخ سنة موته:

لقد تُوُفي الهلالي سيدُ الشعرا وكوكبُ الأدب العالي الذي اشتهرا
فلا غريبٌ إذا نادى مؤَرخه ألا توّفي الهلالي سيدُ الشعرا (1311)

وقد جمع بعض مواطنيه ديوانه فطبعوه في حماة سنة 1329 وقسموه أبواباً على حسب معاني الشعراء من مديح وتهاني ورثاء وتواريخ. فمما قاله لما هاجر من حماة إلى دمشق بأهله يستمنح فضل الأمير السيد عبد القادر الجزائري:

هاجرتُ من بلدي بأهلي غازياً بعساكر الآمالِ خير همامِ
ورميتُ سهم الظنّ عن قوس الرجا طمعاً وحاشا أن تطيش سهامي
وبجيش فَقري قد أتيتُ إلى حِمىً أغنى وأندى كل بَحْر طامي
مستمطياً حسن الطوَّيةِ راكباً فرَسَ الفراسةِ ناشراً أعلامي
مستبشراً من سيدي بعنايةٍ عنّي يزولُ بها عَناهُ أوامي
مولاي عبد القادري الحَسنَي الذي في ظل نعمتهِ نصبتُ خيامي
الكاشف الفاقات ماحي ليلَها بسناءِ صبح الجود والإنعامِ
وافيتُ جنَّة قربهِ لأفوزَ من مأوى مكارمهِ بدار سلامِ
ولما أؤمَّل من عوائد فضلهِ طال انتظاري في دمشق الشامِ
ماذا جوابي إن رجعتُ إلى حما ة بزوجتي من بعد غربة عامِ

فأمر له الأمير بجائزة سنية. ومن ظريف قوله يؤرخ إنشاء سبيل في دمشق سنة 1304:

بادر لأعذب سلسبيلِ فيه ما بمعينه يشفي العليلَ من الظمأ
لله فاعلُ خيرٍ فعلٍ دائمٍ لينال من مولاهُ أجراً أعظما
حوضٌ لواردهِ الصفا منهُ شدا أرخْ ونادِ أسقِ العطاش تكرُّما

وقال أيضاً مؤرخاً وفاة والده هلالاً سنة 1880:

لَنِعْمَ عُقْبى الدارِ دارُ البقا وحبَّذا إلى النعيم المآلْ
يا زائراً هذا الضريح الذي حوى هلالاً فاز بالانتقالْ
لِنصفْ ذي الحجَّة قُلْ أرَخوا عاماً به آنَ غيابُ الهلالْ

أدباء مصر

لم يبلغ أدباء مصر من المسلمين في ختام القرن التاسع عشر ما بلغه ذوو دينهم في الشام وأشرنا إلى سبب ذلك في ما تقدم على أن مدرسة الأزهر بعد الاحتلال الإنكليزي كانت لا تزال ضابطة لرئاسة تعليم العربية نائلة لقصبات السبق في القطر المصري على الرغم مما أصابها من التأخر في ذلك

الزمن كما أقر به أرباب الأمر ومن ثم أنشئوا سنة 1212 (1894) مجلساً ليتدارك الخلل في ذلك وتصلح طرق التعليم.
وممن نالوا بعض الشهرة في أواخر القرن التاسع عشر من شيوخ الأزهر وأساتذته الشيخ (مصطفي العروسي) الذي تولى ست سنين (1281 - 1287) رئاسة الأزهر وله ما خلا الكتب الإعتقادية أحكام المفاكهة في أنواع الفنون والمتفرقات توفي سنة 1293 (1876).
ومنهم الشيخ (محمد المهدي العباسي) ولد سنة 1244 (1828) واشتهر في العلوم الدينية وصارت إليه رئاسة الإفتاء في الديار المصرية مع شياخة الإسلام واختارته عمدة الأزهر لمشيخة تلك المدرسة فتقلدها سنة 1287 إلى 1299 وعاش إلى سنة 1315 (1897) قال بعضهم مؤرخاً لوفاته:

عليهِ دمع الفتاوى باتَ منحدراً وللمحابر حزنٌ ضاق عن حدّ

فيها المسائل قد باتت تؤرّخهُ مات المجيب الإمام المقتدى المهدي

ومن تآليفه الفتاوى المنسوبة إليه المعروفة بالفتاوى المهدية في الوقائع المصرية ومنهم الشيخ (محمد الأنبابي) ألف عدة كتب في الصرف والنحو وآداب البحث وقد تخرج على يديه كثير ممن تصدروا للتدريس. وتولى مشيخة الأزهر مرتين. كان مولده سنة 1240 ووفاته سنة 1313 (1824 - 1896).
ومنهم (الشيخ عليش) أحد مشايخ السادة المليكة في مصر ولد بالقاهرة سنة 1217 وبها توفي سنة 1299 (1802 - 1882) اشتغل بالعلم في الأزهر حتى أدرك الجهابذة وأخذ عنه جل الأزهريين له تآليف عديدة في الفقه والبيان والمنطق وكتاب مواعظ. نكب في آخر حياته بسبب الثورة العسكرية العرابية.
ومنهم (حسين بن أحمد المرصفي) كان مكفوفاً وبلغ باجتهاده إلى أن يدرس في الأزهر ومن تآليف الوسيلة الأدبية في العلوم العربية والكلم الثمان في الأدب توفي سنة 1307 (1889م).
واشتهر غير الأزهريين رجال يعدهم المصريون كأركان النهضة العلمية في وطنهم في العشرين الأخيرين من القرن السابق نختصر هنا أخبارهم.

عبد الله باشا فكري
هو أحد نوابغ الناشئة المصرية في القرن الأخير ولد في مكة إذ كان أبوه محمد مرافقاً في الحجاز للجنود المصرية سنة 1250 (1834) ثم نشأ في مصر وشاب في حضانة المعارف حتى تضلع في كل علم. وقلدته الحكومة المصرية للمناصب الجليلة كنظارة المدارس ووزارة المعارف. وكان سار معها في رفقة الخديوي إسماعيل باشا إلى استنبول سنة 1861 ثم

عهد إليه تهذيب ولي العهد محمد توفيق باشا مع أخويه الحسن والحسين فقام بتلك المهمة أحسن قيام. ولما ولي نظارة المعارف سعى في تنظيم الدروس وصنف للدارسين كتباً يدرسون فيها ومن خدمه الطيبة أنه لم يزل يحض الحكومة حتى أنشأت المكتبة الخديوية التي تعهد من أغنى الخزائن الكتبية بالمخطوطات والمآثر العربية. ولما حدثت الثورة العرابية سنة 1882 ألقي القبض على عبد الله باشا فكري وبقي مدة تحت الاستنطاق إلى أن عرفت برارته وبرئت ساحته وكان الخديوي قد قطع معاشه فكتب إليه من قصيدة:

مليكي ومولاي العزيز وسيدي ومن أرتجي آلاءَ معروفهِ العمرا

لئن كان أقوامٌ عليَّ تقوَّلوا بأمر فقد جاؤوا بما زوروا نكرا

فما كان لي في الشرْ باعٌ ولا يدٌ ولا كنتُ من يبغي مدى عمره الشرا

فعفوا أبا العباس لا زلت قادراً على الأمر أن العفو من قادرٍ أحرى

وحسبي ما قد مر من ضنك أشهرُ تجرعتُ فيه الصبر أطعمُهُ مراً

يعادل منها الشهرُ في الطول حقبةً ويعدل منها اليومُ في طوله شهرا

أيجعل في دين المروءة أنَّني أكابد في أيامك البؤس والعسرا

فما لبث أن أعاده الخديوي إلى مقامه السابق فقال يشكره من قصيدة طويلة:

ألا أنَّ شكر الصنع حقُّ لمنعمٍ فشكراً لآلاء الخديوي المعظَّمِ

مليكُ له في الجود فضلٌ ومفخرٌ على كل منهلٍ من السحب مرهمِ

سأشكرهُ النعماءَ ما عانقت يدي يراعي أو استولى على منطقي فمي

فلا زال محروسَ الحمى متمتعاً مع الخيرة الأشبال في خير أنعم

وتجول عبد الله باشا بعد ذلك في جهات الحجاز والشام. ولما عقد في استوكهلم مؤتمر المستشرقين سنة 1888 أوفدته الحكومة لنيابة عنها وزار معظم الحواضر الأوربية وكتب تفاصيل رحلته في كتاب دعاه (إرشاد الألباء إلى محاسن أوربا) لكن الموت عاجله فتوفي قبل إتمامه في أواخر سنة 1307(1890م) فأنجزه نجله بعد وفاته. وقد خلف عبد الله باشا فكري آثاراً أدبية جليلة كنظم اللآل في الحكم والأمثال والمقامة الفكرية في المملكة الباطنية والفوائد الفكرية للمكاتب المصرية جمع فيه ابنه كثيراً من كتاباته وقصائده في

كتاب دعاه الآثار الفكرية (وصفناه في المشرق 1(1898):
189) وكان المترجم بارعاً بالنظم والنثر راسخ القدم في
بلاغة التعبير وكان بالخصوص إماماً في الإنشاءات الديوانية
فاستخدمه خديوياً مصر سعيد باشا وإسماعيل باشا في
اشتغال الكتابة عنها باللغتين التركية والعربية إلى الملوك
والسلاطين. ومن حكمه قوله:

إذا رُمتَ المروءةَ والمعالي وأن تلقى إله العرش بَرّا
فلا تقرب لدى الخَلوات سراً من الأفعال ما تخشاهُ جهراً

وقال يصف ثامن مؤتمر المستشرقين في استوكهلم من
قصيدة:

ناد بهِ احتفل الأفاضلُ حفلةً بحديثها تتقادَمُ الإعصارُ
جمعت لثامن مرَّةٍ معدودةٍ في الدهر لا يُنسَى لها تذكارُ
متآلفين بعيدهم بقريبهم والفضلُ أقربُ وصلة تمتارُ
من كل فياض القريحة وردهُ عذبٌ وبحرُ علومهِ زخارُ
ومؤزَّر بالفضل مشتمل بهِ منهُ شعارٌ زانهُ ودثارُ
لا زال ملك الفضل معمور الذرى بذويهِ ممدوداً لهُ الأعمارُ

وكان لعبد الله باشا ولد تقصى آثار والده اسمه (أمين باشا
فكري) درس الحقوق في فرنسا ثم عاد إلى بلده فتعاطى فن
الدعاوى وبرز فيه حتى رقّته الحكومة المصرية إلى رئاسة
النيابة سنة 1888 ثم ولته قضاء محكمة الاستئناف ثم محافظة
الإسكندرية حتى انتدبته لنظارة الدائرة السنية لكن الموت
اهتصر غصن حياته فمات سنة 1899 وكان مولده سنة 1856.
ومن تركته العلية كتب مطول في جغرافية مصر والسودان.
وكان رافق إياه مع الوفد المصري إلى استوكهلم عاصمة بلاد
اسوج فأنجز أخبار رحلة أبيه فدعاه (إرشاد الالباء إلى محاسن
أوربا) كما أنه جمع مآثره المتفرقة على ما ذكر وله أيضاً
فضلاً تقدم رسائل وقصائد لم ينشر منها إلا النزر القليل.

علي باشا مبارك

هو أحد أركان النهضة المصرية ولد من عائلة فقيرة في قرية
برنبال من مديرية الدقهلية سنة 1239 (1823) فتقلبت به
الأحوال إلى أن توفق إلى دخول مدرسة القصر المعيني
وأرسل إلى باريس فدرس فيها فن الحرب ثم ألحق بالجيش
المصري وحضر حرب القريم سنة 1854. ثم انتدبته الحكومة
المصرية لوكالات ونظارات ودواوين مختلفة أبدى في جميعها
عن مقدرة عظيمة. وقد خدم الآداب العربية بتنظيم مكاتب
القاهرة والبنادر وإنشاء مدارس جديدة أخصها مدرسة دار
العلوم وفتح المكتبة الخديوية وتولى نظارة المعارف فأجرى
فيها إصلاحات مهمة. وفي آخر حياته اعتزل الأعمال إلى سنة
وفاته 1311 (1893) وله تآليف ذات شأن اجلها الخطط
التوفيقية حذا فيها حذو الخطط المقريزية فوصف الخطط

الجديدة التي أنشئت في القاهرة ومدنها القديمة والشهيرة في ستة مجلدات. ومنها كتاب نخبة الفكر في تدبير نيل مصر وكتاب الميزان في الاقيسة والأوزان وكتاب علم الدين في عدة أجزاء على طرز رواية أدبية عمرانية أودعها كثيراً من المعارف والفنون كالتاريخ والجغرافية والهندسة والطبيعيات وغير ذلك مما قرب إلى قرائه فهمه بمعرض شهي.

الشيخ الأبياري

هو الشيخ عبد الهادي نجا الابياري أحد الكتبة المعدودين في أواخر القرن السابق. ولد في أبيار في جهات مصر السفلى سنة 1236 (1821) وأخذ عن والده مبادئ الآداب ثم حضر دروس أساتذة الأزهر كالشيخ البيجوري والشيخ الدمنهوري وغيرهما. ولم يزل يكد ويجد في تحصيل العلوم حتى نال منها ما لم ينله إلا القليلون من معاصريه فعهد إليه الخديوي إسماعيل باشا تثقيف أولاده. وتصدر للتعليم في الجامع الأزهر فذاع صيته في أنحاء القطر المصري وجعله الخديوي توفيق باشا أمام المعية ومفتيها فقام بمهام رتبته إلى وفاته سنة 1306 (1888) وكان يجله الأدباء ويراسله فضلاء عصره وقد جمعت مكاتباته للشيخ إبراهيم الأحدب في كتاب الوسائل الأدبية في الرسائل الاحدبية. ومن تآليفه الشهيرة كتاب سعود المطالع في مجلدين ضمنه كلاماً واسعاً في ضروب العلوم العربية. ومنها كتابه نفح الأكمام في مثلثات الكلام كمثلثات قطرب. وكتاب الفواكه في الآداب. واتخذه صاحبا الجوائب والبرجيس كحكم ليفصل المناظرات اللغوية التي قامت بينهما فكتب كتابه النجم الثاقب في المحاكمة بين البرجيس والجوائب فنظم أحمد فارس قصيدتها الدالية التي يقول فيها شاكراً:

أبدى لنا في مصرَ نجماً ثاقباً ... لكن ثناهُ بكل مصرٍ هادِ

فيهِ الفوائد والفرائد فُصّلت ... موصولةَ البرهانِ بالإسنادِ

إن قال لم يترك لقوالٍ مدىً ... أو صالَ هالَ وطال كلَّ معادِ

هو فَيْصلُ في الفكر يرضى فصلهُ ... من لم يقنع من الأشهادِ

لولاهُ لم يُقَطع لسانُ المفتري ... عني ولم ُيفصل جدالُ بلادِ

فلذاك كان على الجوائب مدحُهُ ... حقاً وإيجاباً مدى الآباد

الشيخ علي الليثي

كان من أشعر شعراء العصر السابق. ولد نحو السنة 1830 وصرف همه إلى العلوم اللغوية والأدبية فصار منشئا بليغاً وشاعراً مفلقاً حتى نظمه أولو الأمر في سلك رؤساء المعية السنية. ورافق الخديوي إسماعيل باشا في سفره إلى

الأستانة سنة 1290 ومدح السلطان عبد العزيز. وكان الأدباء يتسابقون إلى مطارحة الليثي ويتفاخرون بمكاتبته. وقد طال عمره حتى توفي مأسوفا عليه في 25 ك2 سنة 1896 (1313 ه). وله منظومات جمة يجمع منها ديوان إلا أنها لا تزال متفرقة. فمن محاسن أقواله رثاؤه لعبد الله باشا فكري:

نذمُّ المنايا وهي في النَّقد أعدلُ غداة انتقت مولى به الفضلُ يكملُ

كأنَّ المنايا في انتقاها خبيرةٌ بكَسْب النفوس العاليات تُعجّلُ

فتمَّ لها من منتقى الدُّر حليةٌ بها العالمُ العلويُّ أنا يهللُ

ومنها في وصف الفقيد:

لقد كان ذابرٍ عطوفاً مهذَّباً سجاياهُ صفوُ القَطر بل هي أمثلُ

رقيق حواشي الطبع سهلٌ محبَّب إلى كل قلبٍ حيث كان مبجَّلُ

كريم السجايا لا الدنايا تشينهُ عظيم المزايا إذ يقولُ ويفعلُ

شمائلهُ لو قُسّمت في زماننا على الناس لازدانوا بها وتجمَّلوا

فقدنا محياهُ ولكنَّ بيننا بديع مزاياهُ بها نتمثَّلُ

وقال يمدح السلطان عبد العزيز في عيد جلوسه سنة 1290:

دَعْ ذكرى كسرى وقصَرْ إن أردت ثنا عن قيصر الروم حيث النفعُ مفقودُ

وأشرحْ مآثر من سارت بسيرتهِ ركائبُ المجد تحدوها الصناديدْ

مولى الملوك الذي من يُمن دولتهِ ظلُّ العدالةِ في الآفاقِ ممدودُ

عبدُ العزيز الذي آثارهُ حُمدت أبُ الألى جدُّهم في المجد محمودُ

أجاد نظم أمور الملك في نسقٍ لا يعتريهِ مدى الأزمان تبديدُ

وشاد فوق العلى أركانهُ فغدا له على هامةِ الجوزاء تشييدُ

فلا تقسهُ بأسلافٍ له كرُمتْ والشبلُ من هؤلاء الأسد مولودُ

ففخرُهم عقدُ درٍ وهو واسطةٌ في جيد آل بني عثمانَ معقودُ

وله اللامية المشهورة قالها بعد الفتنة العرابية مستعطفاً مستصفحاً عن الجناة:

كل حال لضدَهِ ينحوَّلْ فالزمِ الصبرَ إذ عليهِ المعوَّلْ

يا فؤادي استرحْ فما الصبرُ إلا ما به مظهر القضاء تنزل

قدرٌ غالبُ وسرُّ الحفايا فوق عقل الأريب مهما تكمَّلْ

رُب ساعٍ لحتفهِ وهو مَّمن ظنَّ بالسعي العلى يتوصَّلْ

السيد عبد الله نديم
هو كاتب بليغ نبغ في مصر وسعى في تحرير وطنه فأنشأ عدة جرائد سياسية كان يزرع فيها بذور آماله وينهض همم مواطنيه حتى لقب بخطيب الشرق. ولما ثارت الفتنة العرابية نفي من وطنه ثم صفح عنه وبعد قليل اضطر إلى مغادرة بلاده فتوجه إلى الآستانة ونال الحظوة لدى السلطان وما لبث أن توفي في القسطنطينية سنة 1314ه. وكان مولده بالإسكندرية سنة 1261 (1844 - 1896).
وكان عبد النديم خطيباً لسناً متوقد الذهن صافي القريحة شديد العارضة متفنناً في الكتابة نظماً ونثراً له ثلاثة دواوين كبيرة ورسائل وتآليف لغوية وأدبية طبع منها قسم في كتاب سلافة النديم في منتخبات السيد عبد الله نديم وهو في نثره سهل العبارة قريب المعاني يتحاشى كل تصنع. فمن أقواله ما ذم به الخمرة:
طافَ النديمُ بكأسهِ في ألحانِ ومشى بزفٌّ البكرَ بالألحانِ
برزتْ تُقَهقهُ بين ندمانِ الطلا فخجلتُ إذ ضحكتْ على الأذقانِ
ذلّت لدولةُ حكمها دُوّل الورى من غير ما حرب ولا أعوانأعوانِ
خَفت فطارت بالعقولِ وخلَّفت تلك الجسومِ بحالةِ الحيْران
أيُّ المحاسن أبصروا في وجهها وهي العتيقة من قديم زمانِ
أمُّ الخبائث بنتُ عُسْلوج الهوى أخت الحشائش زوجة الشيطانِ
من زفّها من خدرِها لفؤاده صرعتهُ عند مزالق الأطيان
وإذا تستر في ترشّفها بدتْ من فيهِ تفضحهُ لدى الإخوان
وإذا مشى لعبت به عن مكرها فيقال هذي مشية السكران
ومن أوصافه الحسنة قوله يصف قطاراً بخارياً:
نظر الحكيم صفاته فتحَّيرا شكلاً كطَوْد بالبخار مُسيّرا
دوماً يحن إلى ديار أصولهِ بحديد قلب باللهيب تسعّرا
ويظلُّ يبكي والدموع تزيدهُ وحُبذا ويجري في الفضاء تسُّترا
تلقاهُ حال السير أفعى تلتوي أو فارس الهيجا العشْيرا
أو سبعَ غلبِ قد أحسَّ بصائدٍ في غابهِ فمدا عليه وزمجرا
أو إنها شهبٌ هوت من أفقها أو قبة المنطادِ تنبذ بالعرا
وله في الفخر والحماسة:
إذا ما المجدُ نادانا أجبنا فيظهر حين ينظرنا حنينا

فإنا في عداد الناس قومٌ بما يرضي الإلهُ لنا رضينا
إذا طاش الزمان بنا حَلُمنا ولكنَّا نُهينا أن نهينا
وإن شئنا نثرنا القولِ درّاً وإن شئنا نظمناهُ ثمينا
وإن شئنا سلبنا كلّ لبٍّ وإن شئنا سحرنا المنشئينا

محمد عثمان جلال
هو ابن يوسف الحسني الونائي ولد سنة 1245 (1829) ودرس في صغره اللغات في مدرسة الألسن في حي الأزبكية ثم دخل سنة 1261 (1844) في قلم الترجمة ثم انتدبته الحكومة لأشغال الكتابة في وزاراتها إلى أن استوزره توفيق باشا الخديوي واتخذه لصحبته في رحلته إلى جهات القطر المصري فكتب تأليفه (السياحة الخديوية) ثم تقلد القضاء في محكمة الاستئناف وأحيل على المعاش سنة 1895 وكانت وفاته في 16 كانون الثاني سنة 1898. وللمترجم عدة تآليف نقل بعضها من الافرنسية كرواية بول وفرجيني وكأمثال لافونتين نظمها بالشعر ودعاها العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ دونك مثالاً منها وهو مثل البخيل والدجاجة:
كان البخيل عنده دجاجةْ تكفيهِ طولَ الدهر شرَّ الحاجةْ
في كل يوم مَر تُعطيهِ العجبَ وهي تبيضُ بيضة من الذهَبْ
فظن يوماً أن فيها كنزاً وإنهُ يزداد منهُ عزاً
فقبضَ الدجاجةَ المسكينُ وكان في يمينهِ سكينُ
وشقتَّها نصَفينِ من غفلتهِ إذ هي كالدجاج في حضرتهِ
ولم يجد كنزاً ولا لَقيَّةْ بل رُمَّةً في حُجْرهِ مرميَّةْ
فقال: لا شكَ بأنَّ الطمعا ضيع للإنسان ما قد جمعا
وكان محمد عثمان يحب اللغة المصرية العامية فنقل إليها عدة روايات تمثيلية عن الشاعرين راسبن وموليار تصرف فيها بعض التصرف. ومن ظريف شعره قوله يمدح الحضرة الخديوية العباسية سنة 1309:
من يضاهيكَ في العلى مَنْ بُداني يا عزيزاً لهُ علينا يَدانِ
يدُ حكمٍ بالعدلِ لا يَعتريها عارضُ الميل فهي كالميزانِ
ويدٌ العطاء كالنيل قد فا ض بإنعامهِ على البلدانِ
وله في رثاء عبد الله باشا فكري:
همامٌ على فوق السماء بفكرهِ فمن ثمَّ سمتهُ الأفاضلُ بالفكري
فتى غاص في بحر المدارس رأيهُ فأخرج من حصبائه غالي الدرّ
وسال غديرٌ من عذوبة لفضلهِ فأنضج أثماراً على يانع الزهرِ
زها نجمهُ دهراً بمصرٍ فلم يَجدْ قريناً ولكن لا أمانَ إلى الدهرِ
ثلاثُ لغاتٍ كالعرائس حازها بهمَّته لا بالجهاز ولا المُهْرِ

من العرب العرباء كان إذا حكى وحرّر بالنظم البديع أو النثر
وكان لأهل الفارسَّية تحفةٌ بمعلومهِ الوهبيّ يحكي ليزّدْجر
ونال بديوان المعارف رفعةً مفضلةً من فضل زيد على عمرو
فوا أسفاً وأراهُ قبرٌ ولو درى لآثر سوداءَ القلوب على القبرِ
وما مات ليثٌ أورث الغابَ شبلهُ ولا كان هذا الغابُ يخلو من الزأرِ

وممن جمع في مصر بين الآداب التركية والعربية (حسن حسني الطويراني) ولد في مصر 1266ه (1850م) وتوفي الآستانة سنة 1315 (1897) نشط منذ حداثته إلى العلم والأدب حتى برز بين كتاب زمانه وقضى قسماً من عمره في السياحة في أفريقية وآسية وبلاد الروملي وأنشأ عدة جرائد كالزمان والإنسان والنيل والعدل ومجلة المعارف والمجلة الزراعية. وألف تآليف عديدة دينية واجتماعية وأدبية بعضها تركية وبعضها عربية. وله ديوان شعر دعاه ثمرات الحياة اختار منه قسماً عبد الغني العريسي وطبعه في مصر سنة 1325.
فهذه بعض أمثال نقتطفها منه قال مفتخراً:

إن كنتَ محتقراً حالي وتجهلُها سَلْ عارفاً عن شأني فتعرفني
أنا الذي ما سَمعتْ بي للخَنا قدَمٌ ولا شكا همَّتي من كان يصحبُني
لي جانبٌ لصديقي هَينٌ أبداً وجانبٌ لعدوّي ثم لم يلنِ
ولي لسانٌ أرى أن تبقى بضاعتهُ ولي فؤاد بحب الباقياتِ فني

وقال أيضاً:

غيري تغيرُهُ الصروفْ وسِوايَ تُفْزعهُ الحتوفْ
وأنا الذي لا عيبَ لي إلا اقتحامي للمَخوفْ
لا أتقي بأس القوي ولا يَرى بأسي الضعيفْ
حسبي يُقال: سكوتهُ أدبٌ ومَنطِقهُ شريفْ
لا تقلْ إني صديقٌ أو فلانٌ لي صديقْ
إنما أنت وهذا لرفيقٍ في طريقْ
فاجتماعُ في اتساع وافتراقٌ وقت ضيقْ

ومن محاسن أقواله:

إن الحياة وطيبها ونعيمها ممَّا يؤمَّلُ في الزمان ويُعْشقُ
غاياتنا فيها بدايةٌ غيرنا كالشمس مَغْرُبها لغيرك مشرقُ

وقد اشتهر في مصر غير هؤلاء ممن تخصصوا ببعض الفنون ونالوا السبق في بعض الأعمال فصنفوا فيها المصنفات المفيدة. منهم (محمود باشا الفلكي) ولد سنة 1220 في مديرية الغربية وتوفي في مصر سنة 1303 (1805 - 1881)

تقلب في المناصب الخطيرة وتولى وزارة المعارف وقد عرف خصوصاً بتآليفه الفلكية ورسم الخرائط وضبط التقاويم التاريخية لا سيما العربية ووصف مقياس النيل. وله أيضاً بعض التآليف الأثرية كرسالته في الإسكندرية القديمة وفي الأهرام وغير ذلك وقد صنف بعض هذه التآليف في الافرنسية فحل بين علماء الإفرنج محلاً أثيراً.
ومنهم (محمد باشا مختار) كان مولده في بولاق مصر سنة 1835 وتوفي في 20 تشرين الثاني سنة 1897 تعلم في مدرسة دار العلوم وانتظم في الجندية وترقى فيها إلى رتبة لواء سنة 1886 وقد اشتهر في حروب السودان. وكان متضلعاً بالعلوم الفلكية والرياضية ألف فيها عدة تآليف بالعربية والافرنسية. وله ما خلا ذلك تراجم لبعض الخاصة كمحمود باشا الفلكي والجنرال ستون الأميركي وكتب في وصف بلاد السودان والحبشة رسائل حسنة.

ومنهم (محمد علي باشا الحكيم) ولد سنة 1228 في مديرية المنوفية درس العلوم الطبية فنال منها حظاً وافراً إلى أن تعين رئيساً للمدرسة الطبية في مصر وقد رافق سعيد باشا في رحلته إلى أوربا. ولما انتشبت الحرب المصرية مع الحبشة سنة 1877 سار في رفقة الحملة إلى تلك البلاد وفيها توفي سنة 1293 (1813 - 1877) وله تآليف طبية في فنون الجراحة وقانون طبي ورسائل مختلفة.
وقد اشتهر مثله في الطب والجراحة (الدكتور دري باشا) الذي ولد وتوفي في القاهرة (1257 - 1318 - 1841 - 1900) ودرس في مدرسة القصر العيني وألف التآليف المشهورة في الطب كتذكار الطبيب ورسالة في الهيضة. وصنف غير ذلك أيضاً كترجمة حياة علي باشا مبارك والتحفة الدرية في مآثر العائلة الخديوية. وفيه قال الشيخ علي أبو يوسف الأزهري يمدحه:

لو نلتُ في الدهر ما أبغيهِ لم ترَني ... في مدح من شئت إلا ناظم الدُّرّ
أو كنتُ أدلجتُ في المسرى فليس إلى ... شيء يكون سوى الكوكب الدري
أو أن ألمت بي الإسقامُ في زمنٍ ... لم استطبْ سوى بالماهر الدري
فهو الحكيم الذي لم يشكُ ذو مرضٍ ... إلا ونادى به يا كاشف الضرِ

وممن له حصل شهرة في طب في مصر (حسين بك عوف الكحال) المتوفى سنة 1301(1883) و(محمد بك حافظ) المتوفى سنة 1305 (1887) درسا أمراض العيون في القصر العيني ثم في أوربا. ونشر الأول كتاباً في الرمد والثاني في تشخيص أمراض العين. وفاق عليها شهرة (سالم باشا سالم)

في العلوم الجراحية التي أتقنها في مدارس ألمانية ثم أسندت إليه رئاسة مدرسة الطب في القاهرة فنشر عدة تآليف طبية أشهرها وسائل الابتهاج إلى الطب الباطني والعلاج. توفي 1311 (1893). ونال في الصيدلة نصيباً حسناً (علي بك رياض الصيدلي) المتوفى سنة 1317 (1899) له تأليف في الأعمال الاقرباذينية والمادة الطبية والتاريخ الطبيعي.

وقد اشتهر في فن الدعاوى وعلم القوانين والرياضات والموسيقى الشرقية (شفيق بك) ابن منصور باشا يسكن ولد في القاهرة 1856 ومات في عز شبابه سنة 1890 بعد أن خدم العلم مدة بالتعليم والتصنيف. ومن تآليفه كتاب التفاضل والتكامل وكتاب في أصول الحساب والجبر والهندسة والهينة ورسالة في الموسيقى عرب تأليف مختار باشا (رياض المختار) من التركية ونقل تاريخ مصر الجبرتي إلى الافرنسية. ونقل من الافرنسية بعض المؤلفات إلى غير ذلك مما أثار الأسف على فقده قبل بلوغه الكهولية.

وقد كان لغير هؤلاء المصريين بعض الشهرة أيضاً في فنون شتى كالشيخ (إبراهيم ابن عبد الغفار الدسوقي) الذي ولد سنة 1226 وتوفي سنة 1301 (1811 - 1882م) ثم بعد أن درس في الأزهر تولى فيه تعليم العربية ثم نقل إلى الهندسخانة الخديوية واشتغل في الرياضيات وسعى بطبع الروضة السندسية في الحسابات المثلثية. وتعين مدة لتصحيح مطبوعات بولاق وأنشأ جريدة الوقائع المصرية. ومن تآليفه حاشية على المغني. وعليه درس العربية المستشرق الإنكليزي لان الشهير بمصنفاته الشرقية ولا سيما معجمه العربي الإنكليزي الواسع.

ومنهم الأديب عبده حمولي (1845 - 1901) نبغ بالموسيقى العربية وأعاد لها شيئاً من رونقها المطموس بما وضعه من الأنغام وأحدثه من أصول الفن.

أدباء العراق

أصاب قطر العراق بعض الخمول غفي أواخر القرن التاسع عشر فلم ينل فيه الشهرة في الكتابة إلا القليلون. هذا إلى انقطاع أخبارهم عنا وندرة المدارس والمطبوعات في تلك الجهات.

وممن اتصلت بنا منظوماته (الملا حسن الموصلي البزاز) اشتهر في أواسط القرن التاسع عشر وتوفي في عشره الأخير. له ديوان شعر طبع بمصر سنة 1305 بهمة تلميذه الحاج محمد شيث الجومرد الموصلي الذي ذيّل الديوان بنبذ من شعره. وقد اتسع حسن البزاز في قصائده بمدح أصحاب الطرائق المتصوفين. ومن شعره ما وصف به اشتداد البرد

وسقوط الثلوج في الموصل في أواخر رجب سنة 1277 (كانون الثاني 1861):

تجلى علينا عارضٌ غيرُ ماطر ولكنهُ بالثلج عمَّ نواحيا
فأصبحت الخضراء بيضاء قد زهت وعادت رباها والبطاحُ كواسيا
وكم بسمات منهُ يدُ البرد والشتا بساطاً على وجه البسيطة باهيا
وكم جبل راس يقولُ مُفاخراً ألم تنظروا وقد عَّمم الثلجُ راسيا
فقلت به إذ كان شاذاً وقوعهُ ليذكرهُ من بعدُ من كان باقيا
غمامٌ مكانون مدانا مؤرخاً حبا مصرَنا برداً من الثلج زاهيا
(1277)

ومن ظريف قوله في حبه تعالى وعمل الصالحات لوجههِ عز وجل:

لئن لم يكن في الصالحات مَثُوبةُ وليس على العصيان منهُ عقابُ
إطاعُتُه عندي نعيمٌ وجنةٌ وعصيانهُ قبل العذاب عذابُ

وقال يرثي أخويه علياً ومصطفى:

يكينَ حماماتُ الأراك لغربتي ونحنَ على فقدان ما أنا فاقدُ
لقد غاب عني فرقدٌ بعد فرقدٍ وقد بات عني ماجدُ ثمَّ ماجدُ
وما لي عزاءٌ عنهم غير أنني بهم ملحقٌ يوماً وما أنا خالدُ

ومن أدباء العراقيين (إبراهيم فصيح الحيدري) كان مولده في بغداد سنة 1235 (1820) من بيت علم وفضل وسافر إلى دار الخلافة وحصلت له رتبة الحرمين مدة وتولى نيابة القضاء في بغداد وله بعض التآليف وفيها الغث والسمين توفي سنة 1299 (1881م).

ومنهم السيد (صالح القزويني) هو ابن السيد مهدي الحسيني. ولد في النجف في أواسط شهر رجب 1208 (1793) وبها توفي في 5 ربيع الأول سنة 1301 (أوائل كانون الثاني سنة 1883م انقطع منذ حداثته إلى درس العلوم الدينية والدنيوية على مشايخ وطنه فتضلع منها ثم نبغ بالشعر فقصد القصائد وتعنن في المنظومات. وقد جمع شعره في ديوانين واسعين. وانتقل في شبابه إلى بغداد فوجد بين أهلها أطيب مثوى إلى آخر حياته. فمن شعره قوله في وصف بغداد:

تالله ما الزوراء إلا جنَّة الفردوس فيها وافرُ النعماءِ
ما الترْب إلا عنبرٌ ما الماءُ إلا كوثرُ يَبري عُضالَ الداء
وكأن بين رياضها وحسانها دررُ على ديباجةِ خضراء

ومن حكمه قوله:

لم يَشْرَبْ الصفو من لم يشرب الكدرا وليس يَخُطرُ من يركب الخطرا
ولم يَفُزْ بالمنى من ذلَّ جانُبهُ ولم يَطُلْ في الورى من باعُهُ قصُرا
أولى الورى بالعُلى من أكْرَمها كفاً وأشرَفها ذكرا إذا ذُكرا
جردْ لنيل المعالي صارماً ذكراً من العزائم يبري الصارمَ الذكرا
ومُدَّ كفاً إلى العلياء باسطةً لمجد بُرْداً بطَي البيدِ منتشرا
شمر من اعزم أذيالاً وكن رجلاً بالحزم يَملأ سماعَ الدهِر والبصرا

ومنهم (الشيخ إسماعيل الموصلي) ولد في الموصل وجاء إلى بغداد في أبان شبابه ودرس في مدرسة الصاغة عدة سنن حتى وفاته في 28 ذي الحجة سنة 1302 (1884) حنفي المذهب على الطريقة النقشبندية. وكان إماماً في العلوم اللدنية وبرز في النحو وفي الفنون النقلية والعقلية. وقد أعقب جملة من الأبناء كلهم من طلبة العلم أكبرهم محمد راغب خلف أباه في التدريس. ولأحمد فارس الشدياق قصيدة يمدح فيها الشيخ إبراهيم ويثني على معارفه منها:

كل ما لذهم فذلك عندي ألمٌ غير ذكر إبراهيما
عبقريٌ مهذبٌ قد حوى في صدرِهِ قبل أن يشبَّ العلوما
ولهذا يُدعى فصيحاً وقد جا ء وأجاد المنثورَ والمنظوما
وقوافٍ من كل بحرٍ إذا ما سُردت خلتهنَّ دراً نظيما
عن أبيه وجده مستفيضٌ كلُّ فضلٍ فكان إرثاً مقيما

ومنها في شكر الشيخ لمدافعته عنه وانتصاره له:

رد عني السنيةَ بالنظم والنثر م فكانا لذا الرجيم رجوما
علم الناس إبرهيمَ خليلاً وصديقاً لي أن دعوت حميما
هذه مدحتي فإن كنت قصر تُ فإني مدحتُ براً حليما

ومنهم (عبد الله أفندي العمري الموصلي) من أدباء وطنه المعدودين وأحد رؤساء علماء العراق. له فضول نثرية وأشعار متفرقة لم تجمع حتى اليوم وقد مدحه علماء زمانه منهم عبد الباقي العمري نسيبه حيث قال:

ليت شعري ماذا أقول بمولى قد أقرَّت بفضاء الأعداءُ
فيه قرَّت عيونُنا واستنارت وازدهت في وروده الخضراءُ
يا أديباً سما سماءً المعالي كيف ترقى رُقيَّتك الأدباءُ
نلتَ حدَّ الإعجاز نظماً لهذا خرستْ دون نطقك الفصحاءُ
أنت يا سيدي بغير رثاء خُتمَ النظمُ فيك والإنشاء

ورثاء حسن البزاز فقال من قصيدة:

قضى الحبرُ الذي للعلم جبرٌ به فرجاء أهل العلم يأس
كفى ما قد جرى إن غاض بحرٌ وغابت من سماء المجد شمس

أساء الموتُ فيهِ كل نفسٍ وطابت منهُ في الفردوس نفسُ
هو التاج الشهير بكل فضلٍ تباهى فيه للعلياءِ رأسُ
كأن الموت نقَّاد بصيرٌ أحسَّ بما يحاولُ منهُ حسُّ
تفرَّد فانتقى منا نقيًّا تحسَّرَ بعدهُ عربٌ وفُرْسُ
وجارى عبد الله أفندي العمري في معارفه وبلاغة كتاباته (شهاب الدين العلوي) أحد رجال وطنه المقدمين يعده العراقيون كفارس حلبة الآداب في زمانه. له ديوان شعر لم ينشر بالطبع وكان يكاتب علماء عصره ويناوبهم الرسائل الأدبية والقصائد الرنانة ومن شعره الذي قاله في الوصف قصيدته التي رويناها في المشرق (740:10) يصف فيها طغيان دجلة أولها:
طغيان دجلة خطبٌ من الخطوب المخلةْ
ومن شعره أبيات قالها في مدح مقامات مجمع البحرين للشيخ ناصيف اليازجي:
حديقة أثمرتْ أوراقُها حكماً لنا شماريخُها امتدَّت وقد ينعتْ
فمن يشأ يتفكه في مناقبها ومن يشأ يتفقهْ بالذي شرعتْ
طالع تُقابلك مهاه الزمان بها وانظر إلى صورة الدنيا وقد نصعتْ
كم أودعت نبذ اللسع قد عذُبت ورداً ومن قلب ذاك الصدر قد نبعت
على الكمالات طبعُ اللطف أرخها لطفاً مقاماتُ ناصيف التي طبعت
(1885)
وله قصيدة في رثاء السيد الجليل اقليميس يوسف داود رئيس أساقفة دمشق على السريان سنة 1890 أولها:
من قوم عيسى جانبٌ تهدما والدهرُ قد نكس منهُ علما
حطبٌ جسيم ومصابٌ عظما بموت من أبكى عليه الأمما
قد فقدوا منه حكيماً حكما وكان ذا علم بطب الحركا
وممن مدح الشيخ شهاب الموصلي صاحب الجوائب فقال فيه من أبيات:
شهابُ العصر خلاقُ المعاني فهل من ذاكر للأرجاني
عزيز الشأن تفتخر المعاني به فخر المعالي والمعاني
ولعمرك أن ما يلقيه قولاً ليمسكي ما ينمق بالبنانِ
فذاك الدرُّ للأسماعِ حليٌ وهذا الشذرُ نورٌ للعيانِ
وصفتُ حلاهُ عن بُعدٍ كأني أراهُ في علاهُ على التداني
ولا نعلم سنة توفي الشهاب الموصلي. كما أننا لم نقف على تفاصيل أخباره.
ونلحق بشعراء العراق ذكر كاتبين آخرين اشتهروا في الهند أحدهما (السيد صديق حسن خان) وهو أبو الطيب القنوجي

البخاري ولد سنة 1248 (1834) في قنوج واتصل بخدمة ملوك الهند خان بهادر وأفاد مالاً كثيراً حتى تزوج بملكة بهوبال في الإقليم الهندي المسمى دكان وجمع مكتبة واسعة واشتغل بالعلم ونشر عدة مصنفات زعم البعض أنها ليست له وإنما كلف العلماء بتصنيفها فعزاها لنفسه كفتح البيان في مقاصد القرآن وكتاب العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة والبلغة في أصول اللغة والعلم الخفاق في الاشتقاق ولف القماط على تصحيح بعض ما استلمته العامة من المعرب والدخيل والمولد والأغلاط وكتاب أبجد العلوم. وقد جمع في كتاب دعاه قرة الأعيان ومسرة الأذهان ما أثنى به عليه أدباء الزمان. توفي صديق حسن خان سنة 1889 بعد أن تجول في البلاد وصارت له سمعة واسعة.

والأديب الثاني هو السيد (حيدر الحلي) ولد سنة 1246 (1831) وتوفي سنة 1304 (1887) برز بنظم الشعر منذ شبابه فدعي بشاعر العراق. طبع له ديوان في بمباي في الهند معظم قصائده في النسيب والفخر والمديح. وهذه أبيات من محاسن قوله في الرثاء:

أأحبابنا هل عائدٌ بكمُ الدهرٌ طواكم وعندي من شمائلكم نشرُ

سلامُ على تلك المحاسن أنها مضى فمضى في إثرها الزمنُ النضرُ

ليَ الله بعد اليوم من لي بقُربكم وأبعدُ غاد من أتى دونه القبرُ

قفوا زَودونا إنما هي ساعةٌ ووعدُ التلاقي بيننا بعدها الحشر

رحلتم وقلبي شطُرهُ في ظعونكم وللوجدُ باقٍ منه في أضلعي شطرُ

وشيعتُكم والدمعُ يوم نواكمُ غريقان فيه خلفَكم أنا والصبرُ

فكم خَلفَكم لي أنه ما لوثْ بكم على أنها قد لان شجوّا لها الصخرُ

سأبكيكم ما ناحَ في الوكر طائرٌ فطائرُ قلبي بعدكم ما لهُ وكرُ

وقال يمدح صرعى العلويين:

سقياً لثاوين لم تبللْ مضاجعهم إلا الدماءُ وإلا الأدمعُ السُّجُمُ

أفناهمُ صبرُهم تحت الظُّبا كرماً حتى مضَوا ورِداهم مِلوه كرَمُ

مشَوا إلى الحرب مشَيَ الضاريات لها فصارَعوا الموتَ فيها والقنا أجُمُ

فالحربُ تعلمُ إن ماتوا بها فَلَقدْ ماتَتْ بها منهم الأسيافْ إلا الهممُ

عهدي بهم قِصَرُ الأعمارِ شأنُهُم   لا يهرَمونَ وللهيّابةِ الهَرَمُ

واشتهر كذلك في العراق السيد (جعفر الحلي) المولود في أعمال الحلة سنة 1277 والمتوفى في عز شبابه في النجف سنة 1315 (1860 - 1897). كان شاعراً مكثراً في شعره الحسن والسقيم وقد طبع في شعره في صيداء سنة 1331 مدح أشراف القوم وخصوصاً أمراء نجد. ومن لطيف قوله يهنئ شاه العجم مظفر الدين بعد قتل سلفه ناصر الدين:

حل المظفر لما الناصرُ ارتحلا   فما خلا الدستُ حتى قيل فيه حلا

وجه تخفَّى ووجهُ بان رونقه   كالنيرَين بدا هذا وذا أفلا

نحسٌ وسعدٌ بآفاق العلى اعتركا   فالحمدُ لله إذ نجم السعودِ علا

مالت جوانبُ تختِ الملك واعتدلتْ   سرعان ما مال تختُ الملك واعتدلا

ما جرَّعَ الدين صاباً فقدُ ناصره   حتى دعاه ابنهُ أن يحتسي العسلا

كذي يَدين أمد اللهُ واحدةً   بقوةِ البطش والأخرى التوت شللا

فسلم الله للإسلام حارسةُ   ويرحمِ الله من في نصره قتلا

قام الزمان سريعاً من تعشَّره   كبا على وجهه ثم استوى عَجَلا

لقد بكينا على من قد مضى حزناً   كما ضحكنا بمن أبقى لنا جذلا

ومن شعراء العراق في أواخر القرن التاسع عشر (الشيخ ملا كاظم الأوزي) تفنن أيضاً في الشعر فعد من فحوله ونشر ديوانه في بمباي. ومما استحسنا له من الحكم قوله:

إن رُمتَ توطئةَ المرامِ الأصعبِ   فاركَبْ من الإقدامِ اخشنَ مركَبِ

إربا بنفسك أن تَذُودك شهوةٌ   دون انتصابِكَ فوق أشرفِ منصبِ

لا تكثرنّ من الشباب وذكرهِ   أنت ابنْ يوْمك لا ابنُ ماضي الأحقبُ

ومنها:

كم من أخٍ لك غير أُمك أمهُ   تُنسيك سيرتهُ إخاء الّمئنَسبْ

من لم تٌؤذَيه خلائقُ طبعهِ   ألفيتهُ بالسيف غيرَ مؤدَّب

فأحذر عداواتِ الرجال ودارها   إن لم تكن جَدَّتْ لديك فرِّحبِ

وافطنْ لأدويةِ الأمور فإنما   سمٌّ الأفاعي غيرْ سمّ العَقْربِ

وإذا تنكبُهُ من مكان ريحُهُ   فتخط منهُ إلى المكانِ الأطيبِ

وفي هذه الحقبة أزهر في مكة شيخ علمائها (أحمد بن زيني المعروف بدحلان) ولد في حاضرة الحجاز وتولى الإفتاء للشافعيين واشتغل بالعلوم مدة وفي زمانه أنشئت في مكة أول مطابعها فكان السيد دحلان متولياً نظارتها ونشر فيها تآليف من قلمه كالجداول المرضية في تاريخ الدول الإسلامية وكتاب الفتوحات الإسلامية في جزأين كبيرين. وكان طبع في مصر قبل ذلك كتباً أخرى كالسيرة النبوية والفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين وخلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام طبعه في مصر ثم أضاف إليه ملحقاً طبعه في مكة.
توفي الشيخ دحلان سنة 1886 في المدينة بعد أن سار إليها في رفقة الشيخ عون الرفيق لما خرج هذا من وجه حاكمها عثمان باشا.
ونختم هذا الفصل في أدباء المسلمين بذكر أحد مشاهير رجال الدولة التركية الذي رفع في أمته لواء الآداب فضلاً عما أحرزه من المجد في تدبير الأمور وحسن السياسة نعني به الوزير الخطير (أحمد جودت باشا). ولد في لوفجة في ولاية الطونة سنة 1238 (1822) وانكب منذ حداثته على درس العلوم الدينية والدنيوية وبرع في اللغتين الفارسية والعربية فضلاً عن لغته التركية. وليس من غايتنا أن نتقفى آثار المترجم في المأموريات التي تولاها والمناصب التي تقلب فيها في كل الدواوين منها الأحكام العدلية ونظارة المعارف إلى أن بلغ رتبة الوزارة
السامية وانتظم في سلك شورى الدولة. وإنما نكتفي بذكر مؤلفاته فأعظمها شأناً تاريخه لآل عثمان في تسعة مجلدات عرب جزؤه الأول جناب عبد القادر أفندي الدنا فطبعه في بيروت سنة 1308. وله رسائل عربية وتعليقات. ونقلاً قسماً من مقدمة ابن خلدون إلى التركية وصنف عدة كتب مدرسية للأحداث ظهر بعضها في العربية. وكان جودت باشا أحد الأتراك القليلين الذين بلغوا من آداب العرب مبلغاً واسعاً. أما معارفه في اللغة التركية فيعد فيها إماماً وحجة. كانت وفاتته سنة 1312 (1894).
ومن أدباء الإسلام في تونس (الشيخ محمد بيرم) ولد فيها سنة 1256 وتوفي في مصر سنة 1307 (1840 - 1889) تقلب في بلاده في المناصب الخطيرة كنظارة الطابع ونظارة الأوقاف وقد لعب دوراً مهماً في مناهضة الحكم الاستبدادي في وطنه وعضد الشورى إلا أن آماله خابت بعد فرنسة سيطرتها على بلاد تونس فانتقل إلى مصر وخدم فيها السياسة الإنكليزية وولي القضاء في محكمتها الابتدائية. وله آثار أدبية أخطرها كتابه صفوة الأخبار بمستودع الأمطار ضمه تاريخ تونس وأخبار سياحاته في أنحاء أوربا. وله رد على بيتان في ما كتبه عن الإسلام وكتاب في فن العروض ومقالات

اجتماعية حاول فيها بيان طرق إصلاح الإسلام وتقريبهم من عوامل التمدن الحديث.

أدباء النصرانية في هذه المدة

قد امتاز في ختام القرن التاسع عشر نخبة من كتبة النصارى الذين تلقنوا الآداب العربية في مكاتب مللهم الخاصة أو في نوادي العلوم التي أنشأها المرسلون ولو أردنا ذكرهم فرداً فرداً لاتسع بنا المجال وحسبنا تعداد من برز بينهم بمعارفه.
كان في مقدمتهم رؤساء الطوائف من بطاركة وأساقفة وكهنة أفاضل لا يسعنا السكوت عن خدمتهم للآداب ومساعيهم الطيبة في ترويج أسواقها فضلاً عما خلفوه من آثار قلمهم.
فكان على الطائفة المارونية السيد السند (البطريرك بولس مسعد) رعاها مدة 36 سنة بتقى واجتهاد وكانت وفاته في أواسط نيسان من السنة 1890 وله من العمر 85 سنة. وكان متضلعاً بالتاريخ الشرقي الديني والعالمي ومن آثاره كتابه التحفة الغراء في دوام بتولية العذراء وكتابه الدر المنظوم الذي طبع في طاميش وسعى هناك بطبع لاهوت القديس الفونس ليغوري معرباً إلى غير ذلك من الأعمال المفيدة.
واشتهر بين أساقفة الموارنة المطران (يوحنا حبيب) مطران الناصرة شرقاً (1816 - 1894) ومنشئ جمعية المرسلين الكريميين. تولى في لبنان القضاء زمناً على عهد الأمير بشير الكبير وبرع في معرفة الفقه والحقوق وكتب في ذلك تأليفاً. ومن مآثره تعريب اللاهوت الأدبي للأب يوحنا غوري اليسوعي في مجلدين وذيل ترجمته بملحوظات فقهية من الشرع الحنفي. وله رد على الشيعة الماسونية وعدة رسائل في مواضيع مختلفة لا تزال مخطوطة.
أما جمعية المرسلين اللبنانيين فإنما أنشأها سنة 1865 ونسبت إلى الكريم وهو الدير الذي اتخذه في لبنان لإدارتها.
وممن عرفوا بسمو الهمة في تعزيز الآداب في الربع الأخير من القرن السابق أساقفة حلب الموارنة (السيد يوسف مطر 1814 - 1882) أنشأ في الشهباء مكتباً لملته واستجلب إليها مطبعة أدت للحلبيين خدماً مشكورة سبق لنا تفصيل مطبوعاتها (في الشرق 3(1900): 358). ودرج إدراجه خلفه (السيد بولس حكيم الحلبي 1817 - 1888) له مواعظ وخطب شتى. وكان يقول بديهاً القدود والقصائد والزجليات اللطيفة والأناشيد التقوية على اللهجة العامية.
وأناف عليها شهرة خلفهما السيد (جرمانوس الشمالي) من سهيلة كسروان المولود سنة 1828 والمتوفى في 8 ك1 1895 تهذب في مدرسة مار عبدا هرهريا الاكليريكية وبرع في معرفة اللغتين العربية والسريانية وعلّم هناك مدة عشر سنين بعد كهنوته سنة 1855 ثم انضوى إلى جمعية المرسلين

اللبنانيين فكان أحد أعضائها الممتازين بأعماله الرسولية وتقاه وبلاغته إلى أن رقّاه غبطة البطريرك يوحنا الحاج إلى رئاسة أسقفية حلب سنة 1888 فأخذ اسم جرمانوس ذكراً بنابغة حلب السيد جرمانوس فرحات فساسها مدة سبع سنين بحكمة عجيبة وغيرة لم تعرف الملل حتى أدى به تفانيه في خدمة رعيته إلى انحلال القوى ثم إلى انقضاء الأجل يوم عيد حبل العذراء بلا دنس. وكان السيد جرمانوس مثالاً حياً لكل الفضائل الأسقفية. أما شهرته في الآداب العربية فتشهد عليها آثاره الباقية. منها مجلدان ضمنها مجموع خطبه وعظاته ثم ديوانه المسمى (نظم اللآلئ) وفيه كثير من المنظومات الجيدة. وقد سبق المشرق فأثبت ترجمة حياته مطولة (850:5 - 860) فنحيل إليها القراء. وهذا مثال من شعره نضيفه إلى ما هنالك وهو مدحه لمصر قاله سنة 1889:

أحسن بمصرَ وما شاءت مَواليها من لي بهادٍ إلى مدحٍ يوازيها

عاينتُ أكثرَ مما كنتُ أسمعهُ من عزةِ النفس والتقوى بأهليها

محروسةٌ صانها المولى بقدرتهِ وعينهُ لم تزل يَقْظى تراعيها

فيها مباني عِمادِ المجد من قِدَمٍ تُعَدُّ أعجوبةَ الدنيا مبانيها

من فائض النيل تُسقى مثلما شرعت من فائض العلم تَسْقي من ثوى فيها

تبارك الله ما أشهى خمائلها تستنشق الروح رَّياها فتُحييها

فالبحرُ أوسطُها والَبرُّ حاط بها والسهلُ والوعر كلُّ من فحاويها

سبحان من يجمع الدنيا بواحدةٍ فتحتوي كل ما تحوي أقاصيها

أهرامها الشمُّ وآثارها شاهدةٌ بعزةٍ الملك من إعصار بانيها

تُدعى بقاهرة الأعداء عن ثقةٍ ومنبعُ العلم من اسْمي أساميها

ودَّعتُ قلبي لدى نظمي مؤرخَه وداعً مصرٍ فإني غير ناسيها

(1889)

وعرف أيضاً في هذا الزمان أحد رؤساء أساقفة قبرص المطران (يوسف الزغبي) درس في مدرستنا الاكليريكية في غزير ثم علّم في كلية ليل من أعمال فرنسة اللغتين العربية السريانية وسعى في أيام أسقفيته بإنشاء مدرسة قرنة شهوان سنة 1885 فنالت بهمته نجاحاً. وله كتاب في

الفلسفة لم يسعده الوقت على إتمامه. وتوفي في أواسط كانون الأول من السنة 1890.
أما الكهنة الموارنة فنال السبق بينهم في الآداب الخوري (أرسانيوس الفاخوري) ولد في بعبدا سنة 1800 وتوفي في غزير سنة 1883 خدم الكنيسة والوطن بكل تفان فاتخذه القصّاد الرسوليون كمعاون لهم في أشغالهم. ولزم مدة أعمال القضاء في لبنان ودرس العلوم العربية والقوانين الفقهية لكثير من الطالبين كما ذكر في ترجمته المطولة التي نشرناها في المشرق (3 (1900): 606 - 616). وعددنا هناك ما أبقى من الآثار الجليلة كشرح ديوان المتنبي وشرح ديوان المطران فرحات ومطول في الصرف والنحو. وقد طبع من تآليفه كتابه روض الجنان في المعاني والبيان وكتابه زهر الربيع في فن البديع والميزان الذهبي في الشعر العربي.
وله ديوان كبير اقتطفنا منه بعض قصائده في المشرق منها بديعيته (المشرق 4 (1901): 26) وقصيدته في خميس الأسرار (20 (1922): 385) وفي قبر المسيح (3 (1900): 363) وغير ذلك.
ومن شعره في الطهارة من أبيات:

يا صاحِ عِش متسربلاً بطهارةٍ تُصبِ المعالي في عُلى سربالها
لا إرْثَ في ملك الإله لفاجرٍ هيهات أن يأوي السما مع آلها
فالله من دون الطهارة لن يُرى أنَّ النعيم معلَّق بكمالها

وقال مخمساً لبيتين نظمهما أحد الشعراء:

أتوق لودٍّ من يهوي ودادي وفي شكلٍ كلانا باتحادِ
كأني في وفاقٍ بالفؤادِ رأيتُ بنفسجاً في ظل وادي
وغصنَ ألبانِ منعكفاً عليهِ
فكل يجذب الثاني لحب كمغناطيس قد كنا يجذب
وقلبه شاخص عيناً لقلبي فقلت تأملوا بصنيع ربي
شبيه الشكل منجذبٌ إليهِ

وله أرجوزة طويلة قالها 1869 ليبين فيها حرية الإنسان وخلو إرادته من الاضطرار السابق هاك أولها:

الحمدُ لله القدير السرمدي حمداً يقيناً من شرور المعتدي
خلقنا الله على صورتهِ وشبههِ جلَّ عُلَى قدرتهِ
لكي نحبَّه هنا ونعبدا ونرثَ الملك الذي قد خُلِدا
فينا اختياراً كاملاً قد أوجدا لكلّ قولٍ ثم فعلٍ يُبْتدا
حرّيةٌ مطلقةٌ وفيَّه في فعل ما تريدهُ المشيّهْ
قد ضلَّ من قبل به الخلافا ولا يرى رأياً بذا مُعافى
أمامك النيرانُ والماءُ فما تختارُ منهما له أمدُدْ مِعْصما
بذا ابنْ سيراخَ الحكيم علماًّ كذا لنا الدينُ القويمُ سَلّما
لولا اختيارٌ لفعالِ فاعلِ لم ُيجْزَ عنها من وليٍّ عادلِ

وفي هذا العشر التاسع أي نحو 1880 وتوفي أحد شعراء لبنان الراهب الفاضل (القس أغناطيوس الخازن) من الأسرة الخازنية والرهبانية اللبنانية تولى زمناً طويلاً رئاسة دير البنات وكان معروفاً بفضله وجودة قريحته عارفاً بالفقه. وقد وقفنا له على ديوان مخطوط يدل على توقد فهمه وذكاء عقله ضمنه كثيراً من تواريخ لبنان من السنة 1850 إلى 1877 لكن نسخة هذا الديوان سقيمة قد تشوهت أكثر قصائدها بأغلاط النساخ. ومما يروى له قوله في دير سيدة ميفوق يشكو أثقال الرئاسة:

ويلٌ لمن طلب الرئاسة فاعتلى فالرفعُ بالخفض استبانَ ما ولى

كم بات مضطرباً لصرف ملمَّةٍ كم ضاق من تعب الفؤاد فولولا

تباً لها من مهنة بل محنة يُلهْى بها النُّساَّك عن ربّ الملا

كم حاسدٍ جلبَت وردّت حاسداً والبالُ فيها لا يزال مبُلبلا

مملوءةٌ مرا ولا حُلوٌ بها تخلو من الحلوى وهل صبرٌ حلا

إن قيل كلّ المرئاسة مائلٌ قلتُ الفراشةُ تشتهي ضوءاً صلى

وقال مؤرخاً وفاة الأمير حيدر اللمعي قائمقام النصارى المتوفى سنة 1854:

بكتِ العيونُ أمير عُربٍ حيدرا من بعده هجر القلوبُ سلاما

إذ غاب عنها صاح كل مؤرخ آهاً ببيتِ اللمعِ صار ظلاماً

وقال متفكهاً في أقرع أتته من بعض أصحابه قرعة مملوءة من الخمر الجيدة فعثرت رجله بها وأفاض الخمر:

قد صبَّ أقرعُ في طريقٍ قرعة وأتى بعذرٍ يشتكي من تَعسهِ

عزّيُتهُ بالقول طِبْ نفساً وسِر فالكل شيء آفهُ من جنسهِ

واشتهر بفنون الآداب كاهنان مارونيان من غزير وقعت وفتهما في الربع الأخير من القرن السابق. الأول (الخوري يوسف الهاني) وكان يدعى قبل كهنوته منصور الهمش تعلم في مدرستنا الاكليريكية في غزير وعلم فيها العربية. ومن آثاره مقاماته الغزيرية التي طبعت سنة 1872 في مطبعتنا الكاثوليكية وفي آخرها قصيدته العامرة الأبيات في لاموريسيار وجنوده المتطوعين البسلاء المعروفين بالزواوة الذين ماتوا شهداء في خدمة الكرسي الرسولي في كستلفيدردو سنة 1860 وكانوا من نخبة الشبيبة وأجال لشرف الأسر الكاثوليكية هذا مطلعها:

كريمَ النفس قُمْ بالنفسِ فادٍ فقد نَسيَ العَقُوقُ ثَدى الولادِ

عهدتُ الحرَّ يعتنق العوالي ويدفعُ عنقهُ من ذي ودادِ

وإن خان الدعيُّ حليبَ أمٍّ		فذاك بنفسهِ عنها يُفادي
ومنها يصف ثورة أعداء الدين وشهامة أنصاره:
أثاروا ضدَّ رأس الدين حرباً		حِرَابُهمُ بها كانت صوادي
ونادوا ابن مَن يحمي ذماراً		ترومُ في نزالَهُ في أي نادٍ
فما لبث الرواوةُ أن أتوْهم		بأسرعَ من صدى الصوت المُنادي
وصاحوا يا لحقّ بابوي		متين الأصل مرتَفَعِ العمادِ
وشاقَتْهم كؤوس الحَتْف شرباً		وحنُّوا للمهنَّدةِ الحدادِ
رويداً أيها الأبطال مَهْلاً		فسيفُ عُداتكم الدم صادِ
حُسامٌ من جهنَّمَ قُلّدوهُ		تقدُّ شفارُهُ صُمِّ الجمادِ
ألا دَعْنا نُلاقي الحتف عفواً		ولا تَحِرم جياعاً حسن زادِ
بمَ الأعضاء تحيا بعد رأسٍ		وكيفَ الجسمُ دون القلب هادٍ
فكُفَّ ملامةَ الحُسادِّ عَّنا		ونادِ على السطوح وفي المِهادِ
دَعوهم ينصرون الحقَّ جهراً		على أهل الضلالةِ والفسادِ
دَعوهم في الفخار لجرِ ذيلٍ		ونَيلِ أكلةٍ عُقبى جهادِ
ولا تخشوا عليهم من ضلالٍ		فلاموريسيَارُ أحقٌ هادٍ
إلى أن قال يمدحهم بفوزهم إكليل الشهادة:
فإذ شهد الرواوةُ تِي الرزايا		ونارَ الحرب تُضرَمُ باتقادِ
بدمِهمِ الزكيَّ أطفئوها		وما أحلى الدماءَ بذا الجهادِ
فلا تحزن عليهم نادباتٌ		خرائدُ سافرات في حدادِ
فإن غابوا فأقمار توارت		وليس أفولها حدَّ النفادِ
وإن فقدوا الحياةَ فقد أصابوا		بدار الخُلدِ مجداً بازديادِ
أتوا مولاهمُ شهداءَ حقٍ		وعدوُّا القَتْل أشهى من شهادِ
وللخوري يوسف الهاني مآثر أخرى أخصها كتاب منارة الطلاب في التصريف والأعراب طُبع في مطبعتنا الكاثوليكية.ولهُ أناشيد متفرقة كقولهِ على لسان مريم العذراء عند مهد طفلها يسوع:
نَمْ يا حياتي بألهنا		يا نور عيني والمُنى
ذوقَنْ بطَرفٍ أنعَسِ		وسَناً يَلذُّ لنُعسِ
في جَنْح ليلِ الحندسِ		فإلى جفونك قد دنا
ولدي أيا زهر الرُّبى		تسمو البنين كما الصَّبا
قد فُقتَ عِقداً مذَهبا		بل عقدُ در بالسنا
ما سوسنٌ في جامهِ		قد ذرَّ من أكمامهِ
مع وردهِ وخُزامهِ		يحيك يا بدر المُنى
كانت وفاة الخوري يوسف الهاني في السنة 1885. أمَّا وطنيهُ الآخر (فالخوري حنَّا رعد) المعروف بالعاصي أيضاً كان ذا قلمٍ سيَّال يحسن الكتابة نُظماً ونثراً. ولهُ ديوان شعر مخطوط يضنُّ بهِ آلهُ ويحاولون نشرهُ سلس مطبوع روينا منهُ سابقاً قصيدة في مريم العذراء(المشرق 7: 431). ومن جملة أقوالهِ قصيدة دعاها جبر الكسر يذكر فيها وفاة البطريرك بولس مسعد ويهنئ بها خلفهُ السيّد يوحنا الحاج سنة 1890:

بالأمس كان الرثا والدمعُ ينسجمُ واليوم عمَّ الهنا والثغرُ يبتسمُ
طافت بنا الكأس من صابٍ ومن عسلٍ والحمدُ لله في الحالين ملتزمُ
لا يهملُ الله في الجُلَّى كنيستَهُ ولو أحاطت بها الأرزاءُ تلتطمُ
أزال بالحبر يوحنا مصائبنا فالكَسرُ مُنجَبرٌ والجرحُ ملتئمٌ
وهي طويلة ختمها بقولهِ:
أنت المؤمَّل أن تُضحي رئاستُهُ لنا وللدين حصناً ليس ينثلمُ
آمالنا فيك كالألحاظ شاخصةٌ لها معانٍ ولكن ما لها كَلِمُ
جئنا نهنيك لكن ألهنا لنا فإنَّ نعماك للأبناء مغتنمُ
فاقبل ثناء بلا منٍّ وتهنئة بهما يُترِجمُ عن فحوى الفؤادِ فمُ
وكان المترجم مولعاً بفرنسا يعظم مفاخرها ويطرأ بشهامة أبنائها ويشكر لدولتهم التي أنقذت نصارى الشرق من نكبات المعتدين فمن ذلك عينيَّته الشهيرة التي قالها سنة 1860 بعد حوادث الشام:
كفَّ البكا وامسح عيوناً تدمعُ واحفظْ بقيَّة مهجةٍ تتصدَّعُ
صبراً ولا تهلك أسى وتوجعاً فلعلَّ سعدك في الطوالع يطلعُ
يا شرقُ أمركَ مذهلٌ أو معضل والقلب حيران لذاك وموجعُ
قد كنتُ آلفت المصائب ذلّةً حتى دهتك مصيبةُ لا توسعُ
لبنانُ ما هذه الجماجمُ والدما ما للمنازل وهي قفرٌ بلقعُ
إلى أن قال على لسان الرب ملبياً دعوة المنكوبين:
حتّام تفترسُ الذئاب رعيَّتي فقطيعيَ المختار كاد يُقطَّعُ
ولقد أقمتُ لنصر شعبي ظافراً بطلاً تخرُّ لهُ الجهات الأربعُ
صحنا وكان إلى فرنس الصوت: يا نابوليون. أجابنا: لا تجزعوا
إني لمنجدكم وكاشفُ كَربكم برضى الإلهِ سواهُ فخراً يُمنعُ
ومنها في وصف الحملة الفرنسويَّة:
وكواسرُ لا الهولْ في أوهامها هولٌ ولا في الموت المريع يروَعُ
لا ترهبُ الأسيافَ إن سُلَّت ولا تحمي الجيوشُ ولا المدافعُ تدفعُ
منها الرؤافُ ولم تكن يوماً سوى الموت الزؤاف وكل عات موقعُ
تلك البُحورُ على البرور طمت ولا سدٌ يصدُ ولا حجابٌ يمنعُ

ليس الملا إلا المراكبُ والموا كبُ والقواضبُ والقنا والأدرعُ
وهي السوابقُ والسرادق والبنا دقُ والصواعقُ والمنيَّةُ تتبعُ
سعداً ليوم بشَّرت أعلامُهُ أن الحياة من المنية أسرعُ
لله درك يا فرنسا مركزاً للدين والدنيا إليكِ المرجعُ
لولاكِ لم يشرق نهارُ سلامة فينا ولا زال الشقا المستفظعُ
وهي طويلة أبياتها من غرر الأقوال تتدفق جوداً ورقَّة. ولهُ قصيدة مثلها في بلاغتها وهي نونيَّة قالها سنة 1871 لمَّا زار لبنان القنصل الفرنسوي روستان مطلعها:
حبٌ قديمٌ ثابتُ الأركانِ لفرنسَ قام على ذُرى لبنان
وللخوري حنَّا رعد عدَّة أناشيد يتغنى بها النصارى إلى يومنا هذا في المجتمعات التقوية كقولهِ في مدح البتول:
مَجْدُ مريم يتعظّمْ في المشارقْ والغروبْ
وقولهِ:
عليك السلامُ بلا مالْ يا نجمة البحر والأملُ
وقولهِ في القربان الأقدس:
لك التسبيح والشكرانْ لك المجد يا سرّ القربانْ
توفي الخوري يوحنا رعد في 13 أيلول من السنة 1900
وفي 19 شباط من السنة 1889 فقدت الشهباء أحد كهنتها الموارنة الإجلاء (القس اغوسطينوس عازار) درس العلوم في مدرستنا الاكليريكية في غزير وكان يسمى جرجس وبرع في اللغة العربية فلمّا عاد إلى وطنه انقطع إلى التدريس والتأليف ونقل الكتب العربية وخدم الآداب نحو عشر سنين. ومن تآليفه كتاب خلاصة المعرفة في أخص قضايا الفلسفة طبع سنة 1886 في بيروت. ولهُ ديوان شعر أخذته يد الضياع إلا بعض القصائد التي نشرت في المجاميع الأدبية.فمن قوله في رثاء يذكر الموت:
من أين يرجو المرء خلداً إذ يرى كلاًّ يزول مع الزمانِ ويُدفعُ
إن الحياة لدى الحقيقةٍ عهدُها يمضي كلمع البرق أو هو أسرعُ
كلّ لهُ يوم يودّعُ أهلَهُ فيه وداعاً مطلقاً ويودَّعُ
لا فرق عند الموت بين أكابرٍ وأصاغرٍ حين القضاء يُلعلعُ
ما هذه الدنيا لدى عيني سوى سفرٍ إلى أبدية لا ترجعُ
إن رمتَ يا صاحِ السعادةَ والبقا فاسلك سبيل الله صدقاً تنجعُ
وله في يوبيل البابا لاون (سنة 1887 - 1888) قصيدة غراء افتتحها بقولهِ:
نادى المنادي بَوْحي الله ما كتبا في آية النصر إنَّ الليث قد غلبا

ليث من الأنس تخشى الأرض سطوته في الغرب والشرق إن عجماً أو عربا
فأعجب له أسداً بالبأس منتصراً بالأنس مشتهرا في الكون مرتهبا
ومنها:
رعياً لراعٍ رعى حقَّ الإله ولم يُبدِ التساهلَ فيما العدلُ قد طلبا
مذ قام حق قيام في رسالته بهمة بلغت غاياتِها الأرَبا
ووفق الدين والدنيا بحكمتهِ ولم يَدَعَ لهما عذراً ولا سببا
يمناهُ حاملةُ الإنجيل ما برحت يسراهُ تعضد ساداتِ الورى الحُسبا
قوَّى الملوك على أعداء سلطتهم بكبحهِ الثورة الشنعاء والغضبا
وقام بجهد في العمران طاقَتهُ فردَّ ما كان منهُ الدهرُ قد سلبا
هز العصا فأراع الكفر فارتعدت منها العُصاةُ فماذا لو بها ضربا
وهي طويلة بليغة ختمها بهذا التاريخ:
قد حاز لاوون ما التاريخ ينشدهُ اسماً مدى الدهر يبقى ذكرهُ عجبا
ولم يتأخر الأكليروس السرياني الكاثوليكي في نهضة الآداب العربية في ختام القرن التاسع عشر ففي سنة 1874 توفي البطريرك (فيلبُّس عركوس) وكان متضلعاً بعدَّة لغات شرقية وغربية. له كتاب مخطوط عنوانه قوت النفس فيه إرشادات ومواعظ. فخلفه السيد البطريرك (اغناطيوس جرجس شلحت) الحلبي الأصل (1818 - 1891) اشتهر بالعلوم الطقسيَّة وعززَّ الموسيقى الكنسيَّة. ومن آثاره الطيبة كتابان أحدهما يحتوي على مواعظ وخطب دينيَّة والآخر ضمّنه تاريخ الكنيسة الشرقية.هذا فضلاً عن عدَّة كتب طقسية سعى بتنقيحها وطبعها في السريانيَّة والعربية.
وقام من بعده السيد (اغناطيوس بهنام بني) الموصلي (1891 - 1897) درس في رومية العظمى ونال شهادة الملفنة في اللاهوت والفلسفة. وقد نشر في مطبعة الآباء الدومنكيين في الموصل كتاباً أثبت فيه حقيقة الكنيسة الكاثوليكية دعاهُ الدرَّة النفيسة في حقيقة الكنيسة ولهُ كتاب كلندار السَّنة لأبرشية الموصل السريانية. في رئاسة بطرس وخلفائه الأحبار الرومانيين.
وزيَّن الشام في أواخر ذلك العصر خبران جليلان من الطائفة نفسها أعني السيد (تاؤفيلس أنطون قندلفت) الحلبي (1836 - 1898) الذي تعين مطراناً على طرابلس وسكن بيروت.
وله تركة علمية واسعة منها دينية كالسراج الوهَّاج في سنة الزواج والرأي الأمين في حل بعض المشاكل الزيجية عند

الشرقيين وكتاب مواعظ دعاه عقود الجمان في شرح قانون الإيمان في ثلاثة مجلدات أردفه بكتاب القلادة الدرية في شرح الوصايا الإلهية وكتاب القيثارة الشجية في التسابيح الإلهية جمع فيه تسابيح وأناشيد تقوية أدرجها في الكنائس وكل هذه الكتب إلا الأخير نشرت. بالطبع أما كتبه الأدبية فمنها رواية ظريفة تدعى الذميم والذميمة وكتاب الذكرى لمن اعتبر يحتوي انتقادات وحكماً وشذرات أدبية بالنثر والنظم لم يطبع. وله عدَّة مقامات وقصائد وروايات طبعت في مجلة النحلة وفي بعض المجاميع فمن قوله في مدح أحد أدباء الآستانة يوسف نعمة الله جد:

ما لي وللدهر دَعنْي أنني ثَمِلٌ من راح أهل الوفا والفهم والكَرَمِ

من جدُّهم جاد واستعلت معالمهم حتى غدا فضلُهم ناراً على علمِ

من أهل جدٍّ فتى رام العُلى فَعَلاَ بالفضل والعقل والإحسان والشيمِ

سميُّ رأي سني الفكر ذو حذقٍ في وصف جانبهِ قد حار كل فمِ

وله مجيباً لقدسي زاده قدري بك وكان أرسل إليه قصيدة يعرب فيها عن أشواقه إلى وطنه وخلانه في الشهباء أوَّلها:

يا راقياً يبغي ذوى الشهباءِ ومعرّجاً للبلدة البيضاءِ

فوجَّه المطران انطون إليه بهذه القصيدة من بحرها وقافيتها:

يا صاعداً أوج العلى بثناء ولواك منعقدٌ على الجوزاء

وسواك يبغي المجد لكن جدُهُ هيهات مثلك يا ذُرى الفضلاء

حسبٌ وفضلٌ قد جمعت كليهما مع رقَّة ومكارمٍ وسناء

أوليتني الإحسانَ بالتوديع في مصرٍ بخيرِ قصيدةٍ غرَّاء

فيها الحنينُ إلى المواطن والحما وإلى الأفاضل من بني الشهباء

فلثمتها وتلوتها ونشرتها وحسبتها من أوجه النعماء

ومنها:

أنت الملاذْ لآل قُدْس وأنْ ت الفخرُ للأوطانِ يا مولائي

لم تنس شيمتك الكريمة دائماً بالحلَ والترحال دون وفاء

فلتفتخر حلبٌ بعبد القادر م القُدسي على الأقطار والأنحاء

وختمها بقوله:

خذها لردّ صدى الوداد على الندى من ذي وفاء ودُهُ بصفاءٍ

وأصفَحْ بفضلك عن قصوري إنني في كنفِ عفوك قد وجدتْ حمائي

وزاد على من سبق ذكرهم شهرة السيد (اقليميس يوسف داود) ولد في الموصل من أسرة كلدانية في 23 تشرين الثاني

سنة 1829 وبعد أن درس فيها مدة في مدرسة الآباء الدومنيكيين ثم في مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير أتم دروسه في رومية وحاز السبق على أقرانه في العلوم الدينية والدنيوية ثم انضوى إلى الطائفة السريانية وعاد إلى وطنه وعلم عدة سنين في مدرسة الآباء الدومنيكيين فتخرج عليه كثيرون عرفوا بآدابهم ومنشآتهم ووكل المرسلون إليه نظارة مطبعتهم وإصلاح منشوراتها فقام بالأمر أحسن قيام واهتم بطبع تآليف جمّة لا تزال واسطة قلادتها.وقد اهتم بالأعمال الرسوليَّة اهتمام العبد الصالح فخدم النفوس بالمواعظ والكتابة والتأليف وإنشاء المدارس إلى أن عهد إليه الكرسي الرسولي تدبير أبرشية دمشق فلبَّى دعوته مرغوماً. وآثاره العديدة في الفيحاء لا تزال تنطق بفضله وهناك أقيم له نصف تمثال من الرخام في الدار الأسقفية التي زانها بفضائله وعلومه من السنة 1878 إلى تاريخ وفاته في 4 آب 1890. وقد استوفى جناب الفيكنت فيليب نصر الله طرَّازي ذكر أعماله في كتابه القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة الذي طبعه في مطبعتنا سنة 1891 وهناك تجد جدول تآليفه المطوَّل. ومجموع آثاره العلمية في كل الفنون والمعارف العصرية تنيف على الثمانين تأليفاً أو تعريباً أو إصلاحاً وتنقيحاً. بينها قسم واسع في الآداب العربية من صرف ونحو وعروض وخطب وتاريخ وآداب شعريَّة ونثرية لعله أول من زوَّد المدارس الكاثوليكية بكتب تعليم منقحة.وتعريبه للأسفار المقدَّسة ينبئ بفضله العميم. وأما آثاره بالسريانية فتكاد لا تحصى. وله حتى يومنا عدة تصانيف لم تنشر بالطبع مع كثرة فوائدها. وكان للسيد اقليميس داود مقام جليل بين العلماء الأجانب يقدرون قدره في كل الأبحاث الشرقية وقد رثاه كثيرون بالمراثي النفيسة ومن أجودها قول الدكتور لويس صابونجي:

وترثي دمشقُ الشام فَقْد عزيزها مع الموصل الحدباء إذ قام مشهَدُ
سأبكي عليه ما تقطَّر مدمعي وراح يمامُ في الأراك يغردُ
بكتهُ طروسٌ واليراعُ ونَثْرهُ وناح عليه الشعر إذ بات يُنَشَّدُ
بكتُهُ علوم الأولين بأسرها بدمعِ غزير سيلهُ لا يُجّمدُ
وراح عليه المجدُ يبكي تأسفاً وقلبُ المعالي بالمرائر يَفسُدُ
وراح من السريان مجمعُ شرفةٍ يُقرُّ لهُ بالفضل في ما يحدِّدُ
ومجمعُ واتيكانَ يندب فُقْدَ من لديهِ تقاليد الطوائف توجدُ

وهي طويلة منها قوله في قبر الفقيد:

عليك سلامُ الله ما ضاءَ فرقدٌ ودمتَ بقطْر الغيث تُسْقى وتُقْصدُ
سألت الهي أن يمنَّ بفضلهِ عليَّ بتقبيل الضريح فأحمدُ

واغسل ذاك القبر بالدمع فرجةً لأن غليلي بالدموع يُبرَّدُ
وممن اشتهر بين كهنة السريان الخوري (يوسف معمار باشي) الماردیني تلميذ مدرسة بروبغندا ودير الشرفة رحل إلى أميركا سنة 1880 وسطر أخبار رحلته في كتاب دعاه إرشاد القريب والبعيد إلى معرفة العالم الجديد. توفي سنة 1879.
وكذلك عرف كاهن فاضل كان من تلامذة مدرستنا في غزير ومدرسة الشرفة الخورفسقفوس (ميخائيل دلاَّل) تولى كتابة الأسرار للبطريرك جرجس شلحت زمناً طويلاً وكان شاعراً مجيداً. ومن آثاره روايات أدبية كإحسان الإنسان والنفح في الفتى المهاجر والفتاة الخرساء. وله ديوان شعر غير مطبوع فمن أقواله الزهديّة:

أرى الدنيا بهاها لا يطولُ وزُخْرفها برمتَّهِ يزولُ
فعزَّتُها وبهجتها خيالٌ وزهرُ الحَقْل برهان دليلُ
فهذا الزهرُ عند الصبحِ يزهو ويفتك في المساء به الذبولُ
فكيف الناس في لهوٍ حيارى ورأسهمُ تدور بهِ الشَّمولُ
ألا ليت الأنامَ يعون قولي ففي الأخرى لهم خيرٌ جزيلُ

وقال من قصيدة طويلة في مديح لاوون الثالث عشر:

حبرُنا لاوونُ من قدراً سما وتعالى سؤدداً دون مثَلْ
من حباهُ الله أوفى منحةٍ إذ رآهُ مستحقاً للنِحَلْ
خلف المغبوط شمعونَ الصفا من مفاتيح السماوات اقتبلْ
فبغى نصراً لحق الدين في كل حال منه لا يهوي بدَلْ
وأزاح الستر عما قد فشا من ضلال الكفر في كل محلْ
إن أقُل فيهِ ختاماً قد غدا مِحْوَرُ الدنيا عليهِ لا جَدَلْ

توفي القس ميخائيل دلال سنة 1894.
وقد جارى الأكليروس الكلداني اخوتهم السريان في رفع لواء الآداب إلا أن همتهم كانت مصروفة إلى لغتهم فإن مطبعتهم في الموصل عنيت خصوصاً بنشر الآثار الكلدانية. على أن (جرجس عبد يشوع خياط الموصلي) كان يتقن اللغتين السريانية والعربية وله في كلتيهما مصنفات. ومن تآليفه العربية مجموع بالنثر والنظم لإفادة طلبة المدارس دعاه روضة الصبي. وله فصول في التواريخ القدسية عربهُ من تاريخ بيليز وذيله وطبعه في مطبعة الآباء الدومنيكان. توفي السيد عبد يشوع سنة 1899.
وممن عني من الكلدان بنشر الآثار العربية القس يعقوب نعمو نشر كتاباً جليلاً للبطريرك النسطوري ايليا الثالث المعروف بابي الحليم ابن الحديثي في القرن الثالث عشر يدعى التراجم السنية للأعياد المارونية يحتوي عدداً من أنفس الخطب الدينية وأبلغها كلها مسجعة يقر لها بالبلاغة كل من

يسمعها. وقد نشرنا في المشرق خطباً له لم نجدها في هذا المجموع.
أما الروم الأرثذكس فقد أشتهر في أكليرسهم بالآداب العربية السيد (جراسيموس يارد) مطران صيدانيا ومعلولاً زحلة. كان مولده في راشية سنة 1840 وبعد درس في مدرسة طائفة في دمشق علم في مدرسة حماة ثم أرسل إلى موسكو سنة 1858 لتدبير أو نطش ملته فيها فوجهت إليه الدولة الروسية أنظارها ودعته إلى تدريس اللغات الشرقية في مدارسها فقد ألف هناك كتباً بالروسية طبعت على نفقة الدولة منها تاريخ فوطيوس في نظر الروم. وفي السنة 1883 عاد إلى بلاد الشام وخدم الكرسي الأنطاكي بنشاط حتى رقي إلى رتبة الأسقفية سنة 1889 فدبر ابرشيته عشر سنوات وكانت وفاته في أيلول سنة 1899. ومما تركه من الآثار تعريف كتاب خلاص الخطاة ورواية إقرار بيلاطس وكراريس في الرتب والطقوس والأعياد الكنسية. وكان خطيباً مفوهاً.

البستانيون
نقدم ذكرهم على بقية الأدباء العالميين الذين اشتهروا في ترقية الآداب العربية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر. وكان أشهرهم المعلم (بطرس البستاني) لأنه ولد في الدبية من إقليم الخروب سنة 1819 من عائلة مارونية وجيهة وفي صغره تلقى العلوم في مدرسة عين ورقة وهوريد الانتظام في سلك الأكليروس ثم جنح إلى البرتستانية وأخذ عن مرسليها المعارف المستحدثة ودرس عليهم العبرانية وعلم في مدرسة أعبيه لرسالتهم الأمريكية وأظهر من الاجتهاد في التحصيل والبراعة في التعليم ما حببه إلى أصحاب تلك الرسالة كالدكتور عالي سميث والد الدكتور فان ديك فأستدعوه إلى بيروت بمؤازرتهم في أعمال مطبعتهم فساعدهم في عدة تآليف أخصها ترجمة التوراة من العبرانية إلى العربية وتولى مدة منصب الترجمة في قنصلية أميركا ثم تفرع للتأليف ووضع عدداً من الكتب المدرسية في الصرف والنحو والحساب ثم باشر بقاموسه المطول المعروف بمحيط المحيط واختصروه في قطر المحيط فنال من السلطان عبد العزيز الوسام المجيدي من الطبقة الثالثة ومبلغاً وافراً من المال كجائزة على عمله. ولما رأى الصحافة في سورية ضيقة النطاق عدل إلى إنشاء الصحف فحرر مع آله الجنان والجنة والجنينة وكان الجنان مجلة تتضمن المباحث السياسية الحرة والمقالات العلمية والتاريخية والأدبية ثم عهد إلى ابنه سليم مواصلة هذا العمل وأبتدأ أول دائرة علمية ظهرت في اللغة العربية فأبرز منها سبعة أجزاء قبل وفاته. وكان المعلم بطرس مع وفرة هذه الأعمال يتعاطى التدريس فأنشأ في بيروت مدرسته الوطنية التي نالت بهمته نجاحاً إلى أن

اضطرته أعباء الأشغال إلى انتداب ابنه سليم إلى إدارتها ثم أقفلت بعد حين. وكانت وفاة المعلم بطرس فجأة في غرة أيار سنة 1883 وممن رثاه الشيخ خليل اليازجي فقال من قصيدة:

يا قُطرْ دائرة المعارفِ والحجى ومحيط فضل فاض في إمدادهِ
تبكي العلوم عليك واللغة التي بقريضها توثيك في إنشادهِ
فإذا المحيط بكاك لم يكُ دمعهُ دون المحيط يزيد في إزبادهِ
يبكي الحسابُ عليه متَّخذا لهُ دمعاً يسيل عليك من أعدادهِ
تبكي المدارس والجرائد حسرةً والشرق بين بلادهِ وعبادهِ

وفي السنة الثانية 1884 نشبت مخالب المنون في نجله (سليم البستاني) وكان سليم يتقيل أباه في نشاطه وهمته وآدابه وقد ساعده في تحرير مجلة الجنان فكتب فيها فصولاً واسعة وتولى إدارة صحيفة الجرائد وأنجز الجزء السابع من دائرة المعارف ونشر الجزء الثامن. ولم يظهر من هذا التأليف بعد ذلك إلا ثلاثة أجزاء تولى نشرها شقيقاه البستانيان نجيب ونسيب ولا سيما أن عمهم سليمان النابغة الشهير المتوفى حديثاً ولعل الباقي أن ينشر أبداً. وكان الأجدر بمؤلف هذه الدائرة أن يقسم الشغل على جملة من الكتبة فيتولى كل منهم تحرير القسم الخاص به فأن ذلك كان أضمن لإنجازها فضلاً عن كونه أشمل لموادها وأوفى بفوائدها فإن هذه الدائرة مع محاسنها بعيدة عن الدوائر الأوربية التي يتولاها قومٌ من الاختصاصيين. ومن أكبر خللها أن موادها الشرقية فان مؤلفيها نقلوا خمسة أو ستة من الكتب العربية الشائعة ولم يعنوا بالبحث عن كثير من المطالب التي تهمنا من تاريخ بلادنا.

ولسليم البستاني روايات قصصية نشر كثيراً منها في الجنان وروايات تمثيلية كرواية الإسكندر وقيس وليلى جرى تمثيلها في الجمعية السورية وكان أحد أعضائها الممتازين. ونشر أيضاً باسمه تاريخ فرنسة بمجلد كبير وإنما الفضل في تأليفه لجناب الشيخ خطّار الدحداح. توفي سليم البستاني في 13 أيلول 1884 وكان مولده في اعبيه في 28 ك1 سنة 1848 وكان في العربية أحد المتخرجين على الشيخ ناصيف اليازجي. وممن شرفوا الأسرة البستانية بآدابهم دون أن تصيبهم في دينهم شائبة كالمعلم بطرس وابنه سليم السيد الجليل (بطرس البستاني) رئيس أساقفة صور وصيدا. على الموارنة (1819 - 1899) وأحد تلامذة عين ورقة خلف عمَّه المطران عبد الله البستاني منشئ مدرسة مشموشة في تدبير كرسي

صور وصيدا وكان متضلعاً بالعلوم الدينيَّة والفقهية واشتهر بتعليم الحقوق والفرائض واتخذه مدة السيد البطريرك بولس مسعد لكتابة أسراره إلى أن سامه أسقفاً سنة 1866 واستصحبه إلى رومية في رحلته إليها سنة 1867 احتفالاً بالتذكار المئوي لاستشهاد القديسين الرسولين بطرس وبولس وسنة 1870 لحضور المجمع الواتيكاني. توفي في 2 تشرين الثاني 1899.
وقد اشتهر من الأسرة البستانية غير هؤلاء سيأتي ذكرهم في تاريخ آداب العربية في القرن العشرين. فإنهم إجمالاً قد حققوا معنى اسمهم فأغنوا الآداب بما غلّه بستانهم من الأثمار الجنيَّة.
ومن مشاهير لبنان في الأدب وفنون الكتابة (يوسف حبيب باخوس) الكسرواني الغزيري من الأسرة الباخوسية الشائعة الفضل ولد في 5 أيار سنة 1845 في غزير وفيها توفي سنة 1882 في ريعان شبابه وقد أدى للآداب العربية مع قصر حياته خدماً مشكورة. فانه بعد أن تلقن العلوم في مدرسة مار عبدا هرهريرا قريباً من عرامون انقطع مدة للتدريس في مدرسة عينطورا ثم في مدرسة الحكمة في بيروت حتى انتدبته حكومة دولة إيطالية إلى تحرير جريدة عربية في كالياري من أعمال سردينية فرضي بذلك وباشر بالعمل وأنشأ جريدة (المستقل) وحررها سنتين. ثم حرر جريدة البصير في باريس خدمة للمصالح الإفرنسية وقد أصابت الجريدتان بهمته بعض النجاح لولا أن المرض أحوجه إلى مغادرة القلم للاهتمام بصحته. فرجع إلى وطنه وما نشب أن توفى. وقد نشر المشرق ترجمته مطولة بقلم أحد آله الأدباء نحيب أفندي باخوس (المشرق 5 (1902): 151 و497) وهناك عدة مقاطيع نثرية وشعرية تشهد له بانسجام الكلام ورقة النظم والتفنن في الكتابة فعليك بها. وكذلك مر لنا وصفه في باريس (في المشرق 3 (1900): 348) ولدمار بومباي (3: 462) وقصيدته في حكمة النفس (3 : 322) وليس في الإعادة إفادة.
وفي السنة 1883 رزئت الآداب بأحد أبناء عائلة شريفة في بيروت المرحوم (سليم بن موسى بسترس) كان مولده في بيروت في 29 آب سنة 1839 وأقبل صغيراً على درس الآداب العربية وبعض اللغات الأجنبية وفي السنة 1855 تجول في أنحاء أوربة وزار عواصمها. وقد وصف رحلته في كتاب طبعه في المطبعة السورية دعاه النزهة الشهية في الرحلة السليميَّة. ثم تعاطى بعد ذلك الأشغال التجارية في الإسكندرية ثم انتقل إلى إنكلترة وسكن ليفربول ولندن واتسعت هناك أشغاله وعرف بفضله وسخاء يده فتوفر عدد أصحابه بين وجود البلاد وأعيانها ونال من محاسن الإمبراطور إسكندر الثاني التعطفات الفائقة وحاز الامتيازات الخاصة وكذلك الدولة العثمانية منحته أوسمتها العالية الشأن.

وكانت وفاته في لندن في 3 شباط سنة 1883 لكن جثته نقلت إلى بيروت فدفن في ضريح عائلته وقد رثاه كثير من الأدباء نثراً ونظماً بنخبة الأقوال التي جمعت في كتاب خاص.
فمن رقيق ما قيل عن لسان الفقيد عند نقل جثته إلى بيروت أبيات لالياس أفندي نوفل:
لما قضى السُّقم أن يسطو على بدني   قد رقَّ حتى رأيتُ الروح تُشْقلني
فقلتُ: لا تدفنوا جسمي بغربتهِ   فالشرق أقربهُ ترباً إلى عدن
هناك فوق رباهُ خيرُ من تركتْ   عيني وتحت ثَراهُ خيرُ مُرْتَهنِ
قد جئتكم أثراً يا جيرتي موانا م   العينُ التي شخصت للأهلِ والوطنِ
فعند مشهد نعشي فاندبوا أسفاً   صباي أو عند قبري فاذكروا زمني
أودعتُ جسمي لديكم في الممات وكم   أودعتكم في حياتي القلبَ في شجني
فاستعطفوا الله من أجلي فرحمتهُ   هي الغناء لنفسي يوم يَحْشرني
وكان سليم دي بسترس شاعراً له منظومات متعددة جمع فيها بين سلاسة الكلام ولطف المعاني. فمما استحسناه من نظمه قوله وفيه ما يدل على إيمانه:
لا شيء غير نفوسنا يتخلَّدُ   تلك البقّية غيرها لا يوجدُ
وسواؤها فوق البسيط كلهُ   يفنى وضمنَ ترابها يتوسَّدُ
وروحُ إله الكون أرسلها إلى   جسد الفنا نوراً به يتوقدُ
فتقود ذاك الجسمَ في طرق الهُدى   وترى له الحقّ المبين وترشدُ
حتى إذا كملَتْ مواعيدٌ لها   نادى بها عودي إليَّ فتصعدُ
وتُفارق الجسم الذي سُجَنتْ بهِ   بحياتهِ وإلى السعادة تقصدُ
حتى إذا تمَّ المعادُ وقد أتى   يومٌ بهِ كلُّ الخلائق تُحَشدُ
تعطي إلى رب العباد حسابها   في محفل فيهِ الملائكُ تشهدُ
في ساعةٍ يا هولَها من ساعةٍ   أن لم تكن فيهِ الفضائل تعضدُ
وتبيت مع طغمات أجنادِ العلا   تجثو إلى العرش المنير وتسجدُ
وتشاهدُ المجد المشعشع نورُهُ   وتسبُح الرب العظيم وتحمدُ
وله تهنئة في عام جديد:
أتى العام الجديدُ يزيد عاماً   بتاريخ المحبَّة والودادِ
على قدر السنين إليك يهدى   تحيات السليم على بعادِ

اسرُّ بكلّ عامٍ حيثُ فيهِ		محبَّتنا تدومُ على اتحادِ
وإن كنُتِ البعيد فانَّ قلبي		على طول المدى بين الأيادي
أوكُلهُ ينوبُ اليوم عني		بتقديم التحيات الجدادِ

المعلم إبراهيم سركيس
هو أخو الوطني الشهير خليل أفندي سركيس صاحب مطبعة الآداب ومنشئ جريدة لسان الحال كان مولده في اعبيه سنة 1834 من عائلة مارونية إلا انه درس على المرسلين الأمريكان فجنح إلى مذهبهم وصار أحد شيوخ الكنيسة الإنجيلية في بيروت وعلم في إحدى. مدارسها. ثم اشتغل عدة سنين في مطبعة الأمريكان فأحكم صناعة الطباعة وتولى تصحيح المطبوعات ومبيع الكتب إلى أن توفي في 10 نيسان سنة 1885. وكان ذكي الفؤاد محباً للعلوم محسناً للكتابة وقد نفع مواطنيه بعدة مصنفات تأليفاً وتعريباً أخصها الدر النظيم في التاريخ القديم والدرة اليتيمة في الأمثال القديمة وصوت النفير في أعمال اسكندر الكبير والأجوبة الوافية في علم الجغرافية وأوضح الأقوال في متلف الصحة والصيف والمال وتحفة الأخوين إلى طلبة اللغتين (عربي وإنكليزي). وله تآليف أخرى دينية.
وكان ينظم أيضاً فمن منظوماته ترانيم روحية في مجموع أغاني البروتستانت. هذه ترنيمة منها في الحرب الروحية:
1
هلم جميعاً قريباً بعيد		فها صوت بوقٍ لأجل القتال
جنودُ الأعاديّ نراها تزيدْ		فهاتوا سلاحاً لذاك النزالْ
قرار
مرّنمين نحن مرّنمين		سيوفكم احملوا هاجمينْ
هو ذا الحربُ شديد طويلْ		سيروا بقوات ربّ إسرائيلْ
2
عدوي أمامي بصفّ القتالْ		فأثبت لا عن طريقي أحيدْ
ونغمُتنا قوَّتي ذو الجلالْ		فسيروا بإيمان عزم وطيد...
ومما نظمه فنشره تحت رسمه:
وإن نُقض البيتُ الذي أنا ساكنٌ		فلي في السما بيتٌ من اللهِ قد بُني
ونفسيَ تحيا عند فاديَّ دائماً		وإن يكن الجسمُ الترابيُ قد فني

إسكندر ابكاريوس
وتوفي في هذه السنة 1885 في 23 ك1 كاتب آخر أصاب بعض الشهرة في أوربة فضلاً عن الشرق بمنشوراته العربية أعني به إسكندر أغا ابكاريوس وكان أبوه يعقوب بن أبكار أرمينيا غريغوريا ذا شأن يسكن بيروت فلما مات أرخَّ وفاته الشيخ ناصيف اليازجي سنة 1845 بقوله:

مضى إلى الله من طابت سريرتهُ بالله وهو بعفو الله مصحوبُ
فقُل لمن جاء بالتاريخ يطلبهُ قد صار في حضن إبراهيم يعقوبُ
ونشأ ابناه اسكندر ويوحنا على حب الآداب منذ حداثتهما وجال اسكندر في أنحاء أوربة ثم عاد إلى بيروت واشتغل بالتأليف ثم دخل مصر وخدم أصحابها ومدحهم فأجازوه بتقليده عدة مناصب. وتوفي اسكندر في أواخر سنة 1885 في بيروت وكان أتى إلى وطنه طلباً للعلاج من مرض السَّحج. وله مصنفات مفيدة أنبأ في تأليفها بحسن ذوقه وكثرة مطالعته منها كتابه (نهاية الأرب في أخبار العرب) طبعه أولاً في مرسيلية سنة 1852
ثم زاد عليه وجدد طبعه في بيروت في المطبعة الوطنية سنة 1867. وألف سنة 1858 كتاب روضة الآداب في طبقات شعراء العرب قرظه من الأدباء منهم الشيخ أبو حسن الكستي حيث قال من أبيات:
لله روضةُ آداب لقد جمَعتْ أوراقُها ثمر الأخبار والسيرِ
ناهيك من طبقات شاد محكمَها اسكندر فاحتوت من مبدع الأثر
ولاسكندر ابكاريوس ديوان شعر لم يزل مخطوطاً وكتاب ديوان الدواوين في أجود المتقدمين والمتأخرين وكتاب نزهة النفوس وزينة الطروس. وله ترجمة إبراهيم باشا دعاها المناقب الإبراهيمية والمآثر الخديوية وكلها مسجعة يتخللها الشعر في آخرها قائمة تآليفه. ومثلها أيضاً المآثر الخديوية ووزراء الحكومة المصرية نشرها في أعداد الجنان سنة 1874 وكتاب التحفة الغراء في محاسن تونس الخضراء. وله تاريخ مخطوط في المكتبة الخديوية (5 : 171) قدمه لمصطفى فاضل باشا وسماه نوادر الزمان في ملاحم جبل لبنان. ومن شعره قوله يهنئ الخديوي سعيد باشا لما زار بيروت سنة 1859:
شرَّفتنا فتزينتْ أقطارنا وزهت مما لها وطلب المَورد
وتَنَّورت بيروت حتى أصبَحتْ من نور مجدك كوكباً يتوقدُ
وقال يمدح إبراهيم باشا:
همامٌ كان في الدنيا فريداً وركناً في المهمات العظام
ولا زالت وقائعهُ المواضي مخلدةً على طول الدوام
وقائع لو رآها الطفلُ يوماً لَشاب لهولها قبل الفِطام
وقال في محمد توفيق باشا إذ كان ولي العهد:
يا من بهِ آمالنا تتعلقُ ونفوسنا للقائهِ تتشوقُ
فيك الفضائل واللطائف والتقى والمكرمات وكل حسنٍ يُرمقُ
لم تجتمع فيك المحاسن إنما منك المحاسنُ كلُّها تتفرَّقُ

تاهت بكم مصر السعيدة عزَّةُ وغدا جبين العصر فيكم يشرقُ
لا زالت للقصاد أحسن كعبةٍ وطريق رزق بابهُ لا يُغْلقُ
وأسلم ودمْ في غبطةٍ وسعادةٍ وتُدام مأمولاً وأنت موفّقُ
أما (يوحنا ابكاريوس) أخو اسكندر فانه عاش بعده إلى سنة 1889 وتوفي في سوق الغرب في لبنان وقد جارى أخاه اسكندر بتآليفه منها كتاب قطف الزهور فمن تاريخ الدهور طبع غير مرة في المطبعة الأمريكية وقد تأسفنا لكون مؤلفه ضمَّنه بعض الفصول التي تحط من شأن الكنيسة. وله كتاب نزهة الخواطر جمع فيه عدة أخبار ومقاطيع أدبية وقصص شائقة فطبعه سنة 1877. ومن آثاره معجم إنكليزي عربي مطول اختصره لطلبة
المدارس وقد عرب أيضاً للأمريكان بعض كتبهم الدينية.

أديب إسحاق
كان من الطائفة الأرمنية الكاثوليكية دمشقي الأصل ولد في 21 ك2 سنة 1856 في الفيحاء وتعلم في مدرسة مرسليها اللعازريين اللغتين الفرنسوية والعربية ثم أغرم بالكتابة والإنشاء ونظم الشعر منذ ريع شبابه وقدم بيروت ودرس في مدرستنا القديمة في حي الصيفي ثم اجتمع بقوم من شبانها العصريين فنزع منزعهم واشتغل بالسياسة والتأليف ثم انتظم في سلك جمعية أنشأها الماسون سنة 1873 وكان المترجم من أخص أعضائها العاملين وقد ألغتها الحكومة مدة لتطرف أصحابها وطعنهم في الحكومة والدين كمألوف عادتهم. ثم تولى تحرير جريدة التقدم فضمَّنها فصولاً ثورية دحضتها جريدة البشير. ثم تنقل بعد ذلك فسافر إلى فرنسة ثم عاد إلى مصر وكتب عدة جرائد وأنشأ جريدة مصر وحرَّر في جرائدها إلى أن أصيب بداء السل فاقفل راجعاً إلى سواحل الشام ولم يلبث أن توفي في قرية الحدث قريباً من بيروت في 12 حزيران سنة 1885 وهو في عز شبابه ودفن دفناً مدنياً. وكان أديب إسحاق سلس القلم سريع الخاطر ذلق اللسان إلا أن مجاهرته بمعاداة الدين وأتباعه للتعاليم الماسونية أظلما عقله وأفقداه أصالة الرأي وسداد الفكر في أمور كثيرة. وكان إنشاؤه عصرياً يتشبه فيه بإنشاء كتبة الفرنج وهانحن نذكر من نثره فقرة كتبها في (الجزويت) تفكهة للقراء وبياناً لما أقربه من صفاتهم وهو ألد أعدائهم. (ما أدراك وما رهبانية الجزويت؟ طائفة من أهل الكهنوت على مذهب الكاثوليك يبلغ عددهم ثمانية آلاف أو يزيدون (اليسوعيون اليوم ثمانية عشر ألفاً)... وهم أهل العلم والسياسة (كذا) والذكاء والاجتهاد والهمَّة والفضل والثبات والبأس لا يعارضهم في ذلك معارض ولا يدرك شأوهم فيه. ينشئون المدارس ويجلبون المنافع ويكشفون الغوامض

ويستخرجون أسرار العلوم منتشرين في أقطار الأرض واصلين بياض النهار وسواد الليل سعياً في تعليم الجهلاء وتهذيب المتوحشين وتمدين الأقطار وجمع آثار المعارف).
ثم شوَّه الكاتب هذه المحامد بما نقله من تهم أعداء الجزويت فجعلها على لسانهم مع كونها مضادة تماماً للفقرة السابقة فروى عن أولئك الخصوم أن الجزويت (يجيزون الكذب ويتسامحون في السرقة ويحللون القتل) إلى غير ذلك من الترهات التي تُضحك الثكلى وأبطلها الكاتب من حيث لا يدري بنسبتها إلى أعداء الدين فقال:
(وذلك بعض ما يدعيه أعداء الجزويت وما أعداؤهم بقليل فان فرقة البروتستانت وهي ألوف ألوف وجماعة الماسون وأهل حريَّة الضمير أي الذين لا يدينون بدين كل هؤلاء لو تمثل لهم الجزويتي في الماء لما وروده وان كانوا ظماء!!!).
وكأن بالكاتب أحس ما نقله مثل هذه السفاسف من العار فألقى التبعة التبعة على القائلين كأن الناقل لا يحتاج إلى التروي في صحة ما ينقله لا سيما بعد مدحه للجزويت وإقراره بما عرفه من (الفضل والهمَّة والثبات وتعليم الجهلاء وتهذيب المتوحشين) فقال يبرئ نفسه مما نقل جزافاً:
(وإنا لنبرأ من موافقتهم على جميع ذلك أو على بعضه ولا تبعة علينا في الحكاية نحن ننقله وليس على الناقل من سبيل (كذا)).
ولأديب إسحاق شعر حسن نختار منه قوله في وصف المرأة:

حَسِبَ المرأةَ قومٌ آفةً		من يدانيها من الناس هلكْ
ورآها غيرهم أمنيةً		مَلكَ النعمةَ فيها من ملَكْ
فتمنى معشرٌ لو نُبذَتْ		وظلام الليل مشتدُّ الحلكْ
وتمنى غيرهم لو جُعلت		في جبين الليث أو قلب الفَلكْ
وصوابُ القولِ لا يجهلهُ		حاكِمٌ في مسلك الحق سَلكْ
إنما المرأة مِرآةٌ بها		كلُّ ما تنظرهُ منك ولكْ
فهي شيطانٌ إذا أفسدَتها		وإذ أصلَحتْها فهي ملَكْ

وقد جمع الأديب جرجس أفندي نحاس منتخبات من إنشاء الأديب فطبعها بكتاب الدرر وأعاد فيها النظر أخو المترجم عوني بك اسحق. وللمترجم غير ذلك من التآليف لا سيما روايات عربها أو صنفها كاندروماك ورواية الباريسية الحسناء.

الياس صالح
توفي أيضاً في سنة 1885 في 15 أيلول. وهو إلياس بن موسى بن سمعان صالح ولد في 26 ك2 1839 في اللاذقية من أسرة وجيهة من طائفة الروم الأرثذوكس وبعد دروسه مبادئ العلوم في وطنه تمكن بكده وذكاء طبعه وثباته من التأليف ونظم الشعر وخدم عدة سنين كترجمان القنصلية الأميركية وكعضو في محكمة الدولة التركية. وسافر إلى مصر

ومدح حضرة الخديوي إسماعيل باشا سنة 1875 بقصيدة مطلعها:

البشرُ في قطرِ مصرِ فاح عاطرهُ والیُمن قد نوَّرت فيه أزاهرُهُ

يقول فيها:

ربُّ المكارم إسماعيلُ من شرفت بهِ المعالي وزاتها مفاخُرهُ
مولى عليٌ أثيلُ المجدِ باذخهُ شديدُ عزمٍ سديد الرأي باهرُهُ
منيفُ فضلٍ وريفُ العدل ناشرُهُ كثير حلم غزير الجود زاخرُهُ
هومُ كل كئيبٍ فهو فارجُها وكسرُ كل كسيرٍ فهو جابرُهُ
ركابهُ السعدُ بالإقبالِ يخدمها وجيشهُ الله أنَّى سار ناصرُهُ

كانت وفاة الياس صالح في وطنه وأبقى من بعده آثاراً منها نظم المزامير عني نجله رفيق أفندي بطبعه وله تاريخ مطول لمدينة اللاذقية وطنه لم يطبع وعرب عدة تآليف تاريخية من الإفرنسية وله ديوان شعر. وكان متقناً للغة التركية فعرب بعض تآليفها كالدستور الهمايوني وقوانين الدولة.

وكان المرحوم الياس صالح تقياً متعبداً للعذراء وقد نظم في مديحها عدة أناشيد نشرت في ديوانه (ص 134 - 144) كقوله:

كلّ من في مدح مريمْ قد تغنى وترَّنمْ
من خطوب الدهر يسلمْ آمنا كل المعاطِبْ
زاد في الدنيا بلائي وحتى ظهري شقائي
بكِ علَّقتُ رجائي يا رجا أهل المتاعبُ
أنت في كل بليَّةْ مُلتجى كل البرَّيةْ
من دعاكِ يا تقَّيةْ فهو لا يرتدُّ خائبْ
في الخطايا ضاع عمري ونما جهلي وشرّي
لك قد سلَّمتُ أمري فاقبلي من جاء تائبْ

ولالياس المذكور سمي آخر عرف مثله بالياس صالح من ملته ولعله من قرابته اشتهر بعده بقليل. ولد في بيروت سنة 1869 وقيل 1870 وتلقى العلوم في الكلية الأميركانية ونبغ في العربية إلا أن الموت لم يسمح له بخدمة الآداب زمناً طويلاً فقصفته المنية غصناً رطباً في 2 حزيران سنة 1895 وكان سافر إلى مصر فكتب في جريدة المقطم وله قصائد كثيرة وكان سلس النظم مبتكر المعاني يقول الشعر عفواً وكان حر الأفكار يجاري في ذلك بعض المحدثين. وله قصيدة في الحرية مزج فيها الغث بالسمين. ومن أقواله الزهدية الحسنة ما ورد له في جملة موشح:

يا إلهي من ذنوبي والخطا مُلئ الدلوُ لعقد الكُرب
وفد الشيب بفَوْدي وخطا وأحاطت بي دعاوى الكرب
يا مليكي في يدي قد سقُطا وأنا بعدُ أنا لم أتُب

إنما في دم فادي إلا نما أرتجي تطهير كل الدنسِ
فهو عوني كلما الخطبُ طما وادلهّم الهم وسط الحندس
ومن ظريف قوله لغز في اسمه (الياس صالح):
أفصحْ لنا يا صاحبي ولك منا المننُ
ما أسم فتى تفسيرهُ قطعْ الرجاء حسَنُ
وله في ذم النحو متفكهاً:
ما ذا الذي يهمنّي أن قام زيدٌ أو قعدْ
أو أن ذهبتُ ماشياً أو راكباً نحو البلدْ
أو كان زيدٌ مبتدأً أو فاعلاً سدّ المَسَدّ
أو أن يكُن ذا الاسمُ يبنى م أو يَكُنْ هذا يُهَدّ
تَصالح الفعلانِ أو تنازعا طول الأبدْ
في النحو لا تقهرُني إلا تفاصيل العدَدْ
وأفعلُ التفضيل كم قد شذّ فيه وشرَدْ
وغير هذي عُقَدٌ تباً لهاتيك العُقَدْ
ترى بها قواعداً بدون معنى وزَبَدْ
مختومةٌ جميُعها بقبس عليهِ ما ورَدْ
وقال يصف سفينة سافر عليها:
تلك السفينة بسم الله مجراها على دموعيَ مسراها ومرساها
تجري وفي قلبها النيرانُ موقدةٌ مثلي كأنَّ هوى الأوطان أشجاها
سكرى تميد بمن فيها فتُسكرهم وهماً فكيف إذا ذاقوا حمَّياها
وليس بدعٌ إذا سارت بنا مرَحاً فتلك جاريةٌ يهتزُّ عطفاها
هيفاء لكنَّها بالقار قد خُضبت كالخَوْد يُخَضب بالحنَّاءِ كفَّاها
سلطانةُ البحر إذ ترسو يحيط بها من القواربِ جندٌ من رعاياها
وإن سرَتْ نشرتْ أعلامها وشدا صوت البخار لها والموج حيَّاها
طوراً ترى في قرار أليم غائصةً وتارةً فوق هام السُّحبِ تلقاها
لم أنسَ ليلة بتنا والرفاقُ بها نرى النجوم ولو شئنا مسَسْناها
وحولنا الماء من كل الجهات ولا شيءٌ سوى الماء يغشانا ويغشاها

أنطون صقال
هو أيضاً أحد رجال النهضة الأدبية التي حصلت في بلاد الشام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ولد في 3 آذار سنة 1842 وتوفي في الشهباء في 8 كانون الأول سنة 1885.
أقبل على الآداب صغيراً وتعلم اللغات الشرقية والأوربية في

مدرسة عين ورقة ثم في حلب ومالطة. وخدم في هذه الجزيرة المعارف زمناً طويلاً ثم رافق الجنود الإنكليزية في حرب القريم بصفة ترجمان أول سنة 1854. وله مراسلات نثرية ومنظومات شعرية ومقالات أدبية تنوه بفضله ووفرة إطلاعه على دقائق اللغة. وله ديوان شعر أكثره حكم لم يطبع. وقد نشر منه شيئاً نجله الأديب ميخائيل أفندي صقّال في كتابه السمر في سكان الزهرة والقمر وهو على شكل رواية فلسفية ضمنه رؤيا خيالية شخّص فيها والده بعد وفاته نازلاً من مقامه في الزهرة ليعلمه ما يجري في العالم الآخر وقد ادعى فيها الكاتب بعض المدعيات الغريبة التي تبعد عن التصديق أو قل أنها تمويه وتلفيق لو لا كونها من أضغاث الأحلام. ومما روى في كتابه لوالده من الشعر قصيدته العينية ومنها:

تدورُ بيَ الأسواء لم أدرِ مأثمي وما ليَ إسعافٌ بذي الدار من عَينِ

ودهري قد أنفقتُ دينارَ حظِّهِ يطالبني بالأصل منه وبالعين

فيا أيها الدهر الخؤون ألا ارتدعْ على أنني ما بعُتك العَينَ بالعينِ

فعين الهوى دمٌ وآخرهُ دم ومعظمه ليلٌ فما فيه من عينِ

لعمري هم الأعيانُ بالعين خُضّع جُشياً على عينٍ أذلاء للعينِ

وفيتينَ في المكيال والعينُ شأنهم يجودونَ بالارواح فضلاً عن العين

يرؤون في حقل الأماني بذورَها بتسكاب دمع سال كالماءِ من عين

وله قوله:

كم أراعي النذلَ حلماً وهو مشتدُ الخصامْ

وألين القول لطفاً وهو فظٌ في الكلامْ

جاز من جاراك يا م قلبي بقطعٍ وانصرامْ

واعتزَالْ من خان عهداً وأخلُ منً سوء اتهامْ

نوفل الطرابلسي

هو نوفل نعمة الله نوفل ولد في طرابلس الشام سنة 1812 من أسرة وجيهة. ولما ترعرع رافق والده في خدمة محمد علي باشا إلى مصر فدرس على أساتذتها ثم عاد إلى الشام سنة 1828 وبعد ثماني سنين سنة 29 حزيران 1836 قتل والده ظلماً إبراهيم باشا وكان خُدع بوشاية أعدائه ثم عرف غلطه فقدم نوفل ابن المرحوم وقلده عدة مناصب في بيروت وطرابلس إلى أن استقال من الخدمة وتعين كترجمان لقنصليتي ألمانية وأمريكا في وطنه.

وقضى بقية عمره في التأليف إلى سنة وفاته سنة 1887. وله تآليف حسنة تشهد له بسعة علومه وتنقيبه. طبع منها كتاب زبدة الصحائف في أصول المعارف وسوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان وصناجة الطرب في تقدمات العرب وهو أعظمها فائدة. ونشر عدة مقالات في جرائد بيروت ومجلاتها لا سيما الجنان. وقد عرب عن التركية كتاب قوانين المجالس البلدية وكتاباً في أصل ومعتقدات الأمة الشركسية وكتاب حقوق الأمم وكتاب دستور الدولة العلية في جزأين نال عليه جزاء من الدولة.
ومن آثاره المخطوطة (أخبار تاريخية) وهي مجموعة مفيدة من تاريخ جودت باشا التركي ومن كتاب تاريخ بربر لإلياس صدفه ومن مطالعات كثيرة منها نسخة في مكتبة الكلية الأميركانية يسعى اليوم بنشرها وتذييلها جناب الأستاذ أسد أفندي رستم في مجلة الكلية.
ومن أنسباء نوفل نعمة الله المذكور (سليم دي نوفل) ولد في طرابلس سنة 1828 وبعد أن أحرز جانباً من مبادئ اللغة والعلوم في وطنه تعين وكيلاً لشركة البواخر الروسية ثم ترك الوكالة وسافر إلى أوربة وعاين التمدن العصري في انكلترة وفرنسة. وبعد عودته إلى مسقط رأسه أكب على الدرس والمطالعة ونقل إلى العربية رواية المركيز دي فونتانج فطبعها سنة 1860 وبقي على ذلك مدة إلى أن انتدبته الدولة الروسية بإشارة قنصلها في بيروت إلى تدريس العربية في كلية بطرسبوج فشخص إليها مع أهله وأقام فيها إلى سنة وفاته في خريف سنة 1902 بعد أن حصل في عاصمة الروس على عدة امتيازات نالها بفضله وسعة معارفه ومصنفاته حتى نظم في جملة مستشاري الدولة وكان يعرف لغات متعددة يكتب فيها ويتكلم بفصاحة ولا سيما الفرنسوية. ومن مصنفاته بالفرنسوية سيرة محمد صاحب الشريعة الإسلامية وغير ذلك. وكان ينظم في العربية ومن شعره رثاؤه لوطنيه وصديقه سليم دي بسترس السابق ذكره فقال عند نقل رفاته إلى وطنه ليدفن في ضريح أسرته:

**العيد وافى يا سليمُ إلى ما	هذا التنائي عن الديار إلى ما**
**ما حظّنا فيه التهاني وإنما	أهدي إليكَ عن الدموع سلاما**
**هاجت شجوني بعد موتك كلُّها	وأسودَّ عمري حاضراً وأماما**
**أقفرتَ قلبي والديار كلاهما	أضحى ببعدك يا سليمُ ظلاما**
**أبكيك لا أسف الحياة فإنَّها	حلمٌ تبطَّنَ جوفهُ أحلاما**
**أبكيكَ لا أسفاً لفقد شبيبةٍ	مرَّت كما خرقَ الشعاعُ غماما**
**أجلُ الزهور موقَّتُ بصاحبها	وذكا الملائك لا تطيلُ مقاما**
**لكنني أبكي السماحة والنهى	أبكي العُفاةَ إذا أتوك زحاما**
**أبكي الفقير على ضريحكَ واقفاً	يذري الدموع على الخدود سجاما**

أبكي لليتيم وقولهُ ابن الذي كنا نقبّل كفهُ إكراما
وختمها بقوله:
أعجزت شعري يا سليمُ فلا تَلُمْ هذه دموعي فلا تسلني كلاما
وقد عرف من أسرة نوفل غير المذكورين كمريم نحاس نوفل المتوفاة في 2 نيسان سنة 1888 ألفت كتاب معرض الحسناء في تراجم مشاهير النساء طبع قسمه الأول في مصر سنة 1879. وكالياس أفندي نوفل من شعراء العصر المجيدين وشعره متفرق لم يجمع بعد. فمن ظريف قوله ما رثى به سليماً دي بسترس:
تلدُ الليلةُ البهيمةُ خطباً كل آنٍ ولم تزل منهُ حُبلى
جاء بالبرق صعقة الرعد تدوي خبراً منهُ أمطر الجفنُ وبلا
بعزيز بماجدٍ بأميرٍ قد فُجعنا ونحن بالشوق نَصلى
قُل لوحش المنونِ يكفيك ظلماً قد تمادى جفاكَ فتكاً وقتلاً
خير شهمٍ أضعت من خير آلِ لو بألفِ فديتهُ قلتُ قلا
وختمها بهذا التاريخ:
ربهُ قال يا عباديَ صبراً مثل هذا الأمين قد خُرّتُ عدلا
جنتَّي بالصلاح أرختُ تُرجى مَن أتاني سليمَ قلب توَّلى (1883).

ميخائيل مشاقة
ومن المتوفين في السنة 1888 الدكتور ميخائيل مشاقة كان مولده في رشميا سنة 1800 من عائلة كاثوليكية ملكية وكان من المقربين إلى الأمير بشير الكبير فانتقل مع أهل بيته إلى دير القمر فلما أنس في ولده الذكاء خرجه في مبادئ اللغة والحساب ومسك الدفاتر. ثم درس الفتى على خاله بطرس عنحوري شيئاً من العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية رافقه بعد مدة إلى دمياط واشتغل بالتجارة وكان في أوقات الفراغ يتعاطى الآداب ويدرس الرياضيات والموسيقى والطب فنال من كلها حظاً. ورجع إلى وطنه وخص نفسه بالطبابة والجراحة مع كونه لم يدرس الفنين في مدرسة ولم يزل يمارسهما حتى أمكنه أن يحضر دروس مدرسة القصر العيني في مصر سنة 1845 فقدم فيها فحصاً أحظاه بالشهادة الرسمية سنة 1846.
ثم استوطن دمشق مع أهله وتعين فيس قنصلاً للولايات المتحدة فيها. وكان ذلك خصوصاً بمساعي المرسلين الأمريكان الذين اجتذبوه إلى دينهم فهاجر البروتستانية سنة 1848 وصوب السهام إلى أهل دينه وملته فقام بينه وبين الكاثوليك جدال طويل لم يزده إلا عناداً فبقي على مذهبه الجديد إلى وفاته في 6 تموز من السنة 1888. وكان الدكتور

مشاقة ذلق اللسان سهل الانشاء لكنه كان ركيك العبارة قليل البصيرة في التاريخ والفلسفة كثير الثقة بنفسه وكان يتعقب آثار الملحدين كفولتار وفولناي فحذا حذوهم. وله كتب مختلفة خلا الكتب الجدالية السابق ذكرها منها كتاب (الجواب على اقتراح الاحباب) ضمنه حوادث بلاده منذ أواخر القرن الثامن عشر إلى زمانه وقد اتسع في حوادث سنة 1860 التي كاد يذهب هو ضحيتها ونجا منها بأريحية الأمير عبد القادر وكذلك أفاض في تاريخ أسرته.
وهذا الكتاب قد طبع في مصر سنة 1908 بعد ضبطه وتنقيح إنشائه الضعيف على يد الأديبين ملحم عبده واندراوس شخاشيري فسمياه مشهد الأعيان بحوادث سوريا ولبنان.
ومنها رسالته المعنونة الرسالة الشهابية في قواعد ألحان الموسيقى العربية التي نشرها في المشرق (2 (1899): 146.. الخ) الأب المرحوم لويس رنزفال وعلق عليها الحواشي ثم طبعه على حدة مع أشكالها ونقلها إلى اللغة الافرنسية في مجموعة مكتبنا الشرقي.
والدكتور مشاقة كذلك التحفة المشاقية في علم الحساب وكتاب المعين في حساب الأيام والأشهر والسنين.
إبراهيم بك كرامة هو ابن بطرس كرامة شاعر الأمير بشير الذي مر لنا ذكر ترجمته (ج1 ص58 - 65) ولد
إبراهيم في دير القمر في 9 نيسان 1823 وجرى صغيراً على آثاره والده وبرع في العربية ودخل ديوان الكتابة في لبنان ثم سافر إلى الأستانة وتوظف في جملة عمال الدولة وامتاز هناك في العلوم الشرعية وتقلد منصب الترجمة بنظارة الخارجية مكانٍ والده ثم جاء مع فؤاد باشا سنة 1861 إلى سورية ترجماناً ونائب رئاسة المجلس الذي فوق العادة.
ولأسباب نفي إلى جزيرة مدِ لَي (متلين) على أثر ذلك. وتزوج بيونانية من سكانها فولد له بطرس قائم مقام زحلة سابقاً سنة 1866. ثم عاد إبراهيم إلى الأستانة فصار عضواً في مجلس المعارف فاقترح عليه تأليف معجم عربي وتركي. ومن ظريف ما مدح به إبراهيم بك قول الشيخ ناصيف اليازجي فيه لما رحل إلى القسطنطينية ليتسلم مأموريته:

خلت الديارُ فلا كرامةَ عندها تُرجى ولا ابنُ كرامةٍ المعُتفْي
هيهات أنَّ ابن الكرامة حلَّ في دار الخلافة بالمقام الأشرفِ
سبحان ذي العرش المجيد فقد بدت في شخص إبراهيم صورةُ يوسفِ
أصلى بنار فراقهِ قلبي ولا بردٌ هناك ولا سلاةَ فتنطفي
ذاك الكريمُ وابن الكرام ومن لهُ الذكر الشهير ومن له اللطف الخفي
ورث الكرامة عن أبيه وحدهِ أكنه بتلديها لا يكتفي

شهدت لهُ الأتراك بالفضل الذي   شهدت به الأعراب دون تكلّفِ
قد نال ما هو أهلُ ما هو فوقهُ   فانظر لأيهما الهناءُ وانصفِ
ثم عاد إبراهيم كرامة إلى وطنه سنة 1885 واعتزل الأشغال وكانت وفاته في بيروت سنة 1888. فقال يؤرخ ضريحه جناب الفيكنت فيليب دي طرّازي:
مثوى غدا في حماهُ الآن مضطجعاً   من كان في قومهِ من أكبر العمدِ
سليلُ بيتٍ رفيع الشأن مشتهرٍ   في الشعر والنثر والتدبير والرشدِ
بعلمه عَلَمٌ قد زانه عَملٌ   برأيه غُرةً في جبهة الأسدِ
بنو كرامةَ قد ناحوا عليه كما   عليه ناحت ديار العرب من كمدٍ
مضى وأحرف ُتاريخ لنا رقت   حُيّيت يا قبرَ إبراهيم للأبدِ (1888).
وكان إبراهيم بك كرامة مغرماً بالآداب يتداول الرسائل مع مشاهير عصره كالشيخ ناصيف اليازجي وجبرائيل الدلال وكان ينظم النظم الحسن وله ديوان لم يطبع. فمن قوله بيتان في تاريخ ظهور جريدة السلام في الأستانة سنة (1302 - 1884):
نُشرت صحيفُتنا السلامُ ونشرُها   قد طاب يا أهل الوفاء لديكمُ
إن ظنَّ بالخبر الصحيح مؤرخُ   يتلو حوادثهُ السلامُ عليكُم
ويروى له في فتاة لبست ثوباً وردياً:
وردَّية الخد بالوردي قد خطرت   تميسُ تيهاً وتثني القدَّ إعجابا
لم يكفِ قامتها الهيفاء ما فعلت   حتى اكتست من دم الطلاَّب أثوابا

الكونت رشيد الدحداح
وفي هذه المدة انطفأ سراج حياة أحد وجهاء اللبنانيين في فرنسة. أعني الكونت رشيد الدحداح. وليس هو أول من امتاز بين المشايخ الدحادحة بذكاء عقله وآدابه في القرن التاسع عشر. فإن تاريخ لبنان ذكر منهم كثيرين نالوا شهرة في دواوين الكتاب كالشيخ سلوم الدحداح وأخيه الشيخ ناصيف كاتبي الأمير يوسف الشهابي في جهات طرابلس ثم عاملي الأمير بشير. وكالشيخ منصور الدحداح ابن سلوم مدير الأمور في لبنان مدة (توفي سنة 1861). وكالشيخ أمين الدحداح رئيس الكتبة عند الأمير حيدر وقد ألف تآليف أدبية منها رسائل وحكم ومراثٍ. وكالشيخ يوسف ابنه من شعراء زمانه توفي قبل والده سنة 1850 وغيرهم من فرسان القلم.

إلا أن الشيخ رشيد فاق الجميع. ولد سنة 1813 في قرية عرامون كسروان ثم درس في عين ورقة. وفي سنة 1838 اختار الأمير أمين الشهابي ابن الأمير بشير كابتاً لأسراره. ثم خدم لبنان في مناصب شتى لولا أنه وجد في وطنه من سوء المعاملات وأسباب العداء ما حمله إلى أن يغترب إلى البلاد فانتقل إلى مرسيلية سنة 1845 في صحبة الشيخ مرعي الدحداح الذي كان عاد إلى سورية بعد فتحه هناك محلاً تجارياً. فرافقه الشيخ رشيد واقترن بابنته وشاركه في الشغل إلى السنة 1852 حيث فتح محلاً تجارياً لحسابه مع أخيه سلوم.
لكنه بعد حين انقطع إلى خدمة العلم والآداب معرضاً عن التجارة فأنشأ جريدة برجيس باريس وحظي لدى الحكومة الفرنسوية وأعيانها. ثم اتسعت شهرته بين الأدباء
واتصل بباي تونس لما حضر إلى باريس سنة 1862 فمدحه بلاميته التي نشرناها في المشرق (5 (1902): 155) وعارض فيها لامية كعب بن زهير فأجازه عليها الباي واتخذه كترجمانه الخاص وقلده الأمور الخطيرة في دولته.
ثم عاد الكونت رشيد إلى باريس وابتنى فيها قصراً بديعاً واقتنى قرية دينار في مقاطعة برطانية فأجال فيها يد العمارة وشيد فيها داراً فخيمة سكنها مع أهله ولم يزل في آخر حياته يعنى بالمطالعة والأليف إلى يوم وفاته في 5 أيار سنة 1889. وللكونت رشيد من الآثار الأدبية ما اكتسبه اسماً طيباً في الشرق والغرب معاً. فمن ذلك أنه سعى بنشر معهم السيد جرمانوس فرحات في مرسيلية سنة 1849 بعد أن رتبه وهذبه وألح ما فيه من الخطأ. ثم طبع فيها أيضاً سنة 1855 شرحين مستوفيين على ديوان ابن الفارض للشيخ حسن البيروني وللسيد عبد الغني النابلسي. وهما الشرحان اللذان أعاد طبعهما المسمى محمد السيوطي في المطبعة الخيرية في مصر سنة 1310 (1893) وساكتاً عن اسم الكونت وإنما أشار إليه إشارة خفيفة لئلا يعرف متولي العمل فدعاه (رشيد بن غالب المجتبي) وكان الكونت أول من نشر كتاب فقه اللغة الذي أعدنا بعد ذلك طبعه. وله مقامات شتى سياسية طبع بعضها على حدة منها كتاب التمثال السياسي مع بيان أحوال فرنسة في عهد نابوليون. وله مجموعان أحدهما يشتمل على أشعار حكمية جناها من كتب العرب يدعى (طرب المسامع في الكلام الجامع) والثاني يتضمن مقالات أدبية وفوائد لغوية يعرف بقمطرة طوامير طبع في فينة سنة 1880. وله غير ذلك مما لم يزل مخطوطاً ونتمنى نشره كمقالة واسعة في فن المناظرة دعاها (ترويح البال في القلم والمال) ولا سيما تاريخه الكبير الذي (السيار المُشرق في بوار المَشرق). وكان الكونت ينظم الشعر الجيد كما يستدل عليه من قمطرته ومن لاميته التي ذكرناها. ومما نشهده في مدح نابوليون الثالث

سنة 1851 إذ كان في أوج عزته إذ لم تعرف غير سجاياه الطيبة قوله من قصيدة:

الله أكبرُ مُعط من يشاءُ فها كلُّ المحاسنِ والإحسان في رَجُلِ
وليس ذا من غلوّ الشعر إذ ظهرت المعين أنوارهُ كالشمس في الحَمل
فيهِ المجالُ وسيعٌ للمقال لذا قد عاد بسطُ كلامي ضّيق الحبَلِ
ذو همَّة لم يُثِبّط عزمَها خطرٌ ولم يكن لصعابٍ قطُّ بالوَكلِ
ولم يضعضعهُ هولُ الخطب آونةً ولم يَضقْ صدرهُ في حادِثٍ جَلَلِ
وبالنواصي قد اقْتاد الذكاءُ لهُ شهبَ الرئاسة فانقادَت على عجلِ
وفي السياسة كم أبدت براعتهُ حذقاً بهِ عادت الحُذاَّقُ في فشلِ

وختمها بقوله:

أبقاكُم الله يا فخر الورى فلكاً للسِلْمِ والأمن والإقبال والجَذَلِ

وبعد سنتين لموت الكونت رشيد (1890) فجعت الطائفة المارونية بوفاة شقيقه السيد (نعمة الله الدحداح) مطران دمشق الذي اشتهر بفضائله الأسقفية أكثر منه بآثار قلمه. وبهمته نال من أفضال الكرسي الرسولي تجديد المدرسة المارونية في رومية .

أسعد طراد

هو أسعد بن ميخائيل طراد من أسرة شائعة الفضل في هذه الأصقاع من نخبة شعراء سورية. ولد في بيروت سنة 1835 وتخرج في حداثته في مدرسة اعبيه الأمركانية. ثم تردد على الشيخ ناصيف اليازجي فأخذ عنه واجتمع بأفضل أساتذة العربية في عهده حتى أتقن العلوم اللغوية ونظم الشعر في شرخ الشباب فطُبع عليه وكان يقوله بديهاً. خدم عدة سنين الدولة العلية بنشاط ثم انتقل إلى مصر سنة 1872 وتعاطى في أنحائها التجارة إلى وفاته سنة 1891. وله شعر كثير متفرق جُمع معظمه في ديوان بعد وفاته بهمة بعض أنسبائه فطبع سنة 1899 في الإسكندرية. وله غير ذلك من الآثار منها مقالات أدبية نشرها في الجنان. ومن شعره الذي لم نجده في ديوانه قوله في موت بعض الكرام:

يا أرحمَ الناس قلباً عند نائبةٍ هلاَّ رحمتَ عَويل الصارخ الوجِلِ
دارت عليك من الأقدار وا أسفاً كأسٌ فملت بها كالشارب الثَّمِلِ

هذا الشرابُ الذي لا بُدَّ منهُ لنا وليس تمنعُ منه كثرةُ الحيلِ
وكيف يجزعُ أهلُ الأرض من حدثٍ جرى على أنبياء الله والرُّسلِ
وله في نعمة الله طراد المتوفى سنة 1855 ولم يرو في ديوانه:
ركنٌ البيت طرادٍ مال مهندماً يوماً وأبكى جميع الأهل والغُربا
حاز التقي والرضا والبرَّ في دعةٍ ورغبةَ الخير والإحسانَ والأدبا
مضى إلى الله مبروراً يحق له شكر على صفحات القلب قد كُتبا
كرامةٌ كل تاريخ مجوّدها لنعمة الله حقُّ الشكر قد وجبا
وقال يرثيه:
لا تخشَ يا قلبُ إحراقاً من الألمِ أما ترى دمع عيني مغَرقاً بدمِ
كلُّ بكى نعمة الله التي فُقدت منَّا وكم في الورى باكٍ على النعم
وهي قصيدة طويلة وجدناها في أحد مجاميع مكتبتنا الشرقية. ويليها أبيات ثانية ختمها بهذا التاريخ.:
لمّا خلا من ديارٍ كان تؤنسها فحزنهُ ما خلا من قلبِ عيلتهِ
وبت أنشد تاريخاً به أبدا لا أعدم اللهُ قلباً فيضَ نعمتهِ (1855)
وقد اشتهر من أسرة طراد شاعر آخر هو (جبرائيل حبيب طراد) ويسمى أيضاً جبران أبا خير كان درس في المدرة الوطنية في بيروت وتمكن من نظم الشعر الجيد الذي لم يعن بجمعه. توفي في سنة 1892 وكان مولده سنة 1854. فمن شعره قوله يرثي اسبيريدون طراد ياور السلطان عبد العزيز المتوفى سنة 1870:
ركنٌ هوى بديارِ اسلامبولَ إذ رَّجت لسقطتهِ المدائنُ والقُرى
لم يَحْمِهِ السيفُ الصقيلُ ولا الصبا والأهلُ والصحبُ الفطاحل والذُّرى
قد كان يجمع في حماهُ كتائباً واليوم أضحى في المقابر أقفرا
من كان لا يرضى القصور مساكناً سكن التراب فبات فيهِ مسفرًّا
من كان غوثاً للفقير وعاضداً أمسى أضرَّ من الفقير وأفقرا
إن غاب عن أبصارنا يبقى لهُ رسمٌ بطَيٍّ القلب دام مصوَّراً

فعليهِ نعمةُ ربهِ وسلامُهُ وعلى ثراهُ الغيُثُ يُسكَب ممطراً
ومن قوله في ذكر محامد الفقيد سليم دي بسترس:
على أنهُ قد كان أحرى بنا بأن نغبّط من مثل السليم نما سعدا
حصيف قضى دنياهُ في خوف ربهِ فحدّثْ ولا تطلب لأفضالِهِ حدّاً
فكم غاث محتاجاً وأطعم جائعاً وعاد أخا سُقمٍ فأوسعهُ رفدا
وكم من أيادٍ جاءها ومكارمٍ فكانت بجيد الدهر من فضلهِ عقدا
علا طِيبُ جدواهُ على الورد نفحةً وذكر اسمهِ بالفضل قد زَّين المجدا
جديرٌ بأنَّ الفخر يشكو فراقهُ ومنهُ رواق الفخر قد كان ممتدّاً

جرجس زوين
وفي السنة 1892 في 28 تموز كانت وفاة كاتب آخر بليغ من أسرة مارونية فاضلة وهو جرجس زوين. تلقى المذكور كل دروسه عندنا في مدرستنا الاكليريكية في غزير ثم عدل إلى الكتابة والتأليف فكان أول محرر لجريدتنا البشير فأقام على تحريرها نحو سبع سنوات ثم تولى تحرير جريدة لسان الحال في آخر حياته جريدة لبنان. وكان كاتباً مجيداً متوقد الذهن سريع الخاطر واسع الاطلاع. وقد عرب عدة كتب طبعت في مطبعتنا كروايتين وردة المغرب وفريدة المغرب وكتآليف دينية منها مصباح الهدى لمن اهتدى وكتاب رواشق الأفكار لأمبرتوس وكتاب كنيسة الروم الشرقية بإزاء المجمع المسكوني الفاتيكاني. وله تآليف رد فيه على الدكتور ميخائيل مشاقة لما أخذ هذا يطعن بالكنيسة الكاثوليكية دعاه الرد القويم على ميخائيل مشاقة اللئيم. وكان جرجس زوين أحد أعضاء الجمعية السورية به فيها خطب ومقالات منها خطبة في تاريخ سورية.

بنو الدلال
وفي هذه السنة عينها في 24 ك1 1892 ذهب ضحية آرائه الدستورية (جبرائيل الدلال) كان سليل أسرة حلبية عريقة في الأدب اشتهر منهم في القرن الثامن عشر إبراهيم الدلال. ومن ذريته (عبد الله) أبو جبرائيل ونصر الله كان ذا عز وجاه وتُقي فلما توفي سنة 1847 أرخ ضريحه بطرس كرامة بقوله:
لحدٌ نواهُ ابنُ دلاَّل التقي فغدا برحمة المَلِك القدُّوس مغمورا
قضى الحياةُ على نهج الصلاح وقد لاقى المنَّيةَ مبروراً وشكورا

ناداه ربٌ غفور إذ نؤرخهُ   نَلْ جنة الخلد عبد الله مسرورا
ولابنه (نصر الله) آثار أدبية منها مقالاته في المال والأعمال ونشرها في الجنان وكان بيته أشبه بمنتدى العلماء وطنه يجتمع فيه الشعراء والأدباء فمدحه بعضهم بقصائد غراء ولنصر الله كتاب في الأدب دعاه منهاج العلم وكتاب في فلسفة يسمى أثمار التدقيق في أصول التحقيق طبع في المطبعة الأدبية سنة 1888 (ص 89) توفى نصر الله سنة 1882.
أما (جبرائيل) فكان والده في 2 نيسان سنة 1836 ونشأ على آداب والده ودرس في مدارس الرسلين في عين طورة وحلب.وكان مغرما بالعلوم العصرية فأحرز منها حصة حسنة وانكب على الفنون العربية ودرس آثارها نثرا ونظما فصار من أوسع أهل وطنه معرفة بآداب العرب. وسافر غير مرة إلى الأستانة وتعلم فيها التركية وتجول في الأقطار حتى بلغ إسبانيا والبرتغال وبلاد الجزائر وحط عصا التسيار في باريس فحرر مدة صحيفة (الصدى) لسان حال السياسة الفرنسوية وصار ترجمانا لوزارة المعارف وتعرف في منصبه بكثيرين من أهل الوجاهة القادمين إلى باريس. ثم استدعاه الوزير خير الدين باشا لما قلد منصب الوزارة إلى دار السلطنة لينشأ فيها صحيفة السلام لكن تلك الجريدة لم تلبث أن تلغى بعد استقالة خير الدين باشا فطلبه المكتب العلمي في فيانا ليدرس العربية في كليتها ففعل مدة سنتين. وصنف هناك بعض المصنفات منها رسالة في ملخص التاريخ العام ورسالات لغوية. ثم عاد إلى وطنه سنة 1884 بعد تغيبه عنه نحو عشرين سنة. فبقي مدة يتعاطى الآداب. وهناك اجتمعنا به سنة 1887 ونقلنا بعض مخطوطات مكتبته. وما كنا لنظن أن هذه المكتبة ستباع يوما ويقع في يدنا كثير من آثارها. وكأن صاحب الترجمة لاختلاطه بأهل السياسة في أوربة عرف ما تقتضيه بلاده من الإصلاحات ففرط منه بعض أقوال نقلت إلى ذوي الأمر فألقي في الحبس وبقي هناك إلى يوم وفاته. وقيل أنه قتل مسموما في اليوم الذي جاء الأمر بإطلاقه والله أعلم. وكان بين جبرائيل الدلال وبعض مشاهير العصر وشعرائه مراسلات ومساجلات. وله قدود غناء وكان بارعا بأصول الموسيقى.
وقد جمع الأديب البارع قسطاكي أفندي الحمصي ما وجده من آثاره الأدبية في كتاب دعاه السحر الحلال في شعر الدلال وصفناه في المشرق (6 (1903): 859) واقتطفنا بعض جناه. وله فيه قصائد غراء مدح فيها علية زمانه فمن ذلك قصيدة نظمها في ناصر الدين شاه ملك إيران منها قوله في مدح السلم والعدل:

فالسلمُ أوفى واقياً   ولثروة البلدانِ أوفَرْ
والعدلُ إن عمَّ المما   لكَ شاد علياها وَعَّمْر

والباقياتُ الصالحا   تُ على مرور الدهر تُذكرْ
ومن طيب نثره ما روي له هناك من جواب إلى صديق: (كتبت أعزك الله وقد وصلني طرسك الذي فاق الدر النضيد ببهجته، وأزرى على رخيم التغريد بلهجته، وإني لأحق بابتدائك بما ابتدأتني به من الصلة تفضلا، ولكن قدر لك علي السبق وإن تكن في كل شيء أولا، فلساني عاطر بشكرك، وقلبي عامر بذكرك، غبت أو حضرت سرت أو أقمت. فو الله لم أذكر أيام اللقاء ولذتها إلا وطارت نفسي شعاعا، ولا تخيلت ساعات الوداع وكربتها إلا وزدني الشوق التياعا،.. فإن تأملت قصر مدة ألفتنا هاج بي الشوق آلاما، وإن تذكرت حميم صحبتنا زادني التذكار هياما، وإذا فكرت في فرقتنا قلت ما كان اللقاء إلا مناما).

سليم بك تقل
وكأن تلك السنة 1892 كانت مشئومة على الآداب العربية فتوفي في أواسط تموز رجل لبناني نبغ في تحرير الجرائد خصوصاً نريد به سليم بك تقلا. ولد المذكور سنة 1849 في كفر شيما من قرى سواحل بيروت وكان رومياً ملكياً كاثوليكياً فاستنشق منذ نعومة أظفاره ريح الآداب التي نم شذاها في مسقط رأسه من الحديقة اليازجية. فدرس في صغره في مكتب قريته ثم دخل مدرسة أعبية الأمريكانية لكن حوادث السنة 1860 المشئومة اضطرته إلى أن ينزل إلى بيروت فأكمل دروسه في المدرسة الوطنية على المعلم بطرس البستاني وابنه سليم. وكان في كل تقلباته مثالا لأقرانه يسبقهم بذكائه ورغبته في إحراز العلوم. ولما أنشئت سنة 1865 المدرسة البطريركية في بيروت انتدبه أصحابها إلى تدريس العربية فيها فكان رصيفا للشيخ ناصيف اليازجي فيلقى عليه مشاكله اللغوية حتى رسخت قدمه في العلوم اللسانية وأمكنه وضع كتاب مدرسي في الصرف والنحو دعاه مدخل الطلاب. فاتخذته المدرسة دستوراً للتعليم وزادت ثقة الرؤساء به فجعلوه رأس أساتذتهم ووكيل أعمالهم. ثم اجتذبته مصر لما رأى في ربوعها من الحرية وفي أمرائها من الأريحية والتنشيط فأمها ورفع إلى خديويها إسماعيل باشا قصيدة رنانة مهدت له سبيل النجاح فنال الامتياز بإنشاء جريدة الأهرام سنة 1875 وهي التي لا تزال إلى اليوم إحدى جرائد مصر اليومية الكبرى فتحيا بروح منشئها وقد لعبت في حياته تهمَّته دورا مهما مع ما صادفته في سيرها من العوائق لا سيما سنة 1882 وقت الحوادث العرابية إلا أن عزم محررها لم يغلب بالك العوارض بل زاد نشاطا وعانى أعمال الصحافة إلى وفاته فتوفي في قرية بيت مري سنة 1892 وكان قصد لبنان تغييرا للهواء وطلبا للشفاء من ألم أصابه في القلب فلم يمهله أجله زمنا طويلاً ونقلت جثته إلى موطنه بإكرام.

وكان لسليم بك تقلا موقع عظيم في نفوس أرباب الأمر من دولته فنال منهم ومن الدول الأجنبية عدة رتب وامتيازات شرفية. وهو قد أبقى من آثار قلمه - ما خلا فصوله ومقالاته المتعددة في الأهرام - مجموعاً فيه مقاطيع من نظمه ونثره. فمن حسن شعره قوله يصف أساطيل حربية:

تلك الأساطيلُ فوق الغَمْر سابحةٌ والغمرُ منها كسهلٍ وهي كالقُللِ
دانت لهيبتها الأنواءُ خاضعةً فحيثما قصدتْ حلَّت بلا مَهَلِ
خاضت عبابَ بحار الأرض آمنةً عَصْف الرياحِ وقصف الرَّمي بالكالِ
إذا شكتْ سفُنُ الخصمِ العنيد ظما نُزَّالِها أورَدتْها الماءَ للدَّقَلَ
وإن تشامَخَ حصنُ دُكَّ عن أُسسٍ ولو تطاولَ مرفوعاً إلى زُحَلِ
تهابها الجنُّ ثمَّ الأنسُ من بشرٍ والنَّسْر في الجوّ مثل الحوت في الوشائلِ
هذي قوى الماء فوق الماء ناشرةً بند الهلال قصِفْ ما تبتغي وقُلِ

ولسليم بك تقلا غير ذلك مما لم يطبع كرسائل ونبذ تاريخية وروايات معربة منها رواية متريدات ورواية أيوب البار. وهذه رسالة كتبها في تهنئة:
السيد السند أطال الله بقاءه. لا أدري أي الثلثة أهنئ إياك أم الرتبة أم نفسي؟ أما أنت فبتساميك وإن كنت فوق ما نلت. وأما الرتبة فبشرفها لأنها دون من سمعت إليه. وأما أنا فلأني أول مخلص لك وُدّك فتهنئتي بما أفتخر به لك. ويا حبذا لو كان لي مداد برقي ويراع كهربائي أفيك به حقك من سروري ولعل ما بين قلبينا يقوم هذا المقام عني فأقول:

فإن أشكُكْ أراجعْ فالدليل معي وإن تشككْ فراجعْ فالدليلُ معكْ

ومن ظريف قوله في من عذله على التدخين:

عذَلَ التدخينَ قومٌ قد رأوا بيدي سيكارةً أعشَقُها
قال: دعها فهي سمٌّ نافعٌ قلت: لا والله لا أعتقُها
إن تكن سماً فإني محرقٌ شرَّها بالنار إذ أحرقُها
وعليه فاعذلوا أو فاعذروا فعلى الحالين لا أطلقها
إن حلالاً أو حراماً أشربها فأنا الصبُّ الذي يعشقُها

وقام من بعد سليم بك شقيقه (بشارة باشا تقلا) المتوفى سنة 1901 وسنذكره في جملة أدباء القرن العشرين.
القانوني (نقولا نقاش) هو نقولا بن الياس نقاش أخو المرحوم مارون نقاش الذي سبق ذكره في (المشرق 11(1909): 382) وهناك أشرنا إلى أصل العائلة من صيدا وانتقالها إلى بيروت. وكان مولد المترجم في هذه المدينة سنة 1825 وجرى على آثار أخيه في طلب العلوم ودرس

اللغات وساعده في إنشاء الروايات التمثيلية. ثم تعاطى التجارة من السنة 1859 إلى السنة 1868 فانتدبته الحكومة إلى خدمتها كعضو مجلس الإدارة في لواء بيروت وكمدير جمارك الدخان فانكب على مطالعة قوانين ونظامات الدولة العلية. وتخرج في العلوم الشرعية على مشائخ العلماء أخصهم الشيخ يوسف الأسير فأحرز شهادة وكلاء الدعاوي ونُصب عضواً دائماً امحكمة بيروت التجارية واشتغل وقتئذٍ بالتأليف وعرّب عن التركية عدة كتب قانونية وأضاف إليها الشروح والفوائد حتى صارت في دوائر الحكومة المحلية بمثابة الترجمة الرسمية يرجع إليها في حل المشاكل. ونمت شهرة المؤلف بذلك حتى وقع عليه الاختيار سنة 1878 كمعبوث بيروت إلى الأستانة في الندوة الدستورية لولا أن ثمرة الدستور لم تنضج بعد فعاد بعد مدة إلى وطنه وأنشأ سنة 1880 جريدة المصباح الكاثوليكية فنالت بتدبيره ومقالاته شهرة واسعة طول حياته. وقد ضعف نور ذلك المصباح بوفاة منشئه حتى انطفأ تماماً. وكان المرحوم نقولا نقاش شديد التمسك بالدين مجاهراً بإيمانه كما تشهد له بعض تآليفه كتكريم القديسين ومجموع صلوات تقوية. وله من الكتب الأدبية خطب في مواضيع شتى سياسية واجتماعية. وله ديوان شعر طبع في المطبعة الأدبية سنة 1879 ضمنه كثيراً من المعاني الحسنة والأوصاف العصرية فمن ذلك قوله من قصيدة طويلة أرّخ فيها وصول ماء نهر الكلب إلى بيروت سنة 1875:

يا أهل بيروت بشرى قد صحَّ فينا الرجاءُ
هذا هو الماء جارٍ فَلْتَرْوَ منه الظماءُ
ماءٌ لذيذٌ شهيٌّ رِدُوه فيهِ الهناءُ
بيروت ضاهت دمشقاً وزال عنها العَناءُ
فقلْ لمن عيَّرونا وقلّةُ الماءِ داءُ
تعالَوْا الآن تلقوا ماء وفيه النماءُ
سقياً لبيروت أرّخْ في ثغرنا حلَّ ماءُ

(1875)

ومن أوصافه تعديده لعجائب مصر:

الله أكبرُ هذا عصرُ تجديدٍ عصرُ المعارف لا بل عصرُ تَمْجيدِ
عصرٌ جديدٌ لهُ الأكوان باسمةٌ تثني على أهلهِ الغُرّ الصناديدِ
ذيّاك ينطق في تسبيح خالقهِ وذاك يلهجُ في حمدٍ وتوحيدِ
هذا يطير إلى العليا بخفَّتهِ وذاك يخرقُ الجبال الجلاميدِ
ترى السفائنَ أعلاماً مدرَّعةً إن تصدمِ الحصنَ ألقى بالمقاليدِ

ما البيضُ ما السُّمرُ إن ألقت مدافعها كُرَاتِها الحُمْرَ من أفواهها السُّودِ
كنا نخافُ من الأفلاك صاعقةً أضحت من أليمّ تأتينا بتهديدِ
تجوبُ أخبارُنا كالبرق مسرعةً تكادُ تسبق فكراً غيرَ مولودِ
أضحت قوافلنا والنار تحملها تسيرُ كالطيرِ لا كالعيسِ في البيدِ
واللهِ ما فعل قُوات البخار سوى ضربٍ من السحر لكن للخير محمودِ
هي الطبيعةُ جل الله مبدُعها إلى الوجودِ بدت من عمق مفقودِ
كلٌ يحاولُ منها كشفَ معجزةٍ فكلُّ مَن جدَ يلقى جل مقصودٍ
ومن محاسن نظمه قوله في لبنان ومقاطعاته بعد حوادث السنة 1860:
لله درُّك يا حمى لبنان إذ أصبحتَ مغتَنم الرضا الشاهاني
نُشرت معارفهُ الجليلة إذ غدا يروي حديثاً عن بني نبهانِ
وبقاعُهُ ذلك العزيزُ مقامهُ أضحى عزيزاً أخصب الوديانِ
وبَمْتنهِ وبفرعِه حلَّ المنى والجُرد أضحى ساحلاً لأمانِ
وبشُوفِه يشفى العليلُ تيمناً غَرْباهُ قُلْ بالخير يلتقيانِ
قد عُدْتَ يا عرقوبَهُ عمَّا مضى وغدوتَ معروفاً بصدقٍ لسانِ
وكذا المتَاصف أنصفت لما صفتْ في خدمةٍ تهدى إلى الأوطان
وبكسروانَ ترى الأمانَ موطَّداً من سيفٍ كسراهُ الجليلِ الشانِ
وترى القُوَيْطع كالقطيع مطاوعاً وكذاك قاطعهُ بوصلٍ دانٍ
وجُبَيْلُهُ وجبالهُ وسهولهُ ووعوُرُه حاكت رياض البانِ
وبزاويَتْهِ (كذا) قد بُنيِ نْعَم البنا هل لا وذا وعدٌ من الرحمانِ
تحمى بَسْيفٍ باترٍ بَترونُهُ وكذا غدت أميونُهُ بأمانِ
نادى حسامُ العدلِ فيه هاتفاً ألقى (بشَرِي) كلَّ من عاداني
بجنوبهِ وشمالهِ تلقى الهنا وبشَرْقهِ وبغربهِ هنآنِ
قمْ أيها الشيخُ القديمُ زمانهُ وانظرْ هضابَك بهجة الأكوانِ
نسجَ الربيعُ بنحو هامك خوذةٌ كزبرجدٍ قد صيغ مع مرجانٍ
هامٌ تكللهُ الثلوجُ أكلةً بيضاءَ تكفي عن جليل معاني
والخصبُ في أكفانهِ ووسوطهِ قُل جنَّةٌ تزدانُ بالافنانِ
حتى الصخور غُدت رياضاً أثمرت من كل فاكهةٍ بها زوجانِ

ومناهل يحيي القلوبَ ورودُها وعيونهُ تروي ظمأ الظمآنِ
هو جنّة في الأرض تحكي للسما والخلق ترتع في رياض أمانِ
وله قصيدة طويلة تنيف على 140 بيتاً دعاها التوبة وضمها المعاني الزهدية. وقد روينا له في المشرق (5 (1902): 631) نشيداً نظمه لجمعية مار منصور. كانت وفاة نقولا نقاش في 4 كانون الأول سنة 1894 فابنه مصقع الخطباء ورثاه جل الشعراء فجمعت أقوالهم في كراس مخصوص. وقد ورث أولاده من بعده أهابه فعرف منهم كبيرهم المرحوم يوسف وله بعض الآثار الأدبية. والقانوني جان صاحب كتاب مغني المتداعين عن المحامين. ومن الأسرة عينها اشتهر (سليم بن خليل) المتوفى قي 25 تشرين الثاني سنة 1884 وهو صاحب جريدة المحروسة ومحرر العصر الجديد وله تاريخ المسألة المصرية سمّاه (مصر المصريين) وكتب عدة فصول ومقالات وروايات طبعت في بيروت ومصر. ونضيف إلى هؤلاء (جرجس بن حبيب) المتوفى في 17 تشرين الأول سنة 1907 وكان من أدباء طائفته له بعض المصنفات في تاريخ العرب أوقفنا عليها وهي لم تطبع. وسليم وجرجس ابنا أخوي نقولا نقاش.

يوسف الشلفون
كان أحد أنصار النهضة الأدبية في الفصل الثاني من القرن التاسع عشر. وهو يوسف بن فارس بن يوسف الخوري الشلفون كان جده حاكماً على ساحل لبنان من قبل الأمير بشير الشهابي الكبير. أما حفيده يوسف فكان مولده نحو السنة 1840 درس في مكاتب بيروت مبادئ العربية واللغات الأجنبية واشتغل مدة في المطبعة السورية التي أنشأنها المرحوم خليل أفندي الخوري سنة 1857 بصفة مرتب حروف ومصحح مطبوعات. وفي أثر حوادث سنة 1860 استدعاه فؤاد باشا معتمد الدولة العلية لترتيب ونظارة المحررات الرسمية التي كانت تطبع في التركية والفرنسوية. وبعد أن تقرر نظام جبل لبنان أنشأ على حسابه مطبعته المعروفة بالمطبعة العمومية سنة 1861 ونشر فيها عدة مطبوعات عددناها في المشرق (3:1001 - 1003) وكان يوسف الشلفون ذا همة عظيمة فانتدبه أول متصرفي لبنان المرحوم داود لتنظيم مطبعة في مركز المتصرفية فقام المندوب بهذه المهمة القيام الحسن. ثم صرف عنايته إلى إنشاء الجرائد فنشر منها أربعاً وهي الزهرة ثم النحلة ثم النجاح وأخيرا التقدم وذلك بالاشتراك مع بعض الكتبة المجيدين كالقس لويس صابونجي والخوري يوسف الدبس وأديب إسحاق. ثم اشترك مع المرحوم رزق الله خضرا فجعل مطبعته في خدمة الطائفة المارونية إلى أن انفصل عنها وأنشأ المطبعة الكلية كما

فصلنا كل ذلك في تاريخ الطباعة في المشرق (3 (1900): 501) وقد أضر بالمترجم تقلبه في الأشغال وميله إلى ذوي المبادئ الحرة. وكان أحد أعضاء الجمعية العلمية السورية وفي مطبعته نشرت أعمالها في السنتين 1868 - 1869.
وكان حسن الكتابة وله نظم جمعه في ديوان ودعاه أنيس الجليس وطبع قسماً منه في مطبعته الكلية سنة 1874. فمن نظمه قصيدة في مدح داود باشا هذه بعض أبياتها:

ضاءت بشمس سعودك الأيامُ   وزهت بطلعة مجدك الأعوامُ
وسمَا بذانك سفحُ لبنانَ الذي   حسدَتْهُ مصرُ بعزهِ والشامُ
فكأنهُ فلكٌ وأنت بأفقِه   بدرٌ له دون البدورِ تمامُ
أقطارهُ بالعدلِ منك استأمنت   ورعت بها الآسادُ والأغنامُ
يا أيها المولى الذي عن وصفهِ   وثنائه قد كلتِ الأقلامُ
قلدتَ قوماً تحت أمرك منهُ   لم تحْصِ واجبَ شكرها الأرقامُ
ونسختَ آيات المظلم بعدما   قامت على ساقٍ بها الأقدامُ
ونصبتَ يا داودُ أحكاماً بها   ظهر اليقينُ وزالتِ الأوهامُ
فينا لك الذكرُ الجميل مخلّداً   هو في الحديث بداءةٌ وختامُ

وقال مهنئاً أحد الرهبان اليسوعيين في عيده فافتتح كلامه بهذه الأبيات:

المرءُ يُعْرفُ في جميل خصالهِ   ويعزُّ عند مقالهِ وفعالهِ
والشهمُ من نال العُلى في جدّهِ   حتى غدا الراقون دون منالهِ
ويشيد صرحَ الخير في طلب العُلى   كي يدرك الأفلاك في أعمالهِ
فيرى اتقاء الله خيراً يرتجي   يوماً ويشفي قلبهُ بزُلالهِ
ويميل من كل الأنام تعفُّفاً   ويرى بحب الله راحة بالهِ

ولد قصائد في أماثل الرجال وكبار الأمراء الذين قدموا بيروت ومدح إمبراطور النسما ووليي عهد ألمانية وإنكلترة وسمو الخديوي إسماعيل باشا فاستحق بذلك بعض الامتيازات الشرفية لكنه توفي خاملاً السنة 1895.

سليم جدي

وفي السنة 1895 عينها انتقل في ربيع عمره شاب أديب قصفته المنون غصناً يافعاً نريد به سليم بن نصر الله جدي من أسرة جدي المعروفة بفضلها في بيروت. كان مولده نحو السنة 1870 وتخرج في الآداب والعلوم في كليتنا. وقد عرفناه حق المعرفة إذ كنا ندرسه العربية وكان في مدرستنا مع المرحوم نجيب حبيقه صاحب الفارس الأسود فعهدناهما طالبين يتلهبان شوقا إلى خدمة الأوطان فيجريان مذ ذاك في ميدان الآداب كخيل الرهان ولكليهما مآثر نثرية وشعرية لدينا منها أشياء متفرقة والبعض منها قد نشر بالطبع كعدة قصائد

وروايات. وكأن دار الآخرة حسدت الوطن على فضلهما فأشربتهما كأس المنون المرّة عاجلاً. إلا أن نجيباً عاش بعد قرينه عشر سنوات وسيأتي ذكره مع أدباء القرن العشرين. ولسليم جدي رثاء في الشيخ خليل اليازجي صح فيه فكأنه سبق ورثى نفسه بقوله:

لك بين الأنام ديوانُ شعرٍ بمعانيهِ حرَّك الجلمودا
تلك بانت العصر مبتكراتٍ ومن المجد ألبستك برودا
لو درى الموت أن ذلك درٌ المعاني نظمتَ منه عقودا
ما أصابت سهامه لك قلباً كان قبل اللسان ينشي القصيدا

شاكر شقير

وفي خريف السنة التالية خسرت أسرة كريمة من الروم الأورثذكس كاتباً آخر من أبناء الوطن وهو شاكر مغامس شقير عرف في بلاد الشام مدة بتفننه بالكتابة ونظم الشعر تولى التدريس في عدة مدارس وطنية وساعد المرحوم بطرس البستاني في بعض فصول دائرة المعارف وكتب في مجلة الجنان وأدار مجلة ديوان الفكاهة (1886 - 1889). ثم انتقل إلى مصر وأنشأ فيها مجلة الكنانة في نيسان سنة 1895 فمات بموت محررها بعد سنتها الأولى (1896). توفي في وطنه الشويفات وللمذكور عدة مقالات وروايات وقصائد تجدها متفرقة في كثير من المجلات. وقد روينا عنه قصة ظريفة في المشرق (9 (1906):571 - 575) عنوانها الطواف بالقربان المقدس. وله كتاب مصباح الأفكار في نظم الأشعار طبع في بيروت سنة 1873 ومنتخبات الأشعار طبع سنة 1876 وعني بتكرار ديوان أبي العلاء المعري دون أن يزيد عليها شيئاً يذكر من المحسنات. ولشاكر أخ اسمه فارس ترك أيضاً بعض المؤلفات وسنذكره في تاريخ آداب القرن العشرين. ومن حسن شعر شاكر قوله من رثاه في سليم دي بسترس دعاه (حقيقة الأسف) وقد تفنن فيه كثيراً:

فتلهُّب وتلهُّفٌ وتأسُّفٌ وتأفُّفٌ وتحسُّرٌ وتحرُّقُ
كبدٌ تذوب وأنفسٌ تشكو العنا أذنٌ تطنُّ وأعينٌ تندفَّقُ

ثم انتقل إلى بحر آخر وقافية أخرى فقال:

سليمُ الفؤادِ لهُ طلعةٌ تحيي الشموسَ وتزري القمرْ
وذو هيبةٍ كأسودِ الشَّرى وأنسٍ كأنسِ الغزال الأغرْ
تخرُّ الذقونُ لهُ سجَّداً تسرُّ العيونُ بهِ إذ حضَرْ
عليُّ المكان جليُّ البيانِ طليُّ اللسانِ مسليُّ البَصَرء
نقيُّ البنانِ تقيُّ الجنان رقيُّ الزمانِ بقيُّ الأثرْ

ومما قاله سنة 1869 في مدح الجمعية السورية:

وزهرة روضٍ كلمَّا طال وقتها تزيد نمذواً بالجمالِ مقلَّداً
بها افتخرت بيروت حتى لقد سمت على كل مصرٍ وهي تُشبهُ فرقدا

مؤلفة من كل صاحبٍ غيرةٍ ذواتٍ بنو للخير بيتاً مشيداًّ
كواكب سعد يسطعُ اليوم نورهم ويهدي الذي في الجهل ضلَّ إلى الهدى
وقد ألبسوا بيروت حلَّة سؤددٍ تتيه بها إذا أصبحَتْ منبع الندى
فكلُّ لسانٍ في ثناهمُ لاهجٌ يصيغُ بهِ لفظاً لدرٍّ منضَّدا
وكلُّ جنانٍ حمدُهم فيه راسخٌ وكل مديحٍ في سواهم تفنَّدا
فلا زال مسعاهم بذلك ناجحاً ونالوا المنى ما الطير في الغصن غرَّدا
ومن نظم شاكر قوله من قصيدة في رثاء نقولا نقاش:
من كان بالأمس نقَّاش الصحاف هدًى يُنْسيك حسَّانَ أو يزري بسبحانِ
من كل نثر أنيق الوصف مندمجٍ وكل شعرٍ رشيق النظم طنَّان
كم حرَّر اللفظ والمعنى تصُّورهُ بما استرقَّ له أحرارَ تبيانِ
إذا انبرى لا يباري في مناظَرَةٍ وإن جرى لا يجاري بين أقرانِ
وختمها بقوله:
مضى إلى الله حيث الدارُ خالدة مستوفياً أجر أعمالٍ وإيمانِ
لا يبرحِ العفوُ فيه فوق مضجعةٍ تحت الأكلةِ من آسٍ وريحانِ

أمين شميل
أسرة شميل هي فرع آخر من دوحة الآداب التي نمت في كفرشيما. يقال أن أصلهم من حوران فاستوطنوا كفرشيما في مبادئ القرن التاسع عشر. وكان مولد أمين بن إبراهيم شميل في 14 شباط سنة 1828 وتلقى مبادئ العلوم واللغة الإنكليزية في مدرسة الأميركان في بيروت فامتاز بين أقرانه. ثم سار إلى رومية في بعض شؤون طائفته فأصاب فيها نجاحاً. ثم رحل إلى إنكلترة وتعاطى فيها التجارة فاتسعت أشغاله وفتح محلاً في الإسكندرية فلم يزل في تقدم ونجاح إلى أن دار دولاب الدهر فأباد ثروته. إلا إن تلك الأحوال المشؤومة لم تقل شباة عزمه. فصفى أشغاله وقصد مصر سنة 1875 ليتعاطى فن المحاماة فيبرز فيه واشتغل بالآداب وأشنأ مجلة الحقوق فكانت باكورة المجلات الشرعية.
ونشر في تلك الأثناء بعض التآليف القانونية كالمباحث القضائية ونظام الحكومة الإنكليزية والتآليف السياسية الدقيقة النظر أخصها كتابه الوافي في المسألة الشرقية طبعه في مطبعة الأهرام سنة 1879 وهو كتاب ضخم في

جزأين ضمنه ملخص تواريخ العرب من أول الإسلام إلى زماننا (ص546) وكان وضع قبلاً رواية سياسية دعاها الزفاف السياسي.
وكان ضليعاً بالآداب حسن الكتابة نثراً ونظماً ويضمن تآليفه المعاني الفلسفية والاعتبارات النظرية والرموز كما تشهد له بعض مصنفاته كبستان النزهات في فن المخلوقات الذي لم يطبع وكالمبتكر في وصف الحياة البشرية ومقاماتها المختلفة منذ الولادة إلى الموت أنجز تأليفه في ليفربول سنة 1867 فطبعه في المطبعة السورية في بيروت. وكان لأمين شميل أولاد نجباء تهذبوا كلهم في كليتنا البيروتية إلى أن يد المنون اغتالت سنة 1885 اثنان منهم في وقت واحد فتوفي أرثور في بيروت وفردريك الكبير في مصر وكان كلاهما من أذكى تلامذة مدرستنا وأكملهم ديناً وأدباً وأرقاهم في سلم النجاح في الدروس فكان موتهما مصاباً أليماً على والدهما أضعف قواه وهد ركن حياته. لكنه لم يزل جهات المستميت حتى لبى دعوة ربه في أواخر سنة 1897 في 6 كانون الأول منها بعد وفاة أخيه أسعد ببضعة أشهر في لبنان.
ولأمين الشميل أخوان آخران ضارعاه عقلاً وذكاء الواحد منهم ملحم كان أيضاً عالماً وشارك أخاه في أعماله التجارية وآدابه توفي في 17 شباط سنة 1885 أي سنة وفاة نجلي أمين فقال الشيخ خليل اليازجي مؤرخاً وفاته:
يا مُلحماً جرحتْ سهامُ مصابهِ منا القلوبَ جراحةً لا تُلْحمُ
أسكرتَ عند البَينِ آل شميلٍ بشَمولِ حزنٍ ليس يرشفها الفمُ
للمجد والعليا عليك مناحةٌ ولكل فنٍ في المعارفِ مأتمُ
غادرتَ مجدك واستويتَ من العُلى أرِّخ لدى المجد الذي هو أعظمُ
(1885).
ولد ملحم في 5 نيسان سنة 1826 وتقلب في مناصب التعليم فالتجارة فالسياسة حتى أدركته الوفاة. ومارس الطب مدة على الطريقة الاختبارية القديمة. ومن آثاره الأدبية أرجوزة وضعها في علم الجبر والمقابلة وله مقدمة طويلة على علم الحساب وكان شاعراً مجيداً له عدة قصائد منها واحدة مدح فيها الخديوي إسماعيل باشا ورثى كريمته زينب هانم بمرثاة افتتحها بقوله:
يوسِعُ القلبَ صاحب الحزم صبرا يومَ بينٍ يجرّعُ الصبُّ صبرا
وحكيمٌ من يزدري بحياةٍ كلَّ يومَ تزداد بالطول قِصرا
وفي آخر عمره دخل ملحم حكومة لبنان وخدم وطنه إلى سنة وفاته.
أما الأخ الآخر فهو الدكتور شبلي شميل الشهير بكتاباته المتوفى بعد الحرب وسنذكره في تاريخ الآداب العربية في

القرن العشرين وكان أمين رجلاً ديناً على خلاف أخيه الدكتور ومن حسن قوله في الخالق سبحانه وتعالى:

هو المهيمنُ والأكوانُ صاغرةٌ تجثو لقدرتهِ العليا وترتعدُ
هو العزيزُ هو الباقي بقوتهِ هو الرحيمُ هو المحيي هو الصمَدُ
يا مُبدع الكل هل في ذاك أمدٍ يُبْغي لديك وماذا يا ترى الأمدُ
أنتَ الكريمُ وتعطي ما تشاءُ كما تشاء من بَحْر جودٍ نبعةُ الزَّبدُ
نفختَ في منخرَي هذا المركَّب من طينٍ فأصبحَ ذا نفسٍ بها البَدَدُ
هل نالت العُجْمُ نفساً لا تموت كما نلنا وإلا فما البرهانُ والسَّنَدُ
النفسُ من عالمِ الأرواح لا عرَضٌ يفنى ولا كائنٌ ينحلُّ أو جسدُ
فارحب بها مَلَكاً من فضل واهبها تَنَل بها مُلُكاً كرسيُّه الأبدُ
وهبتها لك تمييزاً وقد ظهرتْ نوراً فكن مؤمناً ويلٌ لمن جحدوا

ولأمين شميل قصائد متفرقة لم تجمع نشرت في مجلات شتى كقصيدة كنز المنى في المقتطف (1885 ص98) وكقصيدته الشرعية في الجنان (1885 ص228) وغير ذلك مما اتخذته يد الضياع.

حنا بك أسعد الصعب
من أسرة المشايخ الموارنة أبي الصعب الشهيرين بنواحي البترون. كان أبوه سر عسكر الأمير بشير الشهابي الكبير فنشأ صغيراً على التقى وحب الآداب فاتخذه الأمير في خدمته فتعلم العلوم اللسانية وبرع في الخط العربي حتى ضرب المثل في خطه البديع. ولما سار الأمير بشير إلى مالطة اختار المترجم بصفة كاتب لأسراره فرافقه إلى تلك الجزيرة ثم إلى الآستانة العلية وانتهز ثم الفرصة ليتعلم عدة لغات كالإيطالية والفرنسوية والتركية ودرس الفنون العصرية حتى أصاب له شهرة واسعة. ولما عاد إلى وطنه انتدبته الحكومة إلى خدمتها فخدمها في عدة مناصب جليلة مدة أربعين سنة وكان أول من حاز لقب البك نصارى لبنان وبر الشام. توفي في أواسط سنة 1896. ولحنا بك الصعبي رسالات وشروح لم تطبع وله شعر كثير تفنن فيه وأجاد وقد جمعه في ديوان طبع في مطبعتنا سنة 1893 وفي صدره صورة ناظمه. وقد ختمه بقصائد تركية تشهد على براعته في اللغة العثمانية. وفي شعره منظومات متعددة تفيد تاريخ لبنان من السنة 1850 إلى السنة 1890

فمن ذلك قوله مهنئاً دولة رستم باشا عند قدومه إلى لبنان سنة 1873 بقصيدة هذا مطلعها:

ما بالُ لبنانُ يبدي النَّوُرَ أنوارا   هل وجهُ رُستمَ أهدى النُّور أنوارا

أو تلك ألطافهُ الحسناء مذ لمعتْ   أزاحتِ الشمسَ التنوير أستارا

إلى أن قال:

حيُيّتَ لبنانُ كنْ بالله مُعتصماً   وكُن شكوراً بحمد الله مكثارا

ها قد أتى السرُّ والإقبال يُسعدهُ   والضرُّ غاب مع العنقاءِ قد طارا

ضاءت مشارقنا لاحت بيارقنا   طابت حدائقنا عَرْفاً وأثمارا

جادت محابرنا زادت مخابرنا   ناغت منابرنا سجعاً وأشعارا

حسَّفْتَنا سَنَناً كمّلتنا سُنَناً   فوَّلتنا منَناً شيَّدت أمصارا

مكنَّت مِحْرسَنا ملّيت أرؤسنا   خوَّلت أنفسنا بالخلدِ أخدارا

لا زلتَ يا علَمٌ تجثو لك أمَمٌ   سيفٌ كذا قلمٌ ملّكت أحرار

وكان قال سابقاً لما تعين داود باشا أول متصرف نصراني على لبنان:

لنا البُشرى لقد نلنا انتصاراً   وفزنا في سرور لن يبارى

مليكُنا قد حبا لبنان قدراً   وخولّهُ مقاماً واقتدارا

بوالِ من بني عيسى وزيرٍ   وهذا الفخرُ وافانا ابتكارا

شدا باليمن تاريخ بفخرٍ   وزيرٌ جاء نصراً للنصارى (1862)

وله من قصيدة يوبخ فيها الخاطئ ويستدعيه إلى التوبة.

ألا أرفقْ بنفسٍ أنَّ كل نفائسٍ   لديها بذي الدنيا أخسُّ الخسيسةِ

أأنت عدوّ النفس أم أنت خدنها   فمن شيمة الأخوانِ صونُ الخدينةِ

أراك بلا الإشفاق تبغي عذابها   وترمقها شذراً بعينٍ غضوبةِ

فلو شامتِ الأعداءُ ما أنت فاعلٌ   لرقَّت لها رُحماً وأيةَ رقَّة

أتجهلُ ما للنفس من هول مَوقفٍ   أمام العلي الديانِ في كل رهبةٍ

وفيهِ لإعلان الخفايا مظاهرُ   على مشهد الأبصار من كل حَدْقةِ

مصاحفُها مفتوحةُ إذ تُرى بها   ذنوبٌ ولم يُترَك بها قدرُ ذرَّةِ

فذرَهْا ولا تَعبأُ بظلٍ عبورُهُ   يكونُ كطَرْف العين في كل سرعةِ

ولحنَّا بك عدة أناشيد تقوية في السيد المسيح والبتول الطاهرة نقلنا منها سابقاً بعض شذرات. ومما لم نجده في ديوانه زجليةٌ في سبت عازر:

لمَّا توفي عازرُ فوراً بلحدٍ بادورا
جثمانهُ مذ غادروا في جوف رمس قد غدا اللازمة
يا عازرُ ربٌّ الفدا وافاك لا تخشَ الردى
والموتُ ولَّى مذ بدا موّلى قديرٌ مُزْبدا

وختمها بقوله:

فقام من جوف الضريحْ في صوتهِ العالي يصيحْ
أنت العلي أنتَ المسيحْ مستوجبٌ أن تُعَبدا

الشيخ نجيب حداد

ولد في بيروت في 25 شباط سنة 1867 ورحل صغيراً إلى الإسكندرية فتلقى في مدارسها العلوم. ولما حدثت الثورة العرابية عاد إلى بيروت فأتم بها دروسه في المدرسة البطريركية وكان رضع صغيراً أفاويق الأدب في قرابة الشيوخ اليازجي وأمهُ كريمة الشيخ ناصيف فعاش مدة في معية أخوالهِ الكرام. ولما سكنت الأمور في القطر المصري كرَّ راجعاً إليه وعكف على الكتابة في عدَّة جرائد أنشأها وكان رئيس تحريرها أو أحد كتبتها الأولين كلسان العرب وأنيس الجليس والسلام. إلا أن الأسقام لم تزل تنتابه حتى هصرت غصن حياته رطباً قبل بلوغه الكهولة فمات في مصر في 9 شباط سنة 1899. وكان نجيب الحداد متضلعاً بالكتابة يجمع في إنشائه بين متانة العبارة وسهولتها. وله المقالات السياسية الحسنة. واشتهر بإنشاء الروايات أو تعريبها. وقد لقي بعضها إقبالاً ونجاحاً كرواية السيد للشاعر كرنيل الفرنسوي من تعريبه ورواية البخيل ورواية المهدي ورواية الرجاء بعد اليأس ورواية أثارت العرب. وكان شعره أجود من نثره حذا فيه حذو الشعراء العصريين. من ذلك قصيدته في ذم القمار التي رويناها سابقاً في المشرق(7 (1904): 673).
ومن شعره الطيب في وصف السكك الحديدية وقطراتها:

تخَلَّ عن التشبيب بالبيضِ والسُّمر ودَع عنك تشبيه المحاسن بالبدرش
وعُجْ بي إلى طُرق الحديدِ ووصفها ال جديد ودَع ما مرَّ من قِدَم الدهرِ
ففيها يروقُ الوصف وهو حقائق وفيها يحقُّ النعت لا مذهبُ الشعرِ
وعنها يصحُّ القول أن قيل بارقٌ يشقُ الفلا لا عن جواد ولا مُهرِ
فطيرٌ بلا جُنح وطٌود بلا بقا وبرقٌ بلا جوٍّ وهادٍ بلا فكرِ

بلى هي طيرٌ والبخار جناحهُ وطوٌد إذا شبهتَ بالطود ما يسري
وبرقٌ ولكنَّ الدخانَ سحاُبهُ وهادٍ لهُ لبٌّ توقَّدَ عن جمرِ
يسير فما يدري لسرعةِ سيرهِ أتجري لديه الأرض أم فوقها يجري
وللريح حولّيْهِ حفيفٌ كأنه حفيفُ جناح الصَّقر حنَّ إلى الوكر
إذا سار ثارت فوقهُ راية من الد م خان لتنبي انهُ ملك القفرِ
تمّزقها الأرياح حنقاً كأنها تحاول في تمزيقها الأخذ بالثأرِ
لعمرُك ما هذا بهادي البلاد بل هو القائد الهادي إلى العزّ والنصرِ
وأحسن من ذلك قصيدته الغراء التي قالها في احتراق سوق الشفقة في باريس سنة 1897 حيث رزى الكاثوليك بموت قوم من كرامهم لا سيما النساء الشريفات فماتوا في تلك السوق التي انشأوها لمساعدة الفقراء والبائسين بعد أن اتقدت أسلاك آلتها الكهربائية وامتد إليهم لهيب النار:
سوقُ برٍّ تُباعُ فيها اللهُّى بي عاً ويُشرى الثواب فيها شراءَ
زَّينتها بيض الأيادي وأيدي م البيض من محسنٍ ومن حسناءَ
أنفسٌ تبتغي السماء فما أمْسي نَ إلا وقد بلغنَ السماءَ
أدركت ما تروم من جنَّة م الخلد وكن كان الطريق صِلاءَ
من رأى قبلها جحيماً يؤدي لنعيمٍ أبناءهُ الشهداءَ
أو رأى محسناً يجودُ على الناسِ فيلقَي نار الحريقِ جزاءَ
أترى كان ذاك مطهرَ من ما توا فيمحو عن النفوس الخطاءَ
أم هو الدهر لا يزالُ مسيئاً لكريمٍ ومُكرماً من أساءَ
يا ربوعاً كانت معاهد إحسا نٍ وحسن فأصبحت قفراءَ
ودياراً كانت منازل إينا سٍ فأضحت بلاقعاً وخلاءَ
وكراماً كانوا مناهل جودٍ لفقيرٍ فأصبحوا فقراءَ
أمراءُ نادى النَّدى فأطاعو هُ أميراً لهم ولبَّوا نِداءَ
وحسانٌ قد جُدْن برّاً كأن م البرَّ ثوبٌ يزيدهن بهاءَ
ساحة تُنبت المكارمَ والرأ فة والمجد والندى والإخاءَ
فنساءٌ بها تباري رجالاً ورجال بها تبار النساءَ
أوجهْ يشرق السَّنا من محيا ها فتزداد بالجميل سناءَ
رحن يزهون بالبياض فما أمس يَن إلا كوالحاً سوداء
رمَماً لم تدع النار إلا رَسْمَ جسمٍ وأعظماً جرداءَ
نقمة صبَها القضاءُ على الأم برار حتماً ومن يردُّ القضاءُ
رحم الله من قضى وشفى الجر حى وعزَّى الباكين والتُعساءُ

سليمان الصولة
هو سليمان بن إبراهيم الصوله الرومي الملكي الكاثوليكي. كان مولده في دمشق سنة 1814 وفيها قضى أول سني حياته ولما ترعرع انتقل مع والديه إلى مصر ونشأ فيها وتلقن العلوم في مدارسها وكان يتردد على أساتذة الأزهر فأخذ عنهم العلوم العربية ونظم الشعر وقد أخبر عن نفسه أنه في أيام الشباب كان يعارض قصائد أبي فراس الحمداني ويخمس قصائد الحلي ويشطر منظومات المتنبي. وقد ألف كتاباً سماه حصن الوجود في عقائد اليهود وتآليف أخرى راحت حرقاً أو غرقاً في حوادث سنة 1860. وتقلد سليمان الصوله المناصب في الدواوين المصرية وصحب إبراهيم باشا لما جاء لفتح الشام ثم استقر بعد ذلك في دمشق وتقدم في خدمة الدولة العليَّة وتقرب من الأمير عبد القادر الجزائري وبفضله نجا من الموت في فتنة السنة 1860 المشؤومة. ولما كانت السنة 1884 عاد إلى مصر وفيها أقام إلى وفاته في 14 أيار سنة 1899 عن 85 سنة. وله ديوان واسع في 382 صفحة طبعه في مصر سنة 1894 واعتذر في مقدمته انه (برضٌ من عد ومجموع صغير، بقي من ديوان كبير، غادرته اللصوص، بين محروق ومقصوص)، فقال وهو به يتعزى: إذا ما كان لي ابل فمعزى. ثم أضاف إليه ما جد عليه من النظم فطبعه مفضلا القليل المقبول على الكثير المرذول. والحق يقال أن شعره رائق منسجم ومواضيعه مبتكرة أقرب إلى المنظومات العصريَّة. ومن شعره ما قاله ارتجالاً فمدح يوحنا بك البحري وكان الشاعر في الرابعة عشرة من سنه فأحب البحري أن يسمع نظمه:

أمرتَ لك الأمرُ المطاع بأن ترى فرائد شعري وهي أغزرُ من شَعْري
فوا خجلي من فقد درٍ أصوغهُ لديك وكلُّ الدرّ بعض حصى البحرِ

ومن مدحه قصيدة طويلة قالها في فقيد القطر المصري الوزير بطرس باشا غالي منها:

رجلٌ وحسُبك إنهُ الرجل الذي نجت البلادُ به من الإقلالِ
أحيا الندى وأمات بالكمد العدى ونفى الصَّدى بسماحهِ الهطاّلِ
تبدو الغيوبُ لدى لواحظ حذقهِ غرراً مجرّدةً من الإشكالِ
وتناولت منهُ المجالس حكمةً سادت على الماضي بها والتالي
نظر العزيزُ بهِ فطافةَ يوسفٍ فأحلهُ منه المحلَّ العالي
وأمَّدهُ بالرتبة العظمى التي ما نالها قَيْلٌ من الأقيالِ
فأفاد مجد القبط مجداً ثانياً مترّفعاً لثبيرهِ المتعالي

والناسُ حول ندى يمينه أرَّخت نيلُ الهناء يمينُ بطرس غالي
وله عدة مراثي حسنة قالها في إبراهيم المتوفى سنة 1883 وابنته السيدة ليلى. فما قاله في ليلى:
يا ليلةً غادرت ليلى بلا نَفس وغادرتني أُقاسي حرَّ أنفاسي
لولاك لم يدجُ نور الشمس في بصري ولا تبطّن حَوفَ اللحد نبراسي
ولا جفا الراحُ راحي والكرى بصري وصار دمعي سُلافَي والجوى كاسي
أين التي كنتُ إن غابت أقولُ لها ما قالهُ شاعرٌ من آل عباس:
ما أقبح الناس في عيني وأسمّجهم إذا نظرتُ ولم ألقاكِ في الناسِ
قالوا: نسيتَ بها إبراهيم قلت لهم: لا عشتُ أن كنت يا ناسُ لهُ ناسِ
ولا رستْ بين أرباب العلى قدمي أن كان غيرهما في خاطري رأسي
وقد روينا له في المشرق (7 (1904): 432) أبياتاً في مريم السيدة البتول. وله قصيدة أخرى في مدحها نجت من حريق الشام على منوال عجيب وفيها يقول مستغيثاً من داء أصابه:
أيا بابَ النجاة وسلسبيلَ ال حياة وسورَ رَّباتِ الخدورِ
خذي بيدي الشقية وأنهضيني ونجّيني من الخطر الخطيرِ
وداوي علّتي أعِدي حبوري لأنهض بالسرور عن السريرِ
فإني بين أشواك المنايا أُعذّب في الأصائلِ والبكورِ
أيُكْسَر خاطر يا أمَّ ربي لديكِ وأنت جابرةُ الكسيرِ
ويبلغني الجحيمث وأنتِ غوثي وأدخلُ في الظلامِ وأنت نوري
أجيريني أجريني وإلا فدلّيني لمن أشكو أموري
وهل يرضى حنوُّكِ بافتقاري لغير نداك يا بحر البحورِ
تباركِ من بنورك جلَّ قدراً عن التشبيه أخجل كلَّ نورِ
وأعطاكِ الشفاعةَ يا سماءَ تخيَّرها لخَّلاقِ البدورِ
سأبذلُ في امتداحك كل جهدي لعلَّ اللهُ يسمحُ عن قصوري
ويغفر لي ويصفح عن ذنوبي ويصلح عند خاتمتي أموري
وبسليمان الصولة قد ختم القرن التاسع عشر الذي أخذنا على نفسنا تاريخ أدبائه. على أنه في هذه الحقبة الأخيرة قد اشتهر غير الذين ذكرناهم ممن لم يبلغوا شأوهم أو لم نحظ بمآثرهم.
ومنهم بطل لبنان (يوسف بك كرم) الذي ولد سنة 1824 في اهدن من أسرة كريمة وتخرج في مدرسة عينطورا وتولى في لبنان بعض المناصب إلى أن حدثت بينه وبين متصرف الجبل

داود باشا تلك المنازعات المشئومة التي انتهت بسفر يوسف بك إلى أوربة ثم إلى الآستانة حتى قضى آخر عمره في نابولي وفيها توفي معتزلاً عن الأشغال السياسية منقطعاً إلى خدمة ربه في أوائل نيسان من السنة 1889. وقد ذكرناه هنا لما كان عليه من الاقتدار في الكتابة وقد نشر في العربية والفرنسوية عدة مقالات سياسية طبع بعضها مفرداً. وكان ينظم الشعر العربي. قيل انه في ريعان شبابه نظم كتاب سفر نشيد الأناشيد. وله قصائد روى بعضها صاحب الجوائب كقصيدته في راشد باشا التي يقول فيها:

ذا راشد البرَّ بن وجهُ مدينة م البحرَين ولاةُ العزيز على الورى

يكفي العباد بودهِ وبجدهِ فبِنِدهِ وجهُ الزمان تعطّراً

أضحت لهيبتهِ القلوبُ كبيرةً والخطب في الأمر الكبيرِ تصغَّرا

وقد أثبتنا له في المشرق (5 (1902): 497) قصيدة أرسلها إلى صديقه الأديب يوسف حبيب باخوس.

ومنهم الدكتور (سليم بك الجريديني) المتوفى سنة 1885 وأخوه (اسكندر الجريديني) وكان كلاهما من أنصار الآداب أنشأ مقالات علمية وأدبية نشراها في أعمال الجمعية السورية وفي بعض المجلات.

ومنهم (الحاج يوسف فرنسيس) الذي نشأ في حاصبيا وتوطن القليعة في مرجعيون وكان عالماً بأمور الخيل كما يدل عليه كتابه سراج الليل في سروج الخيل. كانت وفاته سنة 1892 وله شعر.

ومنهم أيضاً (سليم دياب) أحد محرري مجلة الجنان نشر فيها عدة فصول تاريخية وقصائد توفي سنة 1895.

ومنهم الأستاذ (فرنسيس شمعون) من تلامذة المدرسة الأمركانية في اعبيه كان راسخ القدم في العلوم العربية متضلعاً بالرياضيات وله مؤلف لطيف في الحساب ونشر ديوان الفارض في بيروت. توفي في 11 شباط 1899.

ومنهم(حنين بن نعمة الله الخوري) من أعضاء الجمعية السورية له في نشرتها عدة مقالات وعرب تأليف الوزير كيزو الفرنسوي في التمدن الأوربي. لا نعلم سنة وفاته.

المستشرقون الأوربيون في ختام القرن التاسع عشر

قامت الدروس الشرقية على ساق في ختام القرن التاسع عشر في الأصقاع الأوربية فأن الدول كلها بفضل السلام السائد في بلادها استنهضت همم ذويهم لدرس لغات الشرق والبحث عن آثاره. وكان للغة العربية حظ أوفى من سواها لوفرة كنوزها واتساع نطاقها.

الفرنسويون
بعد أن فقدت فرنسة فئة من كبار مستشرقيها وحمد نوعاً نشاطها المألوف بسبب رزايا الحرب عادت إلى سباقها في حلبة الآداب. على أن درس الآثار الشرقية غلب شيئاً على الدروس اللغوية. وها نحن نذكر بالتلخيص أسماء بعض الذين استحقوا شكر الأدباء بما خلفوه من ثمار قرائحهم على حسب تاريخ الوفيات كما فعلنا سابقاً.
فقدت مصر في 18 كانون الثاني من السنة 1881 إمام علمائها بالعاديات المصرية (أوغست ادورد ماريت) بعد أن أعده لمواجهة ربه أحد آباء جمعيتنا. كان مولده في 11 شباط سنة 1821 وقدم مصر سنة 1850 فقضى ثم ثلاثين سنة توالت فيها اكتشافاته العجيبة كهيكل سيرابيس العظيم ومدافن سقارة وهو أول منشئ للمتحف المصري وله في ذلك تآليف جعلته في مقدمة علماء زمانه وكان يحسن العربية ويعرف آثارها وقد عرب كتابه تاريخ قدماء المصرين الشيخ عبد الله أبو السعود توفي ماريت في بولاق.
وفي 14 كانون الثاني سنة 1882 توفي في باريس أثري آخر فرنساوي (هنري دي لونباريه) عن 66 سنة خدم فيها العلوم الأثرية لا سيما النقود الشرقية فكتب فيها الكتابات الجليلة. وقد جمعت آثاره في عدة مجلدات. ومما يفيد تواريخ هذه البلاد خصوصاً كتابه في نقود ملوك العجم في دولتي بني ارشك وبني ساسان. وله كتاب آخر في نقود ومسكوكات دول الإسلام في المغرب والأندلس. وكان المذكور مع علمه كثير التحمس في الدين.
واشهر منهما في العلوم الشرقية (فرنسوا لونرمان) ابن شرل لونرمان السابق ذكره. ولد في 17ك2 سنة 1837 وتوفي في باريس في 9ك1 سنة 1883 وقد أحب الشرق منذ شبابه فتجول في بلاد اليونان ومصر والشام وكتب في ما عاينه المقالات الواسعة. وقد اشتهر خصوصاً بالعلوم الأثرية والتاريخ. ومؤلفاته تنيف على خمسين مجلداً نخص منها كتابه الشهير تاريخ أمم الشرق القديمة في تسعة مجلدات.وكان عالماً بآثار العرب القدماء كما تدل عليه كتبه. وكان لونرمان كثير الدين يدافع عنه دفاع المؤمن الصادق.
وممن عني خصوصاً بدرس العربية الأستاذ (شربونو) ولد سنة 1813 وتوفي سنة 1882 في باريس. درس المستشرقين دي ساسي وكوسان دي برسفال ثم انتدبته الدولة الفرنسوية لتنظيم مدارسها العربية في الجزائر فاهتم بالأمر اهتماماً عظيماً وعلم في قسطنطينية مدة وكان ينشط الطلبة على درس آداب العرب وآثارهم وقد صنف لذلك عدة كتب مدرسية للقراءة وتعليم الأصول والتكلم وله معجم كبير عربي وفرنساوي ونشر في المجلة الآسيوية مقالات متعددة في شعراء العرب وكتبتهم ونقل إلى الفرنسوية عدة تآليف

منها رحل وتواريخ وقصص كرحلة العبدري وتاريخ ابن حماد.وكان مغرماً خصوصاً بتاريخ المغرب والجزائر له عدة آثار وفي آخر حياته استدعته الحكومة لتدريس العربية في مكتب لغاتها الشرقية الحية في باريس.

وكان يعلم في ذلك المكتب مستشرق آخر اختطفته المنون في 13ك1 سنة 1889 وهو (بافيه دي كورتيل) المولود في باريس في 23 حزيران 1821 لكنه برز في درس اللغة التركية فأحيا كثيراً من آثارها المدفونة. واشتغل بترجمة كتاب مروج الذهب للمسعودي بمعيَّة بربيه دي ميتار المتوفى في العشر الأول من القرن العشرين. ومن تصانيفه كتاب بالفرنسوية في صفة أحوال البلاد العثمانية.

وفي السنة التالية لوفاة شربونو توفي رجل همام متضلع بمعرفة العربية المسيو (شرل دفر امري) ولد في 8 كانون الأول سنة 1822 وتوفي في 19 آب سنة 1883 درس العربية على كوسان دي برسفال والفارسية على العلامة دي كاتر مار وبرع في اللغتين فاختارته دولته ليعلم في مدرستها العليا. وله عدة تآليف أخصها تواريخ الدول الإسلامية في خوارزم وتركستان وما وراء النهر وتاريخ الإسماعيلين وهو أول من نشر رحلة ابن بطوطة وترجمها إلى الفرنسوية وساعده في عمله المستشرق الإيطالي (بنيامين سنغيناتي) الذي كان استوطن فرنسة منذ سنة 1831. ومن غريب الاتفاق أن الرصيفين توفيا في السنة عينها.

وكان سنغينياتي اعد للطبع عدة تآليف عربية كتراجم الأطباء لابن أبي اصيبعة وتراجم الصفدي المسمى الوافي بالوفيات وبعض الكتب الطبية وكلها لم تطبع. ومما نشره في المجلة الآسيوية الفرنسوية سنة 1859 كتاب فيه رسوم قديمة تدعى (أحكام العتيقة) لطائفة مسيحية زعم إنها طائفة الموارنة.

وخسرت الدروس العربية في فرنسة عالماً آخر كانوا يبنون عليه آمالاً طيبة في خدمات الشرقيات وهو (ستانسلاس غويار) ولد سنة 1846 ومات منتحراً سنة 1844. تعلم عدة لغات شرقية كالسنسكريتية والفارسية والآشورية وقد نشر فيها كلها مصنفات عديدة إلا أنه خص قسماً كبيراً من حياته القصيرة في العربية فألف فيها تآليف جليلة أخصها كتاباته عن الباطنية والإسماعيلية المعروفين بالحشاشين وله تأليف جليل في الأعاريض العربية واشتغل بتاريخ الطبري مدةّ. وكانت غلبت عليه السويداء فحملته على قتل نفسه.

واشتهر بين الفرنسويين غير هؤلاء ممن لا يسعنا الإفاضة في ذكرهم (كمرسال دوفيك) المتوفى سنة 1886 نشر في العربية كتاباً قديماً يدعى عجائب الهند نقله إلى الفرنسوية. وقد ألحق معجم ليتره بجدول للألفاظ الفرنسوية المستعارة من اللغات الشرقية وبالخصوص من العربية. (كريشار بوشه) المولود سنة 1843 والمتوفى في تشرين الأول من السنة

1866 نشر قسماً كبيراً من ديوان الفرزدق عن نسخة أبا صوفيا ونقله إلى الفرنسوية. وقد أتم نشر هذا الديوان جناب الأديب البفاري نزيل كليتنا الدكتور يوسف هال المولود في 11 حزيران 1875
ومنهم (آرنست رتان) المتوفى في 2ت1 سنة 1892 اشتهر خصوصاً بمعاداته للدين.
أما ما عرف له من التآليف الشرقية فتاريخ اللغات السامية في جزأين وكتابه عن ابن رشد بالفرنسوية. وتجول مدّة في سورية فنشر آثار سواحلها في كتابه بعثة فينيقية. لكن في تآليفه المذكورة الغث والمين كما بينه قوم من العلماء.
ومنهم الدكتور (لو كلار) المتوفى سنة 1893 وهو الذي نقل إلى الفرنسوية مفردات ابن البيطار وكتب تاريخ الطب في الشرق نقلاً عن ابن أبي اصيبعة وغيره من كتبه العرب في أربعة أجزاء.
ومنهم (غستاف دوغا) أحد معلمي مكتب اللغات الشرقية في باريس. ولد سنة 182 وتوفي في 26 أيار 1894. له تاريخ المستشرقين الأوربيين فلم يطبع منه إلا قسمين وصنف مقالات في جغرافية بلاد الإسلام.
ومنهم الأستاذ (جوزف درنبورغ) الموسوي المتوفي في 29 أيلول سمة 1859 كان مولده في ميانس في 21 آب 1811 نشر رسائل لغوية لأبي الوليد بن جناح واشتغل مع غيره من الموسويين في طبع الأسفار المقدسة لرّبي سعديا الفيومي. وقام من بعدهِ ابنهُ هرتويك ففاق على أبيه في العلوم العربية ونشر كثيراً من آثارها وسنذكره في تاريخ الآداب العربية في القرن العشرين.

العلامة هنري سوفار
المتولي القنصلية لدولته في بلادنا له تآليف شرقية جليلة. منها كتاب في المقاييس والموازين العربية وكتاب عيون التواريخ لمحمد بن شاكر ونشر تاريخ مدارس دمشق ونقل إلى الفرنسوية الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل لشهاب الدين المقدسي. وغير ذلك مما يشهد له بطول الباع في العلوم الشرقية. توفي في أيار من السنة 1896.
ومنهم أيضاً القانوني (جان برجس) الكاهن الفرنسوي الذي علّم العربية في مرسيلية واشتغل في باريس في جريدة البرجيس وترجم تاريخ بني زيّان للتنيسي وتاريخ بني جلاّب للسيد حاج محمد الإدريسي ونشر منتخبات من كتب عربية نادرة كالفيض المديد من أخبار النيل السعيد للمنوفي. وأبرز بالطبع سفر الزبور ونشيد الأناشيد لربي يافث بن علي البصري وميمو ساويرس بن المقفع في القديس مرقس الإنجيلي ولد في 27 شباط 1810 في نيسان وتوفي سنة 1896.

ومنهم العلامة الشهير (شرل شيفر) توفي في 3 آذار 1897 كان تجول في حداثته في الشرق وتولى شؤون الدولة الفرنسوية في الشام والعجم وبرع في الفارسية وقد نشر بالعربية وصف الشام لأبي الحسن علي الهروي. وترأس مدّة سنين عديدة مكتب اللغات الشرقية في باريس فخدم الشرق خدماً مذكورة ولهُ منشورات فارسية جليلة كان مولده في باريس في 16 ت2 1820.
وللكاتب السياسي الشهير (برتلمي سنت هيلار) تآليف في أديان الشرق فكتب عن دين بوذا الهندي (1859) وعن محمّد والقرآن (1865) كان مولده في 19 آب 1805 توفي في باريس في 24 ت2 1895.
ونضيف إلى هؤلاء الافرنسيين سبعة من آباء رهبانيتنا خدموا الدين والآداب العربية معاً في هذه البلاد أولهم الأب (بطرس مرتين) المولود في سابوديا سنة 1825 والمتوفى في شامبرى في 15 أيلول سنة 1880 اشتغل مدة عشرين سنة لتأليف تاريخ واسع في لبنان.
وكتابهُ فريد في جنسهِ لم يزل عندنا مخطوطاً في عشرة مجلدات ضخمة وإنما طُبع منه بعض الأقسام القليلة في مطبعتنا الكاثوليكية معرّبة بقلم المرحوم رشيد الشرتوني. وله مقالات واسعة في حوادث السنة 1860 وبعض كتب روحية كشهر قلب يسوع ورسالة الصلاة رسائل شتى.
والثاني جول بلن المتوفى كهلاً في القاهرة في 8 شباط حزيران 1891 صنف للأوربيين غراماطيقا عربياً ونشر ألحان الكنيسة القبطية.
والثالث الأب (لويس كسافاريوس أبوجي) ولد في مدينة بوي وقصد سورية بصفة مرسل سنة 1849 فأتقن العربية حتى أمكنه أن يحرر البشير ويصنف الكتب في العربية أو ينقلها إليها من اللغات الأوربية. وقد بلغت تآليفه وتعريباته الخمسة عشر منها كتب دينية وجدلية كالشهر الملاكي وكردوده على المقتطف وتزييفه لبعض مزاعم البروتستانت وكتراجم بعض القديسين ومنها مدرسية كمختصر الجغرافية وغرماطيقين عربي شرحه بالفرنسوية وفرنساوي شرحه بالعربية. توفي الأب أبوجي في 16 تموز 1895 في غزير وكان مولده سنة 1819.
والرابع هو الأب (فيلبوس كوش) ولد في مقاطعة فرنش كونته سنة 1818 وتوفي في بكفيا في 27 آب 1895 بعد أن خدم الرسالة خمسين سنة بصفة رئيس مدارس وأديرة وكمدير للمطبعة. له قاموس عربي فرنسوي أصاب شهرة بين المستشرقين وهو المعجم الذي جدد طبعه الأب يأو المترجم في المشرق (1144:7) وأضاف إليه إضافات عديدة وسماه القلائد الدرية.

والخامس هو الأب (يوسف روز) جاء إلى سورية قبل كهنوته فتعلم اللغة العربية حتى برع فيها. وكان أحد المشتغلين بترجمة التوراة. ومن آثاره مكالمات عربية وفرنسوية في جزاءين وله سبع مجلدات مواعظ مخطوطة أنشأ بعضها ونقل بعضها الآخر عن اللغات الأوربية وله معجم عربي فرنسوي لم يطبع. توفي الأب روز في 10 آذار سنة 1896 في بيروت ومولده سنة 1834.
وفي 2 كانون الثاني سنة 1897 توفي في زحلة الأب (يوسف هوري) المولود في أفنيون سنة 1824 جاء كمرسل إلى سورية سنة 1851 واشتغل فيها بالتعليم والتبشير. له قاموس فرنسوي عربي تكرر مراراً طبعه لرواجه.
وكان اشتهر قبل هؤلاء العرب الأب (يوسف فان هام) الهولندي المولود سنة 1813 والمتوفى في 13 آب سنة 1889 في تعنايل له عدة تآليف في الآثار الفلسطينية. وكتب مقالات واسعة في الأسفار المقدسة وتاريخ الإصلاح الموهوم له ردود مختلفة على النشرة الأسبوعية ومزاعم البروتستانت في بيروت طُبعت في مطبعتنا.

الألمانيون والنمساويون
كانوا بعد الفرنسويين أبعد همة من سواهم في تعزيز الدروس الشرقية. نال منهم بعض الشهرة (غليوم سبيتّا بك) في مصر فنشر بالألمانية كتاباً في لهجة المصريين وافتهم الدراجة وأضاف إليها مقاطيع وقصصاً لدرسها ومن منشوراته كتاب في أبي الحسن الأشعري ومذهبه. توفي في 6 أيلول سنة 1883 في مقاطعة فستفاليه.
ومنهم الأستاذ (فليشر) المولود في 21 شباط سنة 1801 والمتوفى في 10 شباط سنة 1888 درس اللغات الشرقية في باريس على دي ساسي وكوسان دي برسفال ثم خلف المستشرق روزنمولر في تعليمه ليبسيك. فكان في ألمانية أحد أئمة الدروس الشرقية مدة خمسين سنة محارياً لفريتاغ ولفلوغل وكان يكاتب أدباء سورية وينشر رسائلهم وقد ألف نحو مائة تأليف في كل الفنون الشرقية لا سيما العربية ومن منشوراته تفسير القرآن للبيضاوي والمفضل الزمخشري وكتب ألف ليلة وليلة مع الأستاذ هابشت ورسالة هرمس في زجر النفس وتاريخ أبي الفداء في الجاهلية مع ترجمته اللاتينية وتآليف متعددة في نحو العربية.
ومنهم الأستاذ (غوستاف فيل) ولد في سولزبورغ في 25 نيسان سنة 1808 وتوفي في فريبورغ برسغاو سنة 1889 في 29 آب. درس التاريخ الشرقي في كلية هيدلبرغ وكتب تواريخ الدول الإسلامية العامة والخاصة وكلها مطولة تعد من أنفس التواريخ وأضبطها لا سيما تاريخ الخلفاء في ثلاث مجلدات وتاريخ العباسيين في مصر في مجلدين.

وفي تلك السنة توفي البارون (الفرد فون كريمر) الذي ولد في 13 أيار فينا سنة 1828 ومات بقربها 27 ك1 1889 تجول في مصر والشام وعلّم العربية في حاضرة بلاده. إلى أن أرسل إلى مصر بصفة قنصل لدولته. ثم تعين قنصلاً لها في بيروت سنة 1870 حتى عهدت إليه حكومته وزارة الخارجية ووزارات غيرها إلى سنة وفاته. له كتب متعددة في آداب العرب وتواريخهم وأشعارهم وجغرافيتهم وقد نشر من ذلك نحو عشرين كتاباً منها كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار وكتاب المغازي للواقدي وكتاب الأحكام السلطانية للماروني والقصيدة الحميرية ومقالات واسعة في شعراء الإسلام كأبي العلاء المعري وأبي نؤاس وعبد الغني النابلسي.
وجارى السابقين في فضلهم هنري توربكه المولود في مَيْنِغْين في 14 آذار سنة 1837. برز بين أقرانه في معرفة الآداب العربية وعلّمها سنين طويلة في كليتي هيد لبرغ وهال توفي في مانهيم في 3 ك2 سنة 1890 ومن مآثره نشره لكتاب الملاحن لابن دريد ودرة الغوّاص الحريري والرسالة التامة في كلام العامة لميخائيل صباغ. وكان مثل للطبع المفضليات فنشر من قصائدها قسماً فقط.
ومن مشاهير المستشرقين الألمان (حنا غلدميستر) المولود. في 20 تموز 1812 والمتوفى في بُنّ في 11 آذار 1890 كان أحد المنشئين للمجلة الآسيوية الألمانية وعلّم اللغات الشرقية في مدارس بلاده. نشر بالعربية رحلة الإدريسي إلى الشام وما ورد في كتب العرب عن الهند ثم وصف الأناجيل العربية المتقولة عن السريانية.
وفي السنة 1891 في ك1 فقدت ألمانية أحد كبار أساتذتها المستشرقين وهو العلامة (بول دي لاغرد) المولود في برلين في 2 ت2 سنة 1827. اشتغل بهمة قسعاء مدة نيف وثلاثين سنة في الآثار النصرانية القديمة والأسفار المقدسة وعلم في كليات وطنه وتآليفه كلها تعرب عن سعة فضله وكان يُحسن اللغات الشرقية كالسريانية والعبرانية والقبطية والعربية له في كلها آثار طيبة. ومما نشر في العربية نسخ قديمة من الأناجيل والمزامير ومن قوانين الرسل ومن بعض التآليف الأبو كريا ونسخة من غراماطيق قديم عربي ولاتيني للراهب بترو دي ألكالا الفرنسيسي. توفي في غوتنغن.
وفي 19 ك1 السنة 1893 توفي الدكتور (لويس سبر نغر) الذي ولد في معاملة التيرول في 3 أيلول سنة 1813 وكان رحل إلى لندن ودخل في خدمة الإنكليز فسار إلى الهند وتولى إدارة مدرسة دهلي سنة 1843 واشتغل في مطبعة كلكوتا فنشر فيها تآليف خطيرة منها اصطلاحات الصوفية لعبد الرزاق السمرقندي وكشاف اصطلاحات الفنون التهانوي وتاريخ الغزنوية للعتبي وكتاب الإصابة في تمييز الصحابة لأبن حجر العسقلاني وكتاب الإتقان في علم القرآن للسيوطي

وكتاب حدود الفاكهي. ثم رجع إلى وطنه وعلم اللغات الشرقية في برلين ثم انقطع إلى التآليف في هيدلبرغ. ومن تآليفه سيرة مطولة لمحمد نبي الإسلام كتبها في ثلاثة مجلدات وكتاب في تعليم محمد.
وغلب كل هؤلاء مع نشاطهم الغريب كاتب ألماني آخر انشبت فيه المنون مخاليبها سنة 1899 في 8 شباط العلامة هنري فردينند وستنفيلد المولود في مندن من أعمال هانوفر في 31 تموز سنة 1808. درس اللغات الشرقية على أكبر أساتذة وطنه ثم جعل أستاذاً للعربية في غوطا. وتآليفه العربية عبارة عن مكتبة واسعة تنيفعن مائتي تأليف بين صغير وكبير وقد أدى العلوم الشرقية خدماً لا تنسى بما نشره من المصنفات القديمة كطبقات الحفاظ للذهبي وتراجم ابن خلكان وقائمة تواريخ العرب وتصانيف أطباءهم وكتاب الاشتقاق لابن دريد ومعجم البلدان لياقوت الحموي ومعجم ما استعجم للبكري وسيرة الرسول لابن هشام وتهذيب الأسماء للنووي وكتاب الألباب في تهذيب الأنساب لأبي سعد السمعاني وكتاب المشترك وضعاً لياقوت وكتاب عجائب المخلوقات للقزويني وآثار البلاد له وأخبار قبط مصر للمقويزي وكتاب المعارف لابن قتيبة وتاريخ مدينة الرسول للمسهودي وتواريخ مكة في ثلاثة مجلدات وتاريخ الخلفاء الفاطميين وجدول مؤرخي العرب على ترتيب أزمنتهم وكتب عديدة غيرها مع تذييلات وحواش وفهارس تدهش العقل بوفرتها. أحيا الله أمثاله كثيرين.
وتوفي بعده بأشهر الأستاذ (شرل كسباري) ولد في ألمانية في 8 شباط 1814 وتوفي في عاصمة أسوج كريستانيا في 11 نيسان 1892 كان موسوي النحلة ثم عدل إلى البروتستانية. له غراماطيق عربي مدرسي كتبه باللاتينية ثم نقل إلى الألمانية والإنكليزية والفرنسوية وتكررت طباعته مع إضافات شتى. وطبع في ليبسيك سنة 1838 كتاب تعليم المتعلم لبرهان الدين الزرنوجي وتقله إلى اللاتينية وذيله بالحواشي.
ومنهم (فردريك مولر) ولد في بلاد بوهيمية في 5 آذار 1832 واشتهر في أبحاثه عن اللغات السامية والعلاقات بين لهجاتها المختلفة وله شرح على لغز قابس علّم زمناً طويلاً اللغة العربية في كلية فينا وفيها كانت وفاته في 24 أيار 1898.
وفي سنة وفاة وستنفيلد توفي في 25 حزيران 1899 في ليبسيك مستشرق آخر (البر سودسين) كان مولده في بال في 18 ت1 1844 انقطع إلى الدروس الشرقية فأصبح أحد علمائها الممتازين وانتدب إلى تعليمها في جامعتي توبنغن وليبسيك وألف غراما طيقاً عربياً في الألمانية ودرس لهجات

مراكش وأهل البادية. وله مجموعة أمثال عربية نشرت ديوان علقمة الفحل.

الهولنديون
عرف الهولنديون بانصبابهم على اللغات الشرقية ولا سيما العربية. وممن اشتهر بينهم في آخر القرن التاسع عشر بول دي يونغ أحد معلمي كلية اوترخت ولد سنة 1832 وتوفي في 25 ك1 سنة 1890 اشتغل مع العلامة دي غوي في وصف مخطوطات كلية ليدن ونشر كتاب المشتبه لابن القيسراني وكتاب لطائف المعارف للثعالبي وفصولاً شتى لبعض مؤرخي العرب.
وزاد على السابق شهرة الهولندي رينهرت دوزي الذي ولد وتوفي في ليدن (كان مولده في 21 شباط 1820 ووفاته في 29 نيسان 1883). أولع منذ حداثته بحب الشرق والعلوم الشرقية وتعمق في درس العربية حتى دعي إلى تدريسها في كلية بلده ومنشوراته العربية عديدة نفيسة منها كتابه في ملابس العرب بالفرنسوية (في 446 صفحة) ونشره لتاريخ بني زيان ثم تخصص بدرس الدول الإسلامية في الأندلس والمغرب فنشر عدة مجلدات في ذلك كتاريخ المعجب لعبد الواحد المراكشي وتاريخ البيان للغرب لابن العذاري وتاريخ الدولة العبادية في الأندلس وجغرافية الإدريسي وتاريخ الإسلام في الأندلس في أربعة مجلدات وشرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ونشر مع بعض المستشرقين القسم التاريخي من نفح الطيب المقري وله معجم واسع في مجلدين ضخمين جعله ملحقاً للمعاجم العربية وكتب تاريخاً مطولاً في الإسلام منذ ظهوره إلى أيامه وألف كتاباً عن الإسرائيليين في مكة وهلم جرا.
في ختام القرن التاسع عشر توفي الهولندي فات المولود في 2 ك1 سنة 1814 والمتوفى في أرنهيم في 14 نيسان سنة 1899 كان من معلمي الشرقيات في كلية ليدن واشتهر خصوصاً بكتاباته عن الهند والمستعمرات الهولندية. ونشر في العربية كتاب لب اللباب في تحرير الأنساب لجلال الدين السيوطي.

الإنكليز
عرف منهم في ختام القرن السابق (إدورد بالمر) من أساتذة كمبردج المتوفي سنة 1883 خلف كتاباً إنكليزياً في أصول نحو العربية. ونشر ديوان بهاء الدين زهير مع ترجمته الإنكليزية على طرز بهي وله أيضاً ترجمة القرآن إلى الإنكليزية.
ومنهم المستشرق الشهير (وليم ريت) ولد في الهند الإنكليزية في أوائل سنة 1830 ثم درس في اسكوتلندة وتعلم

العربية في ليدن تحت نظارة الأستاذ دوزي ثم عاد إلى لندن ودرس العربية وتولى نظارة المخطوطات الشرقية في خزانة كتبها العظمى فوصف مخطوطاتها السريانية الثمينة في قائمة لا تقل عن ثلاثة مجلدات ضخمة. وفي سنة 1870 طلبته كلية كمبردج ليعلم فيها العربية فبقي في مهنته إلى سنة وفاته في 22 أيار 1888. ولوليم ريت مطبوعات عربية جليلة منها الكامل للمبرد ومنها رحلة ابن جبير ومنتخبات من شعراء الجاهلية دعاها (جرزة الحاطب وتحفة الطالب) واشتغل في استخلاص القسم التاريخي من نفح الطيب للمقري مع العلامة دوزي. وله كتب أخرى لغوية منها غراماطيق عربي بالإنكليزية نقله عن غراماطيق كسباري وزاد عليه وقد تكرر طبعه.
وفي السنة التالية في 9 آذار 1889 توفي في لندن (وليم نأسوليس) الذي مر لنا ذكر خدمه للآداب الشرقية في كلكوتا (راجع ص124 - 125).
وفي 20 ت1 السنة 1890 توفي تريسته حيث كان قنصلاً لدولته السائح الشهير اللورد (ريشرد برتون) ولد في كنتية نورفل في انلكترة في 19 آذار 1821 وساح في عدة بلاد واكتشف في أفريقية سنة 1852 بحيرة تنغنيكا. وتعين مدة كقنصل في دمشق ورحل إلى بادية الشام وإلى تدمر. وكان قبلاً بلغ إلى مكة وزار المدينة وكتب تفاصيل سياحته إليهما في مجلدين. وكانت امرأته كاثوليكية فلم تزل تسعى في أمر اهتدائه إلى دينها القويم حتى أدركت غايتها. ولما توفي زوجها أقامت له في لندن مشهداً من الرخام على شكل خيمة عربية وسكنت فيها إلى موتها.
وفي السنة 1892 توفي إنكليزي آخر صرف قسماً من حياته بمهنة ترجمان في سفارات دولته في الآستانة وفي القاهرة وهو (جمس ردهوس) وكان في أوقات الفراغ يشتغل بالتأليف لا سيما في التركية. وله معجم عربي وفارسي وإنكليزي ونشر قصيدة لامية العرب للشنفري مع شروح مختلفة ونقلها إلى الإنكليزية.
واشتهر بين أساتذة كمبردج الأستاذ (وليم روبرتسون سميث) فعلم في جامعتها وعني بالعلوم اللغوية له تصحيحات على غراماطيق كسباري فنشره سنة 1896. كان مولد سميث في 6 آذار 1846 وتوفي في كمبردج في 31 آذار 1894.

الروسيون
تعززت بينهم الدروس الشرقية في ختام القرن التاسع عشر وأزهرت العربية خصوصاً في كليتي بطرسبورج وموسكو وممن عرف منهم وقتئذٍ (برنهرد) دورن كان مولده في ألمانية في 11 أيار سنة 1805 ودرس اللغات الشرقية على مشاهير المستشرقين. وفي سنة 1829 استدعته الدولة الروسية للتعليم في كلية خركوف ثم في مكتبها الآسيوي في

بطرسبورج وتولى نظارة مكتبتها الشرقية ومتحفها الإمبراطوري. توفي في بطرسبورج في 31 أيار 1881 بعد أن أغنى العلم بتآليفه لاسيما في تواريخ الشرق العجمي والشرق الإسلامي كتاريخ القفقاز والخزر والكرج واتسع في وصف الآثار الشرقية كالنقود العربية والمخطوطات الإسلامية فان مآثره تربى على 150 عداً.
ومنهم المعلم (كركاس) كان مولده في روسية نحو السنة 1835 ودرس اللغات الشرقية في بطرسبورج ثم في باريس ثم قصد الشرق فسكن سنتين بنيف في جوار بيروت. ولما عاد إلى روسية قلد منصب التقليد في حاضرتها فأقبل عليه الدارسون وكان من جملتهم العلامة البارون فون روزن الذي نشرنا في المشرق (11 (1908): 171) خلاصة ترجمته. توفي المعلم كركاس السنة 1888. له مؤلفات مفيدة منها كتاب حقوق النصارى في البلاد الإسلامية ومنتخبات عربية ومعجم عربي روسي. نشر كتاب الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري وتاريخ الآداب العربية طبعه بالروسية على الحجر.
وتوفي ليتوانية الأستاذ (اسكندر تشوسكو) كان مضلعاً باللغات الشرقية ولا سيما الفارسية. وله رحلة إلى جهات العجم وكتب عن الإسلام ومنشئه عن القرآن. ولد في 11 تموز 1804 وتوفي في 20 ك1 1891.
الإيطاليون وممن أسفت على فقده إيطالية من المستشرقين الأستاذ (ميشال أماري) ولد في بالرمة في 7 تموز سنة 1806 وتوفي في 16 تموز 1889 تعلم اللغات الشرقية في باريس وفي رومية وخص نفسه بالعربية وبآدابها وتاريخها في بلاده. فكتب تاريخ المسلمين في صقلية ونشر رحلة ابن جبير إلى تلك الجزيرة وصنف تأليفه الذي دعاه بالمكتبة الصقلية فعززها بالكتابات والمعاهدات التجارية المبرمة بين العرب والإيطاليين وغير ذلك مما أوجب له شكر المستشرقين عموماً وأهل بلاده خصوصاً.

الإسبانيون
وفقدت إسبانية في السنين الأخيرة من القرن التاسع عشر ثلاثة من أساتذتها المستشرقين (جوزه دي لرخندي) مؤلف معجم عربي إسباني ومجموع منتخبات عربية (فرنسوا كسافيه سيمونت) أستاذ العربية في غرناطة الذي نشر تاريخ النصارى المستعربين في الأندلس وألف بعض كتب مدرسية عربية ونشر أعمال مجمع طليطلة عن نسخة عربية قديمة وله مقالات متعددة عن العرب نشرها في المجلات الإسبانية. وقد اجتمعنا به في مؤتمر لندن 1891 فأخذنا العجب من سعة علمه. توفي في غرناطة 8 تموز سنة 1897. أما الثالث فهو أستاذ العربية في مدريد العلامة (بسكوال كيانغوس) المولود في إشبيلية سنة 1809 قدم لندن وصنف فيها تآليف مختلفة

اشتهر منها تاريخه للدول الإسلامية في إسبانية وترجمته الإنكليزية لتاريخ المقري نفح الطيب في مجلدين ضخمين ووصف آثار قصر الحمراء وكتاباتها. توفي في لندن سنة 1897. وكان هؤلاء أخذوا عن مستشرقين سبقاهم عهداً (لافوانتي القنطري) المولود في جهات مالقة سنة 1827 والمتوفى سنة 1856: كتب تاريخ غرناطة ونشر كتاباتها العربية. والثاني (أمادوردي لوس ريوس) ولد في نواحي قرطبة سنة 1818 وتوفي في أشبيلية سنة 1878. علم العربية في مجريط ثم صار مديراً لكليتها ونشر آثار قرطبة وأشبيلية.

اسوج ودينمرك

واشتهر في لسوج (هولبو) المولود في 19 آذار 1896 والمتوفى في كريستيانيا في 2 نيسان سنة 1882 صار أستاذاً في عاصمة بلاده كرستيانية بعد أن تخرج في باريس على دي ساسي وكوسان دي برسفال واشتهر خصوصاً بالعلوم الكتابية واللغات الهندية. وقد ترجم إلى الألمانية كتاب كليلة ودمنة ونشر عدة مقالات عن الإسلام في الهند.

وفي 1898 رزنت دنيمرك بموت مستشرقها الشهير (اوغت مهرن) ولد سنة 1822 في 6 نيسان وأخذ العربية في فليشر وعلم في كوبنهاك اللغات الشرقية نحو 50 سنة. ألف كتاباً في بيان اللغة العربية ونشر كتاب عجائب البر والبحر لشمس الدين الدمشقي ومجموعة من تأليف الرئيس ابن سينا نشرها ونقلها إلى الفرنسوية.

أما (الأميركيون) فلا نعرف منهم أحداً اشتهر بالعلوم العربية إلا نزيل بيروت الدكتور (كرنيليوس فان ديك) المولود في ولاية نيويورك سنة 1818 والمتوفى في بيروت في 13 ت2 سنة 1896. قدم إلى سورية بصفة مرسل بروتستاني سنة 1840 فصار إلى آخر نسمة حياته قطب الرسالة الأميركية في هذه البلاد وقد نشر سيرته الدكتور اسكندر أفندي نقولا البارودي في المطبعة العثمانية فنحيل القراء إلى تفاصيلها. وفي آخرها جدول تآليفه البالغة نحو 30 كتاباً في العلوم العصرية كالرياضيات والآثار الجوية والطب والجغرافية ولكه كتاب النقش في الحجر في ثمانية أجزاء ونقل إلى العربية الكتاب المقدس دون الكتب الثانوية ساعده في نقله الشيخ ناصيف اليازجي وألف عدة كتب جدلية رد عليها الأب فان هام اليسوعي وغيره من آباء جمعيتنا فأفحموه.

وهنا نختم كلامنا عن الآداب العربية في القرن التاسع عشر وسنضيف إليه إن شاء الله جزءاً آخر في أحوال الآداب في القرن العشرين.

زيادات وإصلاحات

الصفحة 4 س 13 وص 8 س 7 وص 18 س 20 (الشيخ الطهطاوي) والصواب (الطحطاوي) نسبة إلى مدينة طحطا المصرية. ص 15 س 1 (وأسعد كتاب) ص (ولأسعد كتاب).
ص 28 ورد في رأس هذه الصفحة غلطاً (الآداب العربية في الربع الأول من القرن العشرين) والصواب (الآداب العربية في القرن التاسع عشر). وورد أيضاً بالغلط في الكراس التابع (65 - 79) في رؤوس الصفحات المفردة (الآداب العربية من السنة 1870 إلى 1880) والصواب من السنة 1880 إلى 1900.
ص 61 س 7 (الألمانيون) يضاف إليهم في هذا العقد الرابع (مرقس جوزف مولر) ولد في كنبتن في 3 حزيران 1809 وتوفي في مونيخ في 24 آذار 1874 اشتغل بالفلسفة العربية فنشر لأبي الوليد بن رشد مقالات شتى ثم نقلها إلى الألمانية. وله أيضاً تآليف في تاريخ العرب وكتب في تاريخ غرناطة ونشر للسان الدين ابن الخطيب مقالته في الطاعون التي عنوانها (مقنعة السائل عن المرض الهائل).
ص 62 س 6 (الكيسيس بولديراف) له أيضاً كتاب في أصول اللغة العربية في اللغة الروسية.
س 14 (برغرين) توفي قبل هذه الحقبة نحو السنة 1850.
ص67 س7 (المطابع والمطبوعات) نشرت المجلة الفلسطينية الألمانية 124 - 128) قائمة الجرائد العربية التي كانت تطبع في الشام والجزيرة والعراق سنة 1889.
ص 72 س 4 (مطبوعات مصر) المرحوم الأستاذ الألماني مرتين هرتمان كتاب حسن في الإنكليزية خصعه بمطبوعات مصر في أواخر القرن التاسع عشر 1899).
ص107 س 3 - 14 (ولأحمد فارس الشدياق قصيدة يمدح فيها الشيخ إبراهيم) هذه الأبيات تأخرت بالغلط وحقها أن تقدم للصفحة السابقة فأنها قيلت في الشيخ إبراهيم الحيدري المترجم هناك.
ومما قلناه ذكره العلامة الإنكليزي والمستشرق الكبير (إدورد ولينم لان) الذي أدى خدماً مذكورة ومشكورة للآداب العربية أخصها معجمه الكبير العربي الإنكليزي الذي دعاه (مد القاموس) جمع فيه بإصلاحات مختصرة كل ما جاء في معاجم العرب وكتبهم اللغوية فنشر منه ستة مجلدات (1860 - 1876) ولما مات ألحق به حفيده (لان بول) بقية مسوداته بثلاثة مجلدات. ومما نشره كتاب ألف ليلة وليلة نقله إلى الإنكليزية. وله كتاب واسع في مصر وأخلاق أهلها طبعه سنة 1836 وكتب عن أحوال الشرق العربي في القرون الوسطى. ولد (لان) في هرتفرد في 17 أيلول 1801 وتوفي في وارتنغ في 10 آب 1876.

تم بحوله تعالى.

الجزء الثالث
الربع الأول من القرن العشرين

مقدمة

لما انتهينا السنة 1910 من نشر كتابنا الذي وسمناه بالآداب العربية في القرن التاسع عشر كان قصده أن نشفعه عام عن أحوال تلك الآداب وتطورها في أوائل القرن العشرين فلم تسنح الفرصة بتحقيق نيتنا وإنما اكتفينا بأن نختمه بملحقين أو فصلين موافقين لأحوال العشر الأول من ذلك القرن الجديد دعوناهما: الحماسة الدستورية ومنظومات الوقائع الدستورية يبلغان أربعين صفحة.

لكننا لم نزل منذ ذاك الحين نجمع المواد المواصلة العمل وتدوين أخبار قسم من آداب القرن العشرين إذا مد الله بحياتنا. وإذا قد بلغنا بنعمته تعالى الربع الأول من هذا القرن فرأينا أن هذه الحقبة تستدعي تصنيف خلاصة ما جرى فيها من المشروعات والمساعي لرقي لغتنا الشريفة وما أنتجته قرائح الأدباء لتعزيزها ورفع منارة آدابها. فها نحن نعرض عليهم هذه المجموعة فعساها تروق في أعينهم وتأتي ببعض الفائدة.

ولعل البعض منهم ينسبوننا إلى التهور والثقة الزائدة بقوانا لما يلزم عملاً مثل هذا من المطالعة الكثيرة ووفرة المعارف وقد اتسعت في هذه السنين دائرة الآداب العربية اتساعاً كاد يستحيل على كاتب حصرها وضم أطرافها.

نعم أننا نقر بهذه المشقة ولم نزل نقدم رجلاً ونؤخر أخرى حتى تردد على فكرنا المثل السائر (ما لا يستطيع كلُهُ لا يُهمل قلُهُ) فأن بناء المعارف كصرح شاهق غاية ما يطلب من كل أديب أن لا يضن عليه بحجر صغير أو كبير يزيد في بنيانه سمواً.

ومما ينشطنا في مباشرة هذا العمل النظر إلى ما حرره البعض من ذوي النجابة والهمة القعساء فقربوا إلينا نوعاً القيام به فأننا نجد في ما صنفه في مصر الكاتب الهمام المرحوم جرجي زيدان في كتابه تاريخ الآداب العربية ونشره في بيروت جناب الفيكونت فيليب دي طرازي في تاريخ الصحافة العربية معلومات لم نجدها في وصف آداب القرن التاسع عشر.

وكم نشرت المجلات الجرائد في القطرين المصري والشامي من فصول حسنة يمكن الاقتباس من أنوارها والاستقاء من مناهلها العذبة. فهي قد أحيت ذكر كثير من المعاصرين

الأفاضل لولاها لبقيت أسماؤهم خاملة مجهولة وحقها أن يشاد بذكرها لتكون قدوة للناشئة وفخراً للوطن.
وقد قسمنا تاريخ هذه الآداب ثلاثة أقسام. فالقسم الأول يشمل وصفها وتراجم أصحابها في الثماني السنين الأولى من القرن العشرين من أول السنة 1900 إلى إعلان الدستور العثماني في 24 تموز 1908. ويتناول القسم الثاني العشر السنين التالية إلى نهاية الحرب الكلية في 11 تشرين الثاني 1918. ونخص القسم الثالث بالآداب العربية في هذه السنين الأخيرة إلى 1925.

القسم الأول
الآداب العربية من السنة 1900 إلى 1908
الباب الأول
نظر إجمالي في الآداب العربية في بدء القرن العشرين

قد أتفق ذوو الفراسة وأرباب الحكمة والنظر على القول بأن كل قرن ميزة تفرزه عن سواه كما أن دولة وسلالة سيماء خاصة تتسمان بها وتفرقهما عن خلافهما.
كان القرن العشرون جيل انتباه ويقاظة لأهل الشرق فأنهم استفاقوا من سنتهم العميقة واستنشقوا رائحة الحرية باختلاطهم مع الشعوب لدى نفوذ الأجانب بينهم ومهاجرتهم إلى أنحاء المعمور فأثر ذلك في أفكارهم وأخذوا يسعون إلى إماطة التمائم التي كانت الدولة العثمانية عوذتهم بها ونزع اللفائف التي كانت قمطت بها حياتهم الروحية. وكان إذ ذاك السلطان عبد الحميد في عز مجده يسوس رعاياه بقضيب من حديد لا يأنف من سفك دماء كل من يحاول النجاة من نيره الثقيل.
ومن مميزات هذا العصر اتساع نطاق العقول بالوسائل الجديدة التي قربت إليها رقيها وأنارت بصائرها وشحذت أفكارها. وأخصها المدارس التي شاعت في نفس القرى فضلاً عن المدن. بينها الجامعات والمدارس العليا والوسطى والابتدائية كان يتقاطر إليها الأولاد من كل طبقات الأهالي حتى الفقراء والوضعاء ففتحت لكثيرين منهم سبلاً جديدة للارتزاق بصفة كتبة وأطباء ومحامين ومهندسين وأصوليين جاروا الغربيين في مضمار الحضارة والتمدن. وخرج بعضهم من الجامعات الأوربية فأتقنوا علومها كسائر الغربيين.
وكذلك عرف الشرقيون ما في الاتحاد من القوة فأخذوا على مثال الغربيين يؤلفون الجماعات الأدبية لتعزيز اللغة العربية

ونشر آثارها. لكنها لم تثبت لعدم اتفاق أعضاءها ولنفور الحكومة منها خوفاً على مسيس سياستها.
وقد ساعد على ترقي الآداب العربية في الشرق انتشار الصحافة وتوفر المطابع والمطبوعات فإن عدد العديد من المتخرجين في المدارس تحفزوا للكتابة فأنشئوا من الجرائد السيارة والمجلات عدداً كاد لا يفي به إحصاء سواء كان في الوطن أم في المهجر. وقد بين ذلك جناب الفيكونت دي طرازي في كتابه الممتع عن الصحافة فعدد منها العشرات مع كونه لم ينشر بعدما استجد منها في القرن العشرين وأبرزوا مع المجلات مئاتٍ من المطبوعات
في كل علم فن أصبحت المكاتب تضيق عن جمعها. وبين هذه المطبوعات عدد وافر من مخطوطات القدماء كانت ضائعة في زوايا المكاتب استخرجوها من مطاميرها فأتت مساعدة للنهضة الأدبية.
ولعل المستشرقين أصابوا قصبة السباق في هذه الحلبة فإنهم أبرزوا من مكاتبهم تأليف نادرة تهافت على درسها طلبة الآثار القديمة. وقد تنافسوا في نشر هذه الكنوز الأدبية في كل الدول لم يثبطهم في العمل ما كانوا يجدونه من العناء والمشقات وكثرة النفقات. وكانت في الوقت عينه مجلاتهم الآسيوية لا تدع بحثاً مهماً في سائر فنون الشرق إلا خاضت فيه. وقد احتفل البعض من أصحابها بعرسهم الفضي والذهبي بل بلغ بعضها السنة المائة لإنشائها كالجمعيتين الآسيويتين الفرنسوية والإنكليزية.
وزادت أيضاً في بدء القرن العشرين المكاتب التي تمكن الباحثون من مراجعة مخطوطاتها كمكاتب الآستانة والشهباء وبغداد. واتسعت مكتبتنا الشرقية فخص بها معهد واسع لضيق مكانها السابق فبلغ عدد مطبوعاتها الشرقية ثلثين ألفا فضلاً عن ثلاثة آلاف مخطوط من منتخب المصنفات العربية والإسلامية والنصرانية.
ولحقت المكاتب المتاحف التي أخذت في أوائل القرن العشرين تلفت أنظار الشرقيين فودوا لو تستحضر لهم متاحف تجمع فيها الآثار العربية خصوصاً والشرقية عموماً على مثال المتاحف الأوربية فعرضت في بيروت في باحة السراية القديمة بعض الآثار المكتشفة في المدينة وكان لمتحفي كليتي اليسوعية والأميركانية شأن أعظم. وقد ابتنى الأميركان بناية خاصة بتلك الآثار أحسنوا هندامها وتنظيمها. وكان الأجانب في مصر قد سبقوا الشام إلى ذلك بمتحفي الإسكندرية والقاهرة استفاد منهما الآثوريين بما نشروه في مقالاتهم الرائقة. ومثلهما متحف الآستانة الذي نقل إليه كثير من عاديات سورية وفلسطين منها الناؤوس المعروف بناؤوس الاسكندر قبر فيه أحد ملوك صيدون.

وقد أدى امتزاج الشرق بالغرب في أوائل القرن العشرين إلى التطور في أساليب الإنشاء نثراً ونظماً فأخذ البعض ينشئون على منوال الخياليين بما يدعونه النثر الشعري أو الشعر النثري فيرصفونه كمقطعات شعرية وينسقونه دون ارتباط كبير في المعاني سواء أرادوا أن يتمثلوا بالسور القرآنية أم يقتدوا ببعض المحدثين من كتبة الفرنج.
وقد أكتسب الشعر من طريقتهم أن خرج من دائرته السابقة الضيقة وأخذ أصحابه يتفننون في نظمه صورة ومعنى. فترى الدواوين الجديدة مشحونة بالقصائد في كل الوقائع المستحدثة والحوادث التاريخية والاختراعات الجديدة وتصور كل عواطف الإنسان وكل مظاهرات الكون. وربما تحرروا أيضاً فيها عن البحور الشعرية فوضعوا طرائق مختلفة لنظمهم وإبراز شواعرهم.
وقد أكثروا من وضع الروايات الخيالية ونقلوا ما شاع منها في البلاد إلى العربية فغلبت أذهان الكتبة والقراء قوة الاحساسات والشواعر التخيلية على قوة العقل ورزانة الفكر. على أن ذوي الذوق السالم وأصالة الرأي لم ينخدعوا بهذه القشور وثبتوا على الكتابة السلسة المنسجمة التي شاعت في عصور اللغة الذهبية ففضلوا اللب على القشر والجوهر على السطحيات.
ومن مميزات أوائل القرن العشرين اتساع نطاق الآداب العربية فأن تلك النهضة التي شملت أولاً مصر والشام وبعض العراق أخذت تنتشر بفضل المواصلات والمهاجرة إلى أنحاء السودان ومراكش وتونس وطرابلس الغرب وبلغت أنحاء أمريكة الشمالية والجنوبية وبالأخص نيويورك والبرازيل. فكثرت المطبوعات وتوفرت الصحف السيارة.
وكان من سمة تلك المنشورات أنها تحررت من كل مراقبة فكان أصحابها يعرضون أفكارهم بكل حرية لا يخافون تقييداً في بسطها. فنالها بذلك بعض المحاسن وبعض المساوئ فأما المحاسن فبكونها خاضت كل المواضيع السياسية والأدبية والتاريخية والفنية مطلقة العنان لكل العواطف والتخيلات لا تخشى انتقاد الأعمال المذمومة ضاربة على أيدي كل ظالم حتى السلاطين. وأما المساوئ فلأن بعضاً من الكتبة لم يقفوا على حدود الاعتدال والأنصاف فلاموا غير ملوم وحمدوا غير حميد وانتقدوا ليس لإصلاح فاسد أو تقويم معوج بل لغايات شخصية سافلة. وصوبوا سهامهم المدين وأربابه الكرام واستعاروا من الماسونية ومن بعض الذاهب البروتستانية مغالاتهم في مناهضة التعاليم المسيحية الكاثوليكية وابتخسوا حقوق الآداب فهاموا في بيداء أوهامهم وتاهوا في مهامه جهلهم.
ومن مساوئ ذلك الانتشار البعيد ما أصاب اللغة من آفة الفساد وذلك بتوفر الألفاظ الأجنبية والأساليب الغربية. وربما

وضع الصحافيون والمعربون في نقلهم عن نقلهم عن اللغات الأوربية مفردات مختلفة لمسمى واحد لا سيما للمخترعات الجديدة. فاضطربت بخلافهم أفكار القراء. وأسوأ من ذلك أغلاط وسقطات لغوية شاعت في الجرائد والتأليف المستحدثة فقام بعض الأدباء كالمرحوم الشيخ إبراهيم اليازجي ينتصرون لآداب اللغة ويزيفون ما رأوه مخالفاً لأوضاعها ولعلهم لم يلزموا في انتقادهم الطريقة الوسطى والخطة المثلى فقام غيرهم يردون عليهم ويثبتون صواب تلك التعابير. فبقيت هذه المناقشات عقيمة إذ لم يوجد مجمع علمي يقضي بين المتناقشين فيفرز بين الغث والسمين وينقي الباطل ويقرر الحق المبين.

وقد أخذت النهضة الأدبية في بدء القرن العشرين تتصل أيضاً بالجنس اللطيف فإن فئة من السيدات حاولن كتبة فصول أدبية شعرية ونثرية في الجرائد السيارة في أواخر القرن التاسع عشر كمريانا مراش ووردة اليازجي ووردة الترك بيد أننا لم نطلع على جريدة أو مجلة نلن لها الامتياز باسمهن قبل القرن العشرين غير مجلة الفتاة التي ظهرت في مصر في 20 نوفمبر من السنة 1892 لصاحبة امتيازها هند نوفل ثم مجلة مرآة الحسناء للسيدة مريم مزهر كان أول صدورها في مصر سنة 1896 ثم مجلة أنيس الجليس لألكسندرا أفيرينوه ظهر أول عددها في الإسكندرية في غاية كانون الثاني من السنة 1898. وتبتعها قي الحقبة التي نحن بصددها مجلة السيدات والبنات للسيدة ماري فرح نشرتها أيضاً في الإسكندرية في أول أبريل من السنة 1903 ثم فتاة الشرق للسيدة لبيبة هاشم سنة 1906 في مصر وهي لا تزال ثابتة إلى الآن.

ومما ساعد القرن العشرين في ترقية في الآداب ظهور بعض النوابغ الذين تكاتفوا وتناصروا لرفع منار العلوم سبقوا عهده ببضعة أعوام أو وافقوا طلوع هلاله فكان لهم في نهضته فضل مشكور. وسنأتي على ذكرهم في أثناء المقالة.

أما الآداب العربية في أوربة فكانت في أوائل القرن العشرين ثابتة على سيرها الحثيث بهمة جمعياتها ومدارسها الشرقية. فإن عدد المستشرقين كان يزيد يوماً بعد آخر وكان الباحثون منهم يطلعون كل يوم على كنوز أدبية جديدة في البلاد التي يتصل إليها النفوذ الأوربي كتونس ومراكش وبعض جهات الهند والسودان. فنشروا منها قسماً كبيراً في حواضرهم. وجاراهم علماء الشرق فأبرزوا إلى عالم الوجود مخطوطات عديدة كانت مطمورة في زوايا النسيان. وكفى دليلاً على ذلك لوائح عديدة كانت تطلع القراء مراراً في السنة على ما ينشر منها بالطبع. كتعريف المطبوعات الشرقية في برلين ولائحة مطبوعات الشرق في لندن وهناك الأعداد الضافية الدالة على تلك الحركة العلمية وهانحن نتبع في تاريخ هذه الحقبة الأولى

سياق كتابنا (تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر) فنذكر أولاً أدباء النصارى والمستشرقين.

الباب الثاني
أركان النهضة في أوائل القرن العشرين في مصر السيد الأفغاني يسرنا أن نفتتح باسمه الكريم هذه الحقبة الأولى وإن كانت وفاته سبقتها قليلاً إذ لم نستوف حقه في كتابنا عن أدباء أأدباء القرن التاسع عشر. وهو السيد جمال الدين الأفغاني الأصل مولود أسعد آباد سنة 1254ه (1838م) درس في كابل ثم في الهند على علمائها ثم سافر إلى مصر وإلى الآستانة حيث قدر رجال الدولة قدره وجعلوه أحد أعضاء مجلس المعارف فاجتهد في توسيع نطاقها. لكن أولي الأمر تخوفوا من حرية أفكاره فألجئوه إلى هجر العاصمة والالتجاء إلى وادي النيل سنة 1871 فحل في القاهرة ضيفاً كريماً وانصب على العلوم العصرية حتى بلغ منها مبلغاً عظيماً وعرف بفيلسوف الشرق. فالتف حوله كل طالبي الترقي والتحرر فكان يبعث فيهم بلهجته وخطبه وكتاباته روح الاستبداد فنفي إلى بلاده سنة 1879 فاحتل حيدر آباد وسكن في كلكتا في زمن الثورة العرابية. ثم سافر إلى أوربة. وأنشأ في باريس مجلته العروة الوثقى مع صديقه الشيخ محمد عبده المصري ساعياً إلى توحيد كلمة المسلمين. ثم تنقل في البلاد الأوربية إلى أن استقدمه ناصر الدين شاه إلى طهران وجعله وزير الحربية فلم تطل مدته في تلك الوزارة فسافر إلى روسية ورحل إلى باريس وشاهد معرضها سنة 1889 وعاد إلى إيران بإغراء الشاه فعني بإصلاح أمورها.
فخاف أرباب الدولة من تطرفه فأبعد مريضاً إلى حدود تركيا وسكن مدة مدينة البصرة إلى أن استدعاه السلطان عبد الحميد إلى الآستانة سنة 1892 وأسكنه في بعض قصورها فبقي فيها مكرماً إلى سنة وفاته بداء السرطان في 9 آذار سنة 1897. أما آثاره الكتابية فهي مفرقة في صحف زمانه. نشر منها الشيخ محمد عبده رسالته في نفي مذهب الدهريين وقد أثنينا عليها مراراً ونقلنا عنها فصولاً شائقة في مناصبة هذا المذهب وبيان الشرور الناتجة عنه وفي تأثيم زعمائه الكفرة كفولتير وروسو.

الشيخ محمد عبده
لا يجوز أن نفرق بين جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشيخ محمد عبده. فإنهما سيان في النهضة الأدبية التي حدثت في الشرق الإسلامي ولد الشيخ عبده في أواخر سنة 1267ه (1853) في شنبيرا من مديرية الغربية في مصر ودرس مبادئ العلوم الدينية والفقهية في طنطا ثم في الأزهر لكنه لم يجد في شيوخهما وأساتذتهما ما يأنس به عقله حتى قدم إلى

مصر جمال الدين الأفغاني سنة 1288 (1875) فخضر دروسه مع بعض أدباء القاهرة وشغف بتعليمه وأخذ عنه المنطق والفلسفة وارتوى من روحه حتى قام مكانه بعد أن أبعد الأفغاني وعهد إليه التدريس في المدارس الأميرية فازدحم الطلاب لاستماعه وحرر في الوقائع المصرية مقالات أثرت في مواطنيه كان يدعوهم فيها إلى الإصلاح. وفي تلك الأثناء وقعت حوادث عرابي باشا وحوكم هو بسببها وحكم عليه بالنفي. فجاء سورية وأقام فيها ست سنوات انتدبته في أثناءها رئيس رسالتنا إلى شرح مقامات بديع الزمان فلبى طلبه وأحكم تفسير تلك الطرف اللغوية التي راجت رواجاً عظيماً فتكرر طبعها.
ثم سافر الشيخ عبده إلى باريس وفيها أجتمع بأستاذة الأفغاني فنشرا (العروة الوثقى) التي مع قصر زمانها أصابت بين المسلمين شهرة كبيرة. وكان الشيخ مدة أقامته في عاصمة فرنسا وقف على تمدن الغرب ورقيه وخمود الشرق وخموله لا سيما بعد أن درس اللغة الفرنساوية وأطلع على كنوزها الأدبية. فكان يتلهب غيرة لإصلاح أمور وطنه. ثم أجازوا له بالرجوع إلى مصر فقدرت الحكومة قدره فتعين مستشاراً في محكمة الإستئناف وعضواً في مجلس إدارة الأزهر. وأسند إليه أخيراً رئاسة الإفتاء في الديار المصرية سنة 1317 (1899م) فقام بواجبات منصبه أحسن قيام إلى سنة وفاته سنة 1323 (1905م) وهو لا يزال يدعو إلى إصلاح الدين وذويه. وقد ألف كتباً عديدة أكثرها دينية كتفسير القرآن والرسالة في التوحيد. وبعضها منطقية وأدبية واجتماعية ومما لم نستحسنه له كتابه الإسلام والنصرانية. وفيه أشياء كثيرة لا توافق تعاليم النصرانية أخذها عن بعض أعداء النصرانية أو حملها على غير معناها. ولو راجع في ذلك علماء الدين المسيحي لوقف على الصواب

محمود باشا سامي البارودي
هو أيضاً من أركان النهضة الأدبية في أواخر القرن السابق وغرة القرن الحالي. كان من مولدي الجركس وكان أبوه حسن بك من أمراء المدفعية في الجيش المصري. ولد ابنه محمود في القاهرة سنة 1256 ه (1840م) ثم تخرج في المدارس الحربية في مصر وتلقّن فيها مبادئ العلوم فأحرز منها قسماً حسناً وإنما تغلب عليهِ الأدب وأغرم بالشعر العربي وأتقن اللغتين التركية والفارسية وتقلب في المناصب العسكرية وحارب مع الأتراك في الحرب الروسية سنة 1877. وكانت مصر أنفذت لمساعدة الدولة العثمانية نجدة كانت فرقته من جملتها فكوفي لحسن بلائه برتبة اللواء وتعين سنة 1879 مديراً للجهة الشرقية. ثم تولى نظارة الحربية ثم الأوقاف ثم المعارف. وكان له يد في الثورة العرابية فنفي

إلى سيلان ثم عفي عنه وعاد إلى وطنه وانقطع فيه إلى الآداب إلى سنة وفاته وكف بصره في أواخر حياته. وهو أحد أمراء الشعر العربي الحديث يعد شعره من الطبقة الأولى مع القليل من معاصريه من شعراء مصر وشعره يجمع بين السهولة والمتانة.

ومن آثاره مجموع نفيس دعاه مختارات البارودي في أربعة أجزاء ضمنه أطيب قصائد الشعراء قسمها إلى ستة أبواب واسعة. ودونك مثالاً من شعره قال يرثي زوجته المتوفاة وهو في المنفى:

وردَ البريدُ بنير ما أَمَّلتُهُ تَعِسَ البريدُ وشاةَ وجهُ الحادي
فسقطتُ مغشياً عليَّ كأنَّما نهشَتْ صميمَ القلب حيَّةُ وادي
ويلمه رُزْءٌ إطار نعيُّهُ بالقَلْب شُعلة مارجِ وقاَّدِ

ومنها:

أسليلة القمرْين أيُ فجيعة حلت لفقدك بين هذا النادي
أعززْ عليَّ بان أراكِ رهينةً في جوف أغبر قاتم الأسوادِ
أو أن تَبيني عن قَرارةِ منزلٍ كنتِ الضياءَ لهُ بكل سوادِ
لو كان هذا الدهرُ يقبلُ فديَّةً بالنفس عنك لكنتُ أول فادي
قد كدتُ اقضي حسرةً لو لم اكنْ متوقعاً لُقياكِ يومَ معادِ
فعليكِ من قلبي التحَّيةُ كلَّما ناحت مطوَّقةٌ على الأعوادِ

وقال يصف حالته في منفاه إلى سيلان (وهي سرنديب القدماء):

لم يبقَ لي أربٌ في الدهر أطلبُهُ إلا مصاحِبَ حرٍ صادقِ الحالِ
وأين أُدركُ ما أبغيهِ من وطِر والصدقُ في الدهر أعيا كلَّ محتالِ
لا في سرَنْديب لي إلفٌ أُجاذبهُ فصلَ الحديثِ ولا خلٌ فيرعى لي
أبيتُ منفرداً في رأس شاهقةٍ مثلَ القُطامَي فوق المَرباِ العالي
إذا تَلَفَّتُّ لم أُبْصِر سوى صُورٍ في الذهن يرسمُها نقَّاشُ من مالي
تَهْفو بيَ الريحُ أحياناً ويَلْحفني بَرْدُ الطلال ببُرْدِ منهُ أسمْالي
فلو تراني وبُردي بالندى لَشِقٌ لَخِلْتَني فرخَ طيرٍ بين أدغالِ
لا يستطيعُ انطلاقاً من غيابته كأنما هو معقولٌ لعقاَّلِ

أدباء المسلمين المصريين في أوائل القرن العشرين

عبد اللطيف الصيرفي

هو شاعر مصري معاصر لسامي البارودي كاد يجاريه في سنتي مولده ووفاته. ولد في الإسكندرية سنة 1257ه (1841م) وتوفي سنة 1322ه (1904م) تعلم في المدارس الأهلية حتى أتقن اللغة العربية والحساب والأنغام وبرع بالخط فدخل في دواوين التحريرات وخدم حكومة وطنه زمناً طويلاً ثم اشتغل بفن المحاماة إلى سنة وفاته. صنف ديواناً نشره بعد وفاته ابنه عبد العزيز وهو مجلد واسع في 220 صفحة طبع سنة 1335ه (1908م) وشعره سهل وسط لا يخلو من بعض الرقة والتفنن وكذلك نثره له منه فصول ومراسلات ومداعبات منسجعة.

وهذا مثال من شعره قاله يهجو أحد العمَّال في دمنهور:

كانت دمنهورُ لنا مهدَ المحاسن والظرائفْ
لا سيما لمّا رقَتْ بُمديرها ربّ اللطائفْ
خيري اللائق احمدٍ مُحيي الفاخر والمعارفْ
وسعت لنادي فضلهِ أهل الفضائل والعوارفْ
فاستأنستْ نفسي بهم وظْللتُ ألتقط الطرائفْ
وأقول قد سعدت دمن هورُ وراقت كلَّ طائفْ
لكن بها كلبٌ عَقُوٌر قد بدتْ منه المخاوفْ
لا زال يعطفُ كاسراً فيسيء جالسها وواقفْ
حتى غدَت موبؤةً بوجوده والكلُّ واجفْ
فمن الذي يأتي لها ما دام فيها الكلبُ عاطفْ
ألا وَبسْتور لهُ في كل آونة مساعفْ
ولرَّبما لم يُجْده تطبيُبُه والداءُ ناقفْ
فالله يخفى رسمهُ منها فتأخذُه المتآلف
لأكون أوَّل آمنِ وأكون آخر من يجازفْ

إبراهيم بك المويلحي

في هذه الحقبة الأولى من القرن العشرين وقعت أيضاً وفاة أحد أعيان المصريين الذين أحرزوا لهم ذكراً في عالم الأدب نعني به إبراهيم المويلحي المولود في مصر سنة 1262ه (1846م) والمتوفى سنة 1322ه (29 ك 2 1906م) تقلب في عدة أعمال وغلب عليه الأدب والسياسة فخدم وطنه مصر في أيام الخديوي إسماعيل باشا ورافقه بعد استقالته إلى أوربة فكان أمين أسراره وسكن مدة باريس ونابولي معه ثم تردد مراراً إلى الأستانة فحظي بالنعم السلطانية والرتب عند عبد الحميد. وأنشأ عدة جرائد مثل الخلافة في نابولي والرجاء في باريس ونزهة الأفكار ومصباح الشرق في القاهرة وله عدة مقالات في الصحف العربية غيرها. وكان لم يستقر على خطة مع كونه شديد الذكاء بليغ الإنشاء كثير التفنن مر الانتقاد وهو منشئ جمعية المعارف لنشر الكتب المفيدة. ومن آثاره كتابه الشهير (ما هنالك) وصف فيه أسرار يلدز وسياسة السلطان عبد الحميد وله شعر قليل وإنشاؤه أقرب إلى الإنشاء العصري

لا تصنُّع فيه كمن سبقه. وإنما يزينه بالنكت البديعة والمعاني المستطرفة. ومما وقفنا له من قلمه ما كتب في (الإنشاء والعصر) وهو كلام طويل ينتقد خمول المصريين بصناعة الإنشاء مع تزايد المطابع وانتشار التعليم وكثرة المدارس ويبحث عن أسباب انحطاطها فقال في ذلك:
(إنما السبب عند جمهور الباحثين هو سوء طريقة التعليم والتلقين للعلوم العربية بين طلبة المدارس وضعف العناية في اختيار الكتب النافعة للتدريس. وليس هذا في نظرنا السبب الوحيد لما نشاهده من التأخر والانحطاط في صناعة الإنشاء والتحرير وقلّة العاملين فيها فذلك مهما جئت به من التحسين والتعديل لطريقة التعليم لا ينفع في ملكة الإنشاء في أذهان التلاميذ التي عليها المعوَّل في حسن الصناعة لان المدَّة لدرس اللغة العربية في المدارس لا تكفي لغير الحصول على أصول اللغة وقواعدها ولا تفيد لتكوين الملكة لشيء صالح. ولا يخفى عن علمك أن الطالب يتجرع هذه القواعد والأصول في الدرس ولا يكاد يسيغها ولا يتناولها إلا كما يتناول المحموم مرَّ الدواء ولا تمكث في صدره إلا ريثما يمجُّها عند أخذ الشهادة...
(على مثل هذا يخرج المتخرجون في المدارس سواءٌ الفائز منهم بالشهادة والخائب فيها ثمَّ ينصرف كل واحد منهم إلى الأشغال التي تلهيه عن كل صحيفة وكتاب ولا يجد أمامه مجالاً لنمو ملكة الكتابة... أما إذا ابتلاه الله بالدخول في خدمة الحكومة فقل يا ضيعة العلم والأدب ويا بؤس صناعة الإنشاء والتحرير ويا زوال ملكة الإفصاح والتعبير! إذ يتلقى هناك لساناً جديداً ولغةً حديثة لا يهتدي فيها إلى قاعدة ولا ترتبط برابطة ولا تفضل لغة البرابرة...
ولو أنه ذهل يوماً وجاء في بعض عمله بجملة صحيحة وعبارة مستقيمة في اللغة وانحرف عن ذلك اللسان المصطلح عليه شيئاً قليلاً لأصبح عرضةً للتهكم عليه الاستهزاء به بين العمال فيعمد إلى التوبة من الذنب... ويأخذ بلسانهم فيأمن من مكرهم...
(ومن سوء الحظ لم تلتفت الجرائد السيارة إلى إتقان صناعة التحرير ولم تعمل لهذا المقصد النبيل ولم ير أربابها أن يتعبوا أنفسهم ويكدوا خواطرهم للتفنن في بلاغة القول وفصاحة التعبير وانتقاء الألفاظ وتنويع التركيب وتجديد الأسلوب وما شابه ذلك من محاسن هذه الصناعة التي تتوق للنفس وتطرب إليها القلوب... فينبغ النوابغ من الفصحاء والبلغاء ويكثر بيننا عديد الكتاب والأدباء... وفاتهم أن الواجب على الكتاب المجيدين الذين يضعون أنفسهم أمام القارئ في الهادي والمرشد ومقام المربّي والمعلم أن يرتفعوا بذهن القارئ إلى درجة أذهانهم لا أنهم ينزلون بأفكارهم إلى درجة أفكاره...)

ومن فصوله الحسنة ذكره في كتابه (ما هنالك) (ص130 - 132) لموكب السلطان عبد الحميد في الأستانة يوم الجمعة (السلاملك) تلك حفلة حضناها مرّة فأحسن المويلحي بوصفها قال:
(وإذا صدرت الإدارة السنيَّة بتعيين مسجد صلاته اجتمعت العساكر في ساحة المسجد أمام الباب السراي واصطفت صفوفاً مضاعفة بعضها وراء بعض. وفي هذه الأثناء تتسابق مركبات المشيرين والوزراء والمشائخ والأجانب من السفراء وغيرهم فيجلس السفراء ومن كان معهم من علية قومهم الوافدين على الأستانة في قاعة الجيب الهمايوني المطلة على تلك الساحة التي لا يسمع السامع فيها قيلاً ولا صهيلاً إلا صليل الأسياف وترديد الأنفاس هيبة وإجلالاً وانتظاراً واستقبالاً لإشراق نور الحضرة السلطانية فإذا حان وقت الصلاة أشرقت المركبة السلطانية المذهبة كالشمس ضياءً من مطلع السراي تحمل الإمام نائب الرسول صلعم ويجلس أمامه الغازي عثمان باشا. والمشيرون وكبار رجال المابين حافون من حول المركبة مشاةٌ خشع الأبصار ترهقهم ذلة من جلال تلك الإمامية وهم في غير هذه الساعة أكاسرة الزمان وقياصرة الرومان كبراً وجبروتاً وكلهم في أمواج الملابس الذهبية يسبحون وعلى صدورهم نياشين الجوهر تخطف الأبصار وتأخذ الألباب حتى أن الناظر ليكاد يوالي الحمد لله تباعاً على ما منحه للدولة من عديد الرجال الصادقين في خدمة الملّة بشهادة الكلمات الناطقة فوق النياشين... فإذا اختلف المكتوب على الصدر عن المكنون في القلب كانت كبائعٍ يغش الناس بوضعه على زجاجة الخل عنوان ماء الورد... ثم تسير المركبة بالعز والإجلال والسعادة والإقبال تحسدها الكواكب وتحفظها المواكب.. ثم يصعد السلطان إلى المكان المخصص لصلاته فيصلي فيه وحده وصفوف العساكر العثمانية واقفون في تلك الساحة ينتظرون تشريف جلالته للسراي بعد تأدية الصلاة..)
ومن أدباء المسلمين أيضاً المتوفين في أوائل القرن العشرين بعض الذين تركوا آثاراً قليلة من أقلامهم (كوفاء أفندي محمد) المتوفى سنة 1319 (وقيل 1322) (1901 - 1904) كان أمين المكتبة الخديوية دونك مثالاً من رسائله يهنئ بعض السادة بالعيد:
(كيف أهنئك وحدي وأنك العالم في واحد. فقد انطلقت الألسن بتهنئتك حيث أجمعت القلوب على محبتك وقد وافانا يوم العيد الأكبر فالناس بين مهلل ومكبر. وهذا الربيع قد احتفل بيمن طالعك السعيد فنشر على الربى مطارفه السندسية ورفع أعلامه الزبرجدية، وبعث برسول النسيم، إلى الروض فتلقاه بوجه وسيم، وثغر بسيم، ونشر من الزهر النضير، دراهم ودنانير، ورقصت الغصون فغنت الطيور فوق

الأفنان، بفنون الألحان، فهكذا تكون إشارات التهانئ، وإن لم تف بوصفها الألفاظ والمعاني، والية بمن أولاك، رفعة تصافح السماء وولاك، رتبة لا تدانيها الجوزاء، عن صحيح الفهم في دارك علاك لعليل، وإن اللسن وإن شحذ اللسان في وصف مجدك لكليل والسلام)

ومنهم (مصطفى بك نجيب) المتوفى سنة 1320ه (1902) وكان رئيس قلم بنظارة الداخلية وهو أحد الأدباء الفضلاء الذين اشتهروا بفصاحة القلم ونشر المواعظ وجليل الحكم فمن قوله نبذة وصف فيها الفونغراف قال:

(الفونغراف مثال القوة الناطقة، من غير إرادة سابقة، يقتطف الألفاظ اقتطافاً، ويخطف الصوت اختطافاً، أشد من الصدى في فعله، في إعادة الصوت على أصله، كأنه الوتر عن يد الضارب، والقصب عن فم القاصب، يحفظ الكلام ولا يبيده، ومتى استعدته منه يعيده، كأنما حفظ الوديعة، في نفسه طبيعة، فلو تقدم له الوجود في مرتبة الزمن لأسمعنا كلام السيد المسيح في المهد، وصوت ألعازر من اللحد، وكانت استودعته الفلاسفة حكمتهم، وأنشدوه كلمتهم، فرأينا به غرائب اليونان، وبدائع الرومان... نديم ليس فيه هفوة النديم، وسمير لا

ينسب إليه تقصير، تسكته وتستعيده، وتذمه وتستجيده، وتنقصه وتستزيده، وهو في كل هذه الأحوال، راض بما يقال، لا يكل من تحديث، ولا يمل من حديث، نمام كما ينم لك ينم عليك، وينقل لغيرك كما ينقل إليك، فهو المتكلم بكل لغة ولا يجهده الأداء، ولا يضره اختلاف شكل، ولا تباين أصل، بل تعدت شدة حفظه البشرية من اللغات، إلى حفظ أصوات العجماوات، إلى تركة اصطكاك الجمادات.

(عائشة التيمورية) هي إحدى النساء المسلمات التي تفردت في الآداب في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين فتوفيت في صفر من السنة 1320 (أيار 1902) وكان مولدها في القاهرة سنة 1256ه (1840م) ووالدها إسماعيل باشا تيمور وأمها جركسية. أحبت منذ صغرها العلم والأدب وبعد أن اقترنت بالزواج ثم ترملت انصرفت إلى الآداب وبرعت بنظم الشعر في اللغات الثلث العربية والتركية والفارسية. وقد طبع ديوانها العربي المسمى حلية الطراز فأثنى عليه الأدباء طيب الثناء وشفعته بكتاب نتائج الأحوال فأقبل عليه العلماء أيضاً وأطرأوا صاحبته. وممن قرظ كتاب حلية الطراز السيدة وردة كريمة الشيخ ناصيف اليازجي فقالت:

حبَّذا حليةُ الطراز أتَتْ من مصرَ تزهوا باللؤلؤ المنظومِ
حليةُ المعقول لا حليةُ الوَشْ ي وكنزُ المنطوق والمفهومِ
أنشأتْهُ كريمةٌ من ذوات م المجد والفخر فرعُ أصلِ كريمِ
قد أعاد الزمانُ عاشئةُ في ها فعاشت آثارُ علمِ قديمِ

هي فخرُ النساء بل وردةٌ في جيدِ ذا العصْر زُيّت بالعومِ
فأدام المولى لها كلَّ عِزّ ما بدا الصبحُ بعد لَيلِ بَهيمِ
وقالت في تقريظ نتائج الأحوال:
هذا الكتابُ الذي هام الفؤادُ بِه يا ليتَني قلمٌ في كفّ كاتبِه
ودونك أمثلة من شعر عائشة تيمور قالت في الفخر:
بيد العفاف أصونُ عز حجابي وبعصْمتي أسمو على أترابي
وبفكرةٍ وقادةٍ وقريحةٍ نقَادة قد كُمَلْتْ آدابي
فجعلتُ مرْآتي جبينَ دفاترٍ وجعلتُ من نَقْش المدادِ خطابي
ما عاقني خجلي عن العَلْيا ولا سَدْلُ الخمار بلمتَّي ونقابي
عن طيّ مضمار الرهانِ إذا اشتكتْ صعبَ السباق مطامحُ الركّابِ
بل صولتي في راحتي وتفرُّسي في حُسن ما أسعى لخَير مآبِ
ومما قالته ترثي أبنتها وكان موتها في رمضان:
طافت بشهر الصوم كاساتُ الردى سَحَرًا وأكوابُ الدموع تدورُ
ومضى الذي أهوى وجرَّ عني الأسى وغدَتْ بقلبي جُذوةٌ وسميرُ
ناهيكِ ما فَعلتْ بماءِ حشاشتي نارٌ لها بين الضاوع زفيرُ
آني أَلْفتُ الحزنَ حتى أنني لو غاب عني ساءني التأخيرُ
قد كنتُ لا أرضي التباُعدَ برهةً كيف التصبُّر والبعادُ دهورُ
أبكيكِ حتى نلتقي في جنّةٍ برياضِ خُلْد زَّيَنْتها الحُورُ
هذا النعيمُ بهِ الأحبَّةُ تلتقي لا عيشَ إلاَّ عيشُهُ المبرورُ
واللهِ لا أسلو التلاوةَ والدَّعا ما غرَّدت فوقَ الغصون طيورُ
ولعائشة تيمور قصائد مختلفة في الأوصاف والأخلاق والغزل والمديح وإنما أخذت في كل ذلك أخذ كتبه زمانها فلم تعالج المواضيع المبتكرة. وكذلك نثرها في نتائج الأحوال لا يخلو. من التصنع في نظم سجعاته. هذا فضلاً عما يحتويه من التخيلات والأقاصيص المصنوعة التي قصدت بها ترويح الأفكار وتلهية الأحداث.
وفي هذه الحقبة ذاتها فقدت مصر قوماً من مشاهير أطبائهم الذين كانوا أغنوا الطب الوطني بمؤلفاتهم بعد أن تخرجوا على أطباء نطاسيين من الأوربيين منهم (محمد باشا الدري) و (أحمد بك حمدي الجراح) وقد أتقن كلاهما علم الطب في باريس. وقد ألف الأول تذكار الطبيب وألف مطولاً في الجراحة وكتب تاريخ الأسرة الخديوية. كانت وفاته في مطلع القرن العشرين وصنف الثاني في أعمال الجراحة ونشر

جريدة طبية دعاها المنتخب كانت وفاته سنة 1321ه (1903م).. ومنهم الدكتور (محمد بك بدر) تخرج في فن الطب في إنكلترا وهو مؤلف كتاب علم الشفا والمادة الطبية وكتاب شرح الأدوية الجديدة وكتاب الصحة التامة توفي سنة 1902. وكان محمد بك بدر أشتغل في ألمانيا في فلسفة الإسلامية ودرس هناك اللغات السامية وباشر بتاريخ فلاسفة الإسلام ومؤلفاتهم منذ ظهر الإسلام إلى اليوم ولا نعلم أنشر تأليفه بالطبع. وهو الذي نشر كتاب أبي منصور عبد القادر البغدادي الفرق بين الفرق).
وممن درس الطب في ألمانيا (حسن باشا محمود) له مصنفات عديدة في الأمراض العصرية كحمى الدنج والهيضة وخص بدرسه أدواء وطنه كالدمل المصري والطاعون الساري. ومن تأليفه الحسنة كتابه الخلاصة الطبية في الأمراض الباطنية. وتفقه أيضاً في أوربا غير هؤلاء مثل (عبد الرحمن بك الهراوي) صاحب تأليف في الفسيولوجية توفي سنة 1906. (والدكتور سليمان نجاتي) الذي تخصص بمعالجة الأمراض العقلية وألف كتاب (أسلوب الطبيب في فن المجاذيب). كانت وفاته سنة 1907.
واشتهر في العلوم الفلكية (إسماعيل باشا الفلكي) الذي درس الرصد في مرصد باريس وأدار في مصر المرصد الفلكي وكان ينشر تقاويم أرصاده الفلكية الرسمية في اللغتين العربية والأفرنسية. ومن تأليفه: (الآيات الباهرة في النجوم الزاهرة) توفي سنة 1901. فترى أن العلوم العصرية كانت مدينة خصوصاً لأوربة حيث تخرج فيها المصريون ثم نشروها في وطنهم إما بالتدريس في القصر العيني وإما بالمزاولة والتأليف فكانت سبب نهضة علمية معتبرة تتمتع اليوم مصر بثمرتها.

أُدباء الإسلام في الشام والعراق

وبينما كان المصريون يحاولون كسر أغلال التقليد القديم الذي كان يضايقهم في الكتابة ويحول بينهم وبين الرقي العصري. كان إخوانهم في الشام يجاهدون للحصول على حرية كافية لينزعوا عنهم ضغط نير الأتراك فيطلقوا العنان لأقلامهم للبحث في المسائل الاجتماعية والإصلاح السياسي. وفي مقدمتهم:
(عبد الرحمن الكواكبي) ولد في حلب سنة 1265ه (1849م) من أسرة آل الكواكبي القديمة التي إليها تنسب في الشهباء المدرسة الكواكبية. وفيها تلقى العلوم اللسانية والشرعية وبعض العلوم الحديثة ثم أنس بالكتابة فحرر عدة جرائد كالفرات والشهباء والاعتدال وخدم الدولة متقلباً في مناصبها العلميَّة والإدارية والحقوقية إلا أن ما طبع عليه من الإباء

والنخوة ودقة النظر وحب الانتقاد في العصر الحميدي حمل أعداءه إلى الوشاية به إلى المراجع العليا فزج بالسجن وجرد من أملاكه. ثم خرج سائحاً إلى البلاد وطاف جانباً من أفريقية وجزيرة العرب حتى توغل في صحاريها وبلغ اليمن ثم رحل إلى الهند وسكن أخراً في مصر وفيها توفي سنة 1903. ومن آثاره ما يثبت له سعة إطلاعه على تاريخ الشرق ولا سيما تاريخ الممالك العثمانية فعرف أداؤها وحاول علاجها كالأفغاني. ومما ألفه في ذلك كتابه (طبائع الاستبداد ومصارع الاستبعاد) وكتاب (أم القرى) نظر فيه الشيخ محمد عبده.
وكان الكواكبي مع أنفته من الاستبداد رقيق الجانب عطوفاً على الضعفاء والمساكين. (محمد رشيد الدنا) وقد أسفت بيروت في أوائل القرن العشرين على فقدها لهذا الكاتب الضليع في السنة 1902 (1320ه) وهو أحد تلامذة المعلم بطرس البستاني في مدرسته الوطنية. خدم الحكومة التركية عدة سنين ثم استقال من مناصبها ليخدم وطنه بالتحرير فأنشأ جريدة بيروت سنة 1886 وأدارها إلى سنة وفاته وكان معتدل الطريقة في سياسته
فأمن نكبات الدهر. وكان يرتشد بآراء شقيقه الأكبر السديدة السيد عبد القادر وصارت الجريدة بيروت من بعده في عهدة أخيه محمد أمين.
نضيف إلى أدباء المسلمين في الشام (السيد إبراهيم الطباطبائي) من مشاهير أدباء العراق قضى نحبه سنة 1319ه (1901م) في النجف وفيها كان مولده سنة 1248ه (1832م) كان إمام النهضة اللغوية في وطنه بين صدور الشيعة. وله ديوان شعر طبع في صيداء تلوح فيه الأساليب البدوية القديمة وكان مغرّى بغريب اللغة وترى ذلك في معظم أشعاره. وقسم كبير من قصائده في الغزليات. ومن حسن قوله أبيات ذكر فيها الأحباب وأيام الأنس:

أخَيِّ هل راجعُ ليلٌ فينظمنا بشط دِجْلة نَظْمَ العقدِ إخوانا
أحبابَنا أن تَهُنْ فيكم وسائلُنا فحسُبنا كلّ شيء بعدكم هانا
إن فرَّق الدهرُ ما بيني وبينكمُ فقد صَحبّتكمُ دهرا وأَزمانا
تركتُ في النَّجَف الأعلى لصحبتكم صَحْباً وأهْلا وأوطاناً وجيرانا
عوضتموني عن أهلي وعن وطني بالأهل أهلاً وبالأوطان أوطانا

ومن حكمه:

ما كلُّ من صَحب الأخوان جرَّبهم لا يُعْرَفْ الخل إلا بالتجاريب

وقال في محاسن الشعر:

للشعر حُسْنانِ لا تَعْدوهما جهةُ حسنُ بمعنَى وحسنُ بالأساليبِ

أدباء النصارى في الحقبة الأولى من هذا القرن
أدباء النصارى في الشام ومصر

جارى أدباء النصارى في مصر أدباءها المسلمين ولعلهم كان لهم التقدم في تلك النهضة الأدبية. على أن ذلك الفضل يعود خصوصاً إلى نصارى الشام الذين لم يجدوا في وطنهم ما رغبوا فيه من سعة الحال وبسطة العيش والحرية المعتدلة فهاجروا إلى مصر ليمتعوا فيها بحضارتها تحت نظارة بريطانية العظمى. وما لبثوا أن تخصص بعضهم ممن تخرجوا في مدارس الأجانب في الشام للكتابة فنبغوا فيها كما تشهد لهم تأليفهم والصحف التي تولّوا إدارتها فنهجوا الطريق في ذلك لأهل مصر. وهانحن نذكر الذين اشتهروا في تلك الحقبة الأولى.
(عبد الله مراش) توفي في غرة القرن العشرين في 17 كانون الثاني 1900 في مرسيلية وكان مولده في حلب في 14 أيار 1839 وهو أخو فرنسيس الذي مرت لنا ترجمته بين أدباء القرن التاسع عشر وكلاهما من أسرة فاضلة عرف أصحابها بفضلهم ورقي آدابهم. تخرج عبد الله في الشهباء في مدرسة الآباء الفرنسيسيين ثم تعاطى التجارة فيها مدة واتسع في أعمالها وسافر إلى إنكلترا عميلاً لشركة من التجار في منشستر فأصاب ثروة واسعة. ثم عدل عن التجارة واشتغل بالآداب في باريس وفي إنكلترا وحرر في جرائدها العربية كمرآة الأحوال لرزق الله حسون ومصر القاهرة لأديب إسحاق والحقوق لميخائيل عورا وكوكب الشرق لأحد الفرنسويين وقضى أواخر سني حياته في مرسيلية. وكان عبد الله مراش يشبه رزق الله حسون في درسه للغة العربية ومعرفة تاريخ العرب والبحث عن الآثار العربية في مكاتب لندن وباريس ونسخة عنها ما يراه من نوادرها جديراً بالذكر ينقل ذلك بخط بديع. وكان عبد الله ضليعاً بالإنشاء العربي يحسن الكتابة ويحرص على وضوح معانيها. وله فصول رائعة في الأخلاق والآداب وانتقادات حسنة على منشورات المستشرقين ورسائل شتى في العلوم العصرية والأحوال السياسية. وتعريبات لبعض كتابات الفرنسويين (اطلل الضياء 2: 344 و491).
وممن اشتهروا في مصر من أهل الشام المرحوم (بشارة تقلا) أخو سليم وقرينه بإنشاء الصحافة والتأليف. ولد في كفر شيما في 22 آب 1852 وتوفي في 15 حزيران 1902 عرف منذ حداثته بتوقد الذهن ودرس في المدرسة الوطنية ثم في المدرسة البطريركية وعلم مدة في مدرسة عين طورا. ثم

لحق سنة 1875 بأخيه الذي كان سبقه إلى الديار المصرية فأنشأ هناك في أوائل آب من السنة 1876 جريدة الأهرام ثم صدى الأهرام وكابدا بسبب الجريدتين عدة مشقات لما نشراه من المقالات الحرة وانتقاد أعمال الحكام والدفاع عن حقوق المصريين واستعانا بحماية فرنسة لرد غارات من يتعرض لهما. وسافر بشارة غير مرة إلى أوربة وزار عواصمها ثم رحل إلى الأستانة ونال من امتيازات سلطانها فضلاً عما نال من انعامات فرنسة كوسام جوقة الشرف ووسامات غيرها من الدول. ثم عاد إلى مصر ووسع دائرة جريدة الأهرام فوصل بجده ونشاطه إلى أن أصبحت بفضله في مقدمة الجرائد المصرية وقد خدم بها صوالح المصريين بازاء الاحتلال البريطاني وانتصر لفرنسة وحقوقها. أصيب في أواخر عمره بداء القلب فرجع إلى سورية فتوفى في وطنه.

وخدم مصر شاب آخر فمات في عز شبابه نعني به (خليل الجاويش) المولود في بيروت سنة 1872 والمتخرج في مدارسها وخصوصاً في المدرسة البطريركية حيث درس العربية على الشيخ إبراهيم اليازجي ثم انتقل إلى مصر وخدم في حكومتها بضع سنوات. ثم تولى في الإسكندرية رئاسة تحرير جريدة الأهرام عدة سنين إلى أن شعر بانتهاك القوى فعاد إلى لبنان رجاء أن ينعش بهوائه قواه فلم يجد ما أمله فعاد إلى مصر وتوفي في حلوان في 21 شباط 1902. ألف روايات أدبية ومنظومات شعرية نشر بعضها في مجلات مصر.

وفي مصر كانت وفاة أحد مواطنينا السوريين (نقولا بك توما) ولد في مدينة صيداء سنة 1853 ودرس في مدرستها للآباء اليسوعيين ثم صار من أساتذتها وعلم في بعض مدارس لبنان حتى انتقل إلى مصر سنة 1874 فانتظم مدة في سلك عمال دولتها. ثم تسنى له السفر إلى باريس فاجتمع فيها بأصحاب النهضة كالسيد الأفغاني والشيخ محمد عبدة وكتب عدة مقالات نشرها في جريدة مرآة الحال ثم عدل إلى فن المحاماة ولم يزل منكباً على

درس أصولها ومشكلاتها حتى برع فيها. وأنشأ مجلة الأحكام المصرية فزادت بها سمعته وأقبل عليها الجمهور فعدل عنها ولزم المحاماة حتى عد من نوابغها سالكاً فيها بكل جرأة إلى أن اضطرته الأمور مع انتهاك الصحة إلى السفر أوربة وفيها كانت وفاته في 25 آب 1905. كان نقولا بك في مرافعاته في القضاء بليغ الكلام يتدفق في بسط الدعوى وبيان غثها وسمينها لا يتلجلج لسانه في شرحها وتطبيقها على القوانين الشرعية وفيه قال بعض الشعراء:

(البقية في الملف الأخير)